السيرة النبوية

لابن هشام

أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

تحقيق

محمد بيومى

الجزء الثالث

مكتبة الإيمان

المنصورة أمام جامعة الأزهر

ت : ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

رقم الايداع
٢٠٠٦/٢٣٧٠٣

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة - أمام جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بنى سليم بالكدر

قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ لم يقم بها[١] إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه، يريد بنى سُليم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى، أو ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: فبلغ ماء من مياههم؛ يقال له: الكُدر، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فأقام بقية شوال وذا القعدة، وأفدى فى إقامته تلك جل الأسارى من قريش.

غزوة السويق

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد بن إسحاق المطلبى، قال ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق فى ذى الحجة، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، ويزيد بن رومان، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار، حين رجع إلى مكة، ورجع فل[٢] قريش من بدر، نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ، فخرج فى مئتى راكب من قريش، ليبر يمينه، فسلك النجدية، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: ثيب، من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل، حتى أتى بنى النضير تحت الليل، فأتى حيى بن أخطب، فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له بابه وخافه، فانصرف عنه إلى سَلام بن مِشكم، وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك، وصاحب كنزهم[٣]، فاستأذن عليه، فأذن له، فقراه[٤] وسقاه وبطن له من خبر الناس[٥]، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالا من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها، يقال لها: العريض فحرقوا فى أصوار[٦] من نخل بها، ووجدوا بها رجلا من الأنصار وحليفاً له فى حرث لهما، فقتلوهما، ثم انصرفوا

---

(١) أى لما قدم من بدر لم يقم بالمدينة. (٢) الفل: القوم المنهزمون.

(٣) صاحب كنزهم: يريد بالكنز المال الذى يجمعونه للطوارىء ويعدونه للنوائب التى تنوبهم وتعرض لهم.

(٤) قراه: صنع له القرى وهو الطعام الذى يقدم للضيف.

(٥) بطن له من خبر الناس: أى أعلمه من سرهم. (٦) الأصوار: جمع صور وهو جماعة النخل.

راجعين ونذر بهم الناس(١)، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبهم، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر، وهو أبو لبابة، فيما قال ابن هشام، حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طرحوها فى الحرث يتخففون منها للنجاء(٢)، فقال المسلمون، حين رجع بهم رسول الله ﷺ: يارسول الله، أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم.

قال ابن هشام: وإنما سميت غزوة السويق، فيما حدثنى أبو عبيدة: أن أكثر ماطرح القوم من أزوادهم السويق، فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق (٣).

قال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان بن حرب عند منصرفه، لما صنع به سلام بن مشكم:

وإنــى تخـيرت المــدينة واحــداً	لحـلف فلــم أندم ولم أتلوم(٤)
ســقانى فروانــى كمــيتا مدامــة	على عجل منى سلام بن مشكم(٥)
ولما تولــى الجيش قلت ولم أكن	لأفرحــه: أبشــر بعــز ومغنم(٦)
تامــل فـإن القــوم ســر وإنهم	صريح لؤى لا شماطيط جرهم(٧)
وما كــان إلا بعــض ليلة راكـب	أتى ســاعيا من غير خَلّة معدم

غزوة ذى أمر

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق، أقام بالمدينة بقيه ذى الحجة أو قريبا منها، ثم غزا نجداً، يريد غطفان، وهى غزوة ذى أمر، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله، أو إلا قليلا منه.

*****

(١) نذر بهم الناس: أى علم بهم الناس. (٢) النجاء: السرعة.
(٣) السويق: عبارة عن حنطة أو شعير محمص مطحون ممزوج بعسل وسمن.
(٤) تخيرت المدينة واحداً: أراد تخيرت من المدينة واحداً: فحذف حرف الجر وذلك كما في قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً﴾ أى اختار من قومه سبعين رجلاً. وقوله لم أتلوم: أى لم أدخل فيما آلام عليه.
(٥) الكميت والمدام: من أسماء الخمر. (٦) أفرحه: أثقله وأشق عليه.
(٧) سر القوم: خالصهم فى النسب. والصريح: بهذا المعنى أيضاً. والشماطيط: المختلطون من قبائل شتى. وجرهم: قبيلة قديمة.

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا رسول الله ﷺ، يريد قريشا، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بحران، معدنا بالحجاز من ناحية الفرع[١]، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

أمر بنى قينقاع

قال: وقد كان فيما بين ذلك، من غزو رسول الله ﷺ أمر بنى قينقاع، كان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بنى قينقاع، ثم قال: «يامعشر يهود، احذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم»؛ قالوا: يامحمد، إنك ترى أنا قومك؟! لا يغرنك أنك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إن والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس.

قال ابن إسحاق: فحدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير، أو عن عكرمة عن ابن عباس، قال: مانزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: ﴿**قل للذين كفروا ستغبلون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد. قد كان لكم آية فى فتتين التقتا**﴾: أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ، وقريش ﴿ **فئة تقاتل فى سبيل الله، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين، والله يؤيد بنصره من يشاء، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار**﴾[٢].

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا مابينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

قال ابن هشام: وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة، عن أبى عون، قال: كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها[٣]، فباعته بسوق بنى قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود،

(١٤) الفرع: قرية بناحية المدينة على طريق مكة. (١٥) آل عمران: ١٢، ١٣.
(١٦) الجلب: البضائع التى تحضر فى الأسواق للبيع.

فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، قال: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبى بن سلول، حين أمكنه منهم، فقال: يامحمد، أحسن فى موالى، وكانوا حلفاء الخزرج: قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ؛ فقال: يامحمد أحسن فى موالى، قال: فأعرض عنه. فأدخل يده فى جبيب درع رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذات الفضول.

قال ابن إسحاق: فقال له رسول الله ﷺ: أرسلنى، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللا[١] ثم قال: ويحك! أرسلنى؛ قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى، أربعمائة حاسر[٢] وثلاثمائة دارع[٣] قد منعونى من الأحمر والأسود، تحصدهم فى غداة واحدة، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: هم لك.[٤]

قال ابن هشام: واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة فى محاصرته إياهم بشير بن عبد المنذر، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبى إسحاق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ، تشبث بأمرهم[٥] عبد الله بن أبى بن سلول وقام دونهم. ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بنى عوف لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن أبى، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله عز وجل، وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يارسول الله، أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفى عبد الله بن أبى نزلت هذه القصة من المائدة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدى القوم الظالمين. فترى الذين فى قلوبهم مرض**﴾ أى لعبد الله بن أبى وقوله: إنى أخشى الدوائر ﴿ **يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى**

---

(١) الظلل: جمع ظلة وهى فى الأصل السحابة، فاستعاره هنا لتغير وجه النبى ﷺ.
(٢) الحاسر: الذى لا درع له. (٣) الدارع: لابس الدرع.
(٤) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى «تاريخه»(٢/ ٤٨٠) وابن سعد فى«الطبقات»(٢/ ٢٩).
(٥) تشبث بأمرهم: تمسك به.

بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾، ثم القصة إلى قوله تعالى: **﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** وذكر لتولى عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بنى قينقاع وحلفهم وولايتهم: **﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾**(١).

سرية زيد بن حارثة إلى القَرْدة

قال ابن إسحاق: وسرية زيد بن حارثة التى بعثه رسول الله ﷺ فيها، حين أصاب غير قريش، وفيها أبو سفيان بن حرب، على القردة، ماء من مياه نجد. وكان من حديثها: أن قريشا خافوا طريقهم الذى كانوا يسلكون إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ماكان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار، فيهم: أبو سفيان بن حرب، ومعه فضة كثيرة، وهى عُظم تجارتهم، واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل، يقال له: فرات بن حيان يدلهم فى ذلك على الطريق.

قال ابن هشام: فرات بن حيان، من بنى عجل، حليف لبنى سهم.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير ومافيها، وأعجزه، الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ.

فقال حسان بن ثابت بعد أحد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا(٢) لأخذهم تلك الطريق:

دعو فلجات الشام قد حال دونها	جـــلاد كأفــواه المخـاض الأوارك(٣)
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم	وأنصـاره حـــقا وأيـــدى الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج	فقولا لهـــا ليـــس الطريق هنالك(٤)

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى أبيات لحسان بن ثابت، نقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله فى موضعها.

******

(١) المائدة: ٥١ ـ ٥٦.
(٢) يؤنب قريشا: يوبخهم.
(٣) الفلجات: الأنهار الصغار. والجلاد: المجالدة فى الحرب. والمخاض الإبل الحوامل. والأوارك: التى ترعى شجر الأراك الذى تتخذ من أغصانه المساويك.
(٤) الغور: المنخفض من الأرض. وبطن عالج: مكان كثير الرجل.

مقتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق: وكان من حديث كعب بن الأشرف: أنه لما أصيب أصحاب بدر، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين، بعثهما رسول الله ﷺ إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه، وقتل من قتل من المشركين، كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بُردة الظفرى، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة، وصالح بن أبى أمامة بن سهل، كل قد حدثنى بعض حديثه، قالوا: قال كعب بن الأشرف، وكان رجلا من طىء، ثم أحد بنى نبهان، وكانت أمه من بنى النضير، حين بلغه الخبر، أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان - يعنى زيداً وعبد الله ابن رواحة - فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم، لبطن الأرض خير من ظهرها.

فلما تيقن عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فنزل على المطلب بن أبى وداعة بن ضبيرة السهمى، وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ، وينشد الأشعار، ويبكى أصحاب القليب من قريش، الدين أصيبوا ببدر، فقال:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله … ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم … لا تبعدوا إن الملوك تصرع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد … ذى بهجة يأوى إليه الضيع[1]
طلق اليدين إذا الكواكب أخلفت … حمال أثقال يسود ويربع[2]
ويقول أقوام أسر بسخطهم … إن ابن الأشرف ظل كعبا يجزع[3]
صدقوا فليت الأرض ساعه قتلوا … ظلت تسوخ بأهلها وتصدع[4]
صار الذى أثر الحديث بطعنه … أو عاش أعمى مرعشا لا يسمع[5]
نبئت أن بنى المغيرة كلهم … خشعوا لقتل أبى الحكيم وجدعوا[6]
وابنا ربيعة عنده ومنبه … ما نال مثل المهلكين وتبع[7]
نبئت أن الحارث بن هشامهم … فى البأس يبنى الصالحات ويجمع

---

(١) الماجد: الشريف: والبهجة: حسن الظاهر. والضيع: جمع ضائع وهو الفقير.
(٢) طلق اليدين: كثير المعروف كريم. وأخلفت: لم يكن معها مطر. ويربع: أى يأخذ ربع الغنيمة وكان رئيس القوم فى الجاهلية يأخذ الربع مما يغنمون. (٣) أراد أن ابن الأشرف كعباً ظل يجزع.
(٤) تسوخ بأهلها: يغورون فيها وينزلون ببطنها. وتصدع: تشقق. (٥) أثر الحديث: حدث به وأشاعه فى الناس.
(٦) جدعوا: قطعت آنافهم، وأراد ههنا ذهاب عزهم. (٧) تبع: ملك من ملوك اليمن.

ليـــــزور يثرب بالجـــموع وإنما ... يـحمى على الحسب الكريم الأروع[١]

قال ابن هشام: قوله« تبع»، « وأسر بسخطهم» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى، فقال:

أبكـــى لكـــعب ثم عُل بعبرة ... منه وعـــاش مجـــدعا لا يسمع[٢]
ولقد رأيت ببطن بدر منهم ... قتلى تسح لها العيون وتدمع[٣]
فابكى فقد أبكيت عبداً راضعا ... شبه الكليب إلى الكليبة يتبع[٤]
ولقد شفى الرحـــمن منا سيداً ... وأهان قومـــا قاتلـــوه وُصرعوا[٥]
ونجـا وأفلـــت منهـــم من قلبه ... شـــغـف يظل لخـــوفه يتصدع[٦]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وقوله« أبكى لكعب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت امرأة من المسلمين من بنى مُريد، بطن من بلى، كانوا حلفاء فى بنى أمية بن زيد؛ يقال لهم: الجعادرة، تجيب كعبا ـ قال ابن إسحاق: اسمها ميمونة بنت عبد الله، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها، وينكر نقيضتها لكعب بن الأشرف:

تحنن هـــذا العبد كـــل تحـــنن ... يبكى علـى قتلـى وليس بناصب[٧]
بكت عين من يبكى لبدر وأهله ... وعُلـت بمثليها لـــؤى بن غالب[٨]
فليـــت الذين ضرجـــوا بدمائهم ... يرى مابهم من كان بين الأخاشب[٩]
فيعلم حـــقا عـن يقين ويبصروا ... فجرهم فوق اللحى والحواجب

معى أصحابا لى على مثل رأيى، وقد أردت أن آتيك بهم، فتبيعهم وتحسن فى ذلك،

ألا فازجـروا منكم سفيها لتسلموا ... عن القول يأتى منه غير مُقارب[١٠]

(١) الأروع: من يبهرك حسنه وجماله.
(٢) العلل: الشرب بعد الشرب واستعاره ههنا لمداومة البكاء. ومجدعًا: ذاهب العز ذليلا وأصله جدع الأنف.
(٣) تسح: تصب الدمع. (٤) راضعًا: أراد لئيمًا.
(٥) عنى هنا بالسيد: النبي ﷺ. (٦) الشغف: من تقطع شغاف قلبه حزنًا. ويتصدع: يتشقق
(٧) تحنن: من الحنان وهو الرحمة والرأفة. تريد تصنع ذلك وتكلفه.. وناصب: هو المعيى..
(٨) وعلت بمثليها: أى كرر عليها ذلك مرة بعد مرة.
(٩) ضرجوا بدمائهم: لطخوا به. والأخاشب: يريد الأخشبين وهما جبلان بمكة وجمعهما مع الجبال التى معهما.
(١٠) سفيهًا: ذكر السفيه وهو يريد المرأة التى يجيبها لأنه حمل ذلك على معنى الشخص، والشخص مذكر.

أتشتمنى أن كنت أبكى بعبرة | لقوم أتانى ودهـــم غير كاذب[١]
فإنى لبــاك مابقيــت وذاكـــر | مآثر قوم مجدهم بالجباجب[٢]
لعمـــرى لقد كانت مريد بمعزل | عن الشر فاحتالت وجوه الثعالب[٣]
فحق مريــــد أن تجـــــد أنوفهم | بشتـمهم حيـى لؤى بـن غالب[٤]
وهبت نصيبى مـن مـريد لجـعدر | وفاء وبيت الله بين الأخاشب[٥]

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب[٦] بنساء المسلمين حتى آذاهم، فقال رسول الله ﷺ، كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بردة: «**من لى بابن الأشرف؟**» فقال له محمد بن مسلمة؛ أخو بنى عبد الأشهل: أنا لك به يارسول الله، أنا أقتله؛ قال: «**فافعل إن قدرت على ذلك**» فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولايشرب إلا مايعلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه، فقال له: لم تركت الطعام والشراب؟ فقال: يارسول الله، قلت لك قولا لا أدرى هل أفين لك به أم لا؟ فقال: إنما عليك بالجهد؛ فقال: يارسول الله، إنه لا بد لنا من أن نقول: قال: قولوا مابدا لكم، فأنتم فى حل من ذلك فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة، وسلكان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة، أحد بنى عبد الأشهل، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعباد بن بشر بن وقش، أحد بنى عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن معاذ، أحد بنى عبد الأشهل، وأبو عبس بن جبر، أحد بنى حارثة، ثم قدموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف، قبل أن يأتوه، سلكان بن سلامة، أبا نائلة، فجاءه فتحدث معه ساعة، وتناشدوا شعراً، وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال: ويحك يابن الأشرف! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك، فاكتم عنى، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا به العرب، ورمتنا عن قوس واحدة، وقلعت عنا السبل حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا؛ فقال كعب: أنا ابن الأشرف، أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ماأقول؛ فقال له سلكان: إنى قد أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك، ونحسن فى ذلك؛ فقال: أترهنونى أبناءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا إن

---

(١) العبرة: الدمعة.
(٢) مآثر: جمع مأثرة وهى ما يتحدث به عن الرجل من الأفعال الحسنة والمجد: الشرف. والجباجب: منازل مكة.
(٣) مريد: اسم قبيلة منها المرأة التى يجيبها. وقوله فاحتالت: معناه تغيرت.
(٤) تجد: تقطع.. (٥) جعدر: قبيلة وهى مريد.
(٦) شبب: بنساء المسلمين: تغزل فيهن وذكرهن فى شعره.

ونرهنك من الحلقة مافيه وفاء، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها؛ قال: إن فى الحلقة[1] لوفاء؛ قال: فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: ويقال: أترهنونى نساءكم؟ قال: كيف نرهنك نساءنا، وأنت أشب أهل يثرب وأعطوهم؛ قال: أترهنونى أبناءكم؟

قال ابن إسحاق: فحدثنى ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم، فقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، وهو فى ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان حديث عهد بعرس، فوثب فى ملحفته فأخذت امرأته بنا حيتها، وقالت: إنك امرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة، قال: إنه أبو نائلة، لو وجدنى نائما لما أيقظنى؛ فقالت: والله إنى لأعرف فى صوته الشر؛ قال: يقول لها كعب: لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب. فنزل فتحدث معهم ساعة، وتحدثوا معه، ثم قال: هل لك يابن الأشرف أن تتماشى إلى شعب العجوز، فنتحدث به بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شام يده فى فود رأسه[2]، ثم شم يده فقال: ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها، فأخذ بفود رأسه، ثم قال: اضربوا عدو الله، فضربوه، فاختلفت عليه أسيافهم، فلم تغن شيئا.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولا[3] فى سيفى، حين رأيت أسيافنا لا تغنى شيئا، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدت عليه نار، قال: فوضعته فى ثنته[4] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ، فجرح فى رأسه أو فى رجله، أصابه بعض أسيافنا، قال: فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد، ثم على بنى قريظة، ثم على بعاث حتى أسندنا[5] فى حرة العريض[6]، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن

---

(١) الحلقة: الدروع وأراد بالحلقة هنا جميع السلاح..

(٢) شام يده فى فود رأسه: أى أدخل يده فى شعره، وفود الرأس: جانبه من جهة الأذن.

(٣) المغول: السكين. (٤) الثنة: ما بين السرة والعانة.

(٥) أسندنا: ارتفعنا.

(٦) حرة العريض: الحرة الأرض ذات المجارة السود. والعريض: وادى بالمدينة.

أوس، ونزفه الدم[١]، فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا. قال: فاجتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل، وهو قائم يصلى، فسلمنا عليه فخرج إلينا، فأخبرناه بقتل عدو الله، وتفل على جرح صاحبنا، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه[٢].

قال ابن إسحاق: فقال كعب بن مالك:

فغودر منهم كعب صريعا ... فذلت بعد مصرعه النضير[٣]
على الكفين ثم وقد علته ... بأيدينا مشهرة ذكور[٤]
بأمر محمد إذ دس ليلا ... إلى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر ... ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير، سأذكرها إن شاء الله فى حديث ذلك اليوم.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق:

لله در عصابة لاقيتهم ... يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف[٥]
يسرون بالبيض الخفاف إليكم ... مرحا كأسد فى عرين مُغرف[٦]
حتى أتوكم فى محل بلادكم ... فسقوكم حتفا ببيض ذفق[٧]
مستنصرين لنصر دين نبيهم ... مستصغرين لكل .أمر مجحف[٨]

قال ابن هشام: وسأذكر قتل سلام بن أبى الحقيق فى موضعه إن شاء الله.

وقوله: «ذنف»، عن غير ابن إسحاق.

---

(١) نزفه الدم: أضعفه بكثرة سيلانه.

(٢) قصة قتل كعب بن الأشراف رواها البخاري (٥/ ١٤٢) باب أرض السلاح. ومسلم (٤٥٨٣) فى المغازى. وأبو داود فى الجهاد (٢٧٦٨) والنسائى فى «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٣/ ٢٥٣) وقال الحافظ ابن حجر: «قال السهيلى فى قوله: «**من لى لكعب بن الأشرف**» جواز قتل من سب رسول الله ﷺ ولو كان ذا عهد خلافًا لأبى حنيفة. كذا قال وليس متفقًا عليه عند الحنيفة والله أعلم. وانظر: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» لشيخ الاسلام ابن تيمية.

(٣) غودر: ترك. والنضير: قبيلة من يهود المدينة.

(٤) مشهرة: يريد سيوفا مجروة من أغمادها.

(٥) العصابة: الجماعة.

(٦) يسرون: يسيرون ليلا. والبيض: السيوف. والعرين: موضع الأسد. ومغرف: ملتف الشجر.

(٧) ذفف: سريعة القتل.

(٨) المجحف: الذى يذهب بالنفوس والأموال.

أمر محيصة وحويصة

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ: **«من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه»** فوثب محيصة بن مسعود - قال ابن هشام محيصة ويقال: محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزوج بن عمرو بن مالك بن الأوس - على ابن سنينة - قال ابن هشام: ويقال شنينة - رجل من تجار يهود، كان يلابسهم ويبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم، وكان أسن من محيصة، فلما قتله جعل حويصة يضربه، ويقول: أى عدو الله، أقتلته، أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله، قال: محيصة؛ فقلت: والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك؛ قال فوالله إن كان لأول إسلام حويصة قال: آولله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى؟ قال: نعم والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها! قال: والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب، فأسلم حويصة.

قال ابن إسحاق: حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة، عن ابنة محيصة، عن أبيها محيصة. قال محيصة فى ذلك:

يلوم ابن أمى لو أمرت بقتله	لطبقت ذفراه بأبيض قاضب[1]
حسام كلون الملح أخلص صقله	متى ما أصوبه فليس بكاذب[2]
ما سرنى أنى قتلتك طائعا	وأن لنا ما بين بصرى ومأرب[3]،[4]

قال ابن هشام: وحدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو المدنى، قال: لما ظفر رسول الله ﷺ ببنى قريظة أخذ منهم نحوا من أربعمائة رجل من اليهود، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج، فأمر رسول الله ﷺ بأن تضرب أعناقهم، فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم، ويسرهم ذلك، فنظر رسول الله ﷺ إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم، فظن أن ذلك للحلف الذى بين الأوس وبين بنى قريظة ولم يكن بقى من بنى قريظة إلا اثنا عشر رجلا، فدفعهم إلى الأوس، فدفع إلى كل رجلين من الأوس رجلا من بنى قريظة وقال: ليضرب فلان وليذفِّف فلان فكان ممن دفع إليهم كعب بن يهوذا، وكان عظيما فى بنى قريظة، فدفعة إلى محيصة بن مسعود، وإلى أبى بردة بن نيار - وأبو بردة الذى رخص له

(١) طبقت: قطعت: والزفران: عظمان ناتئان خلف الأذنين. والأبيض: السيف: والقاضب: القاطع.
(٢) الحسام: السيف القاطع: وأصوبه: أميله للضرب به. (٣) بصرى: مدينة بالشام. ومأرب: باليمن.
(٤) فى إسناده من لا يعرف. رواه أبو نعيم كما فى «كنز العمال»(٣٧٥٣٣) وذكره ابن الأثير فى «أسد الغابة» بإسناد ابن إسحاق(١/ ٦٣١).

رسول الله ﷺ في أن يذبح جذعا من المعز فى الأضحى - وقال: ليضربه محيصة وليذفف عليه أبو بردة، فضربه ضربة لم تقطع، وذفف أبو بردة فأجهز عليه، فقال حويصة، وكان كافرا، لأخيه محيصة: أقتلت كعب بن يهوذا؟ قال، نعم، فقال حويصة: أما والله لرب شحم قد نبت فى بطنك من ماله، إنك للئيم يامحيطة، فقال له محيصة: لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك، فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجبا. فذكروا أنه جعل يتيقظ من الليل: فيعجب من قول أخيه محيصة، حتى أصبح وهو يقول: والله إن هذا لدين، ثم أتى النبى ﷺ فأسلم[١]، فقال محيصة فى ذلك أبياتا قد كتبناها.

قال ابن إسحاق: وكانت إقامة رسول الله ﷺ، بعد قدومه من نجران، جماد الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان، وغزته قريش غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث.

غـــزوة أحـــد

وكان من حديث أحد، كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمر ابن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد، وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا، أو من قال منهم.

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع فلهم[٢] إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره، مشى عبد بن أبى ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية فى رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يامعشر قريش، إن محمداً قد وتركم[٣]، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا .

قال ابن إسحاق: ففيهم، كما ذكر لى بعض أهل العلم، أنزل الله تعالى: ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة، ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾[٤].

اجتماع قريش للحرب: فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب، وأصحاب العير بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كنانة، وأهل

(١) إسناده مرسل.
(٢) فلهم: المنهزمون منهم.
(٣) وتركم: ظلمكم أو جعل لكم عنده ثأراً.
(٤) الأنفال: ٣٦.

تهامة. وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى قد منَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيرا ذا عيال وحاجة، وكان فى الأسارى فقال: إنى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على صلى الله عليك وسلم، فمن عليه رسول الله ﷺ. فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر، فأعنا بلسانك، فاخرج معنا؛ فقال: إن محمداً قد منَّ على فلا أريد أن أظاهر عليه؛ قال: بلى فأعنا بنفسك، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر، فخرج أبو عزة فى تهامة، ويدعو بنى كنانة ويقول:

إيهـــا بنى عبـد منـاة الرزَّام	أنتم حـماة وأبوكـم حـــام[١]
لاتعـــدونى نصركـم بـعد العام	لاتسلمونى لا يحـل إسـلام

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بنى مالك ابن كنانة، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فقال:

يامـال، مـال الحـسب المقدم	أنشـد ذا القربـى وذا التذمم[٢]
من كان ذا رُحم ومن لم يرحم	الحـلف وسـط البلـد المحـرم[٣]

عند حطيم الكعبة المعظم[٤]

ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشياً يقال له: وحشى، يقذف بحربة له قذف الحبشة، قلما يخطىء بها، فقال له اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى، فأنت عتيق.

فخرجت قريش بحدها وجدها وحديدها وأحابيشها، ومن تابعها من بنى كنانة، وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن[٥]؟ التماس الحفيظة[٦]، وألا يفروا فخرج أبو سفيان بن حرب، وهو قائد الناس، بهند بنت عتبة وخرج عكرمة ابن أبى جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمر بن عمير

(١) الرزام: من يثبتون فى مكانهم لا يبرحونه، يريد أنهم ثابتون فى الحرب.
(٢) يامال: أراد يامالك فرخم. ومال الثانية كالأولى، إلا أن الترخيم فيها ضرورة لكونه مضافًا إلى الحسب.
والحسب: الشرف. وأنشد: أذكر. والتذمم: الذمام، يقصد بذى التذمم صاحب العهد.
(٣) ذا رحم: ذا قرابة، ومن لم يرحم؛ من كان من غير ذى القرابة والحلف: العهد.
(٤) الحطيم: مابين الحجر إلى ميزاب الكعبة. (٥) الظعن: جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج.
(٦) الحفيظة: الأنفة والغضب.

الثقفية، وهى أم عبد الله بن صفوان بن أمية.

قال ابن هشام: ويقال: رقية.

قال ابن إسحاق: وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية وهى أم بنى طلحة: مسافع والجلاس وكلاب، قتلوا يومئذ هم وأبوهم، وخرجت وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبى عزيز بن عمير، وهى أم مصعب بن عمير، وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة. وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مر بها، قالت: ويها[1] أبا دسمة أشف واستشف، وكان وحشى يكنى بأبى دسمة، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين، بحبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى، مقابل المدينة.

رؤيا رسول الله ﷺ ومشاورته القوم: قال فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا، قال رسول الله ﷺ للمسلمين: إنى قد رأيت والله خيرا، رأيت بقرأ ورأيت فى ذباب سيفى ثلما، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة.

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ قال: رأيت بقرا لى تذبح؟ قال: فأما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى، فهو رجل من أهل بيتى يقتل.

قال ابن إسحاق: فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله ابن أبى بن سلول مع رأى رسول الله ﷺ، يرى رأيه فى ذلك، وألا يخرج إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره، ممن كان فاته بدر يارسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا؟ فقال عبد الله بن أبى بن سلول: يارسول الله، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ماخرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يارسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى

---

(١) ويها: كلمة معناها الإغراء والتحريض.

دخل رسول الله ﷺ بيته، فلبس لامته[1]، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له؛ مالك بن عمرو ، أحد بنى النجار فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس، وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ، ولم يكن لنا ذلك.

فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ، قالوا: يارسول الله: استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: ماينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل، فخرج رسول الله ﷺ فى ألف من أصحابه.

قال ابن هشام: واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس.

انخذال المنافقين: قال ابن إسحاق: حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد، انخزل عنه عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصانى، ماندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، أخو بنى سلمة، يقول: ياقوم، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم؛ فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال. قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الإنصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغنى الله عنكم نبيه.

قال ابن هشام: وذكر غير زياد، عن محمد بن إسحاق عن الزهرى: أن الأنصار يوم أحد، قالوا لرسول الله ﷺ: يارسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال: لاحاجة لنا فيهم.

قال زياد: حدثنى محمد بن إسحاق، قال: ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك فى حرة بنى حارثة، فذب فرس بذنبه،[2] فأصاب كلاّب سيف[3] فاستله.

قال ابن هشام: ويقال: كِلاب سيف.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ، وكان يحب الفأل ولايعتاف[4] لصاحب السيف: شم سيفك،[5] فإنى أرى السيوف ستسل اليوم.

ماكان من مربع المنافق حين سلك المسلمون حائطه: ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه: من رجل يخرج بنا على القوم من كثب: أى من قرب، من طريق لايمر

---

(١) اللأمة: الدرع، وقد يسمى السلاح كله لأمة.
(٢) ذب فرس بذنبه: حرك ذيله ليطير الحشرات.
(٣) كلاب السيف: مسمار يكون فى قائم السيف.
(٤) لا يعتاف: أى لايتطير ولا يتشائم.
(٥) شم سيفك: أى اغمره. وقد يكون معناه جرده، فإن هذه الكلمة من الأضداد.

بنا عليهم؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فنفذ به فى حرة بنى حارثة، وبين أموالهم، حتى سلك فى مال لمربع بن فيظى، وكان رجلا منافقا ضرير البصر، فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، قام يحثى فى وجوههم التراب، ويقول: إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل حائطى. وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من تراب فى يده، ثم قال: والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: لاتقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر. وقد بدر إليه سعد بن زيد، أخو بنى عبد الأشهل، قبل نهى رسول الله ﷺ عنه، فضربه بالقوس فى رأسه، فشجه.

نزول الرسول بأحد: قال: ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد، فى عدوة الوادى إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لايقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال. وقد سرحت قريش الظهر والكراع[١] فى زروع كانت بالصمغة[٢]، من قناة للمسلمين: فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال: أترعى زروع بنى قيلة[٣] ولما نضارب! وتعبَّى رسول الله ﷺ للقتال، وهو فى سبعمائة رجل، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير، أخا بنى عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض، والرماة خمسون رجلا، فقال: انضح الخيل[٤] عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أوعلينا، فاثبت مكانك لا نُؤتين من قبلك وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين[٥] ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، أخى بنى عبد الدار.

الرسول يجيز من هم فى الخامسة عشرة: قال ابن هشام: وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الفزارى، ورافع بن خديج، أخا بنى حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردهما، فقيل له: يارسول الله إن رافعا رام، فأجازه؛ فلما أجاز رافعا قيل له: يا رسول الله، فإن سمرة يصرع رافعا، فأجازه. ورد رسول الله ﷺ: أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، أحد بنى مالك بن النجار. والبراء بن عازب، أحد بنى حارثة، وعمرو بن حزم، أحد بنى مالك بن النجتر، وأسيد بن ظُهير، أحد بنى حارثة، ثم أجازهم يوم الخندق، وعم أبناء خمس عشرة سنة.

---

(١) الظهر: الإبل. والكراع: الخيل. (٢) الصمغة: اسم موضع.
(٣) بنو قيلة: هم الأوس. وقيلة اسم أم من أمهات الأنصار نسبوا إليها.
(٤) انضح الخيل: ادفعهم عنا. (٥) ظاهرين درعين: لبس درعًا فوق درع.

قال ابن إسحاق: وتعبأت قريش، وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مئتا فرس قد جنبوها[1]، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل.

أبو دجانة وشجاعته: وقال رسول الله ﷺ: من يأخذ هذا السيف بحقه؟

فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، أخو بنى ساعدة، فقال: وماحقه يارسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى، قال: أنا آخذه يارسول الله بحقه، فأعطاه إياه وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال[2] عند الحرب، إذا كانت، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء، فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل؛ فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصفين.[3]

قال ابن إسحاق: فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب، عن رجل من الأنصار من بنى سلمة، قال: قال رسول الله ﷺ، حين رأى أبا دجانة يتبختر إنها لمشية يبغضها الله، إلا فى مثل هذا الموطن.[4]

أبو عامر الفاسق: قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن أبا عامر، عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان، أحد بنى ضبيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلاما من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلا، وكان يعد قريشا أن لوقد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان: فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى: يامعشر الأوس، أنا أبو عامر قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يافاسق، وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية: الراهب، فسماه رسول الله ﷺ: الفاسق - فلما سمع ردهم عليه قال: أصاب قومى بعدى شر، ثم قاتلهم قتالا شديدا، ثم راضخهم[5] بالحجارة.[6]

أبو سفيان وامرأته يحرضان قريشا: قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يابنى عبد الدار، إنكم

---

(١) جنبوها: قادوها. (٢) يختال عند الحرب: هو من الخيلاء وهو الزهو.

(٣) رواه بنحوه مسلم(٢٤٧٠) وأحمد(٣/ ١٢٣).

(٤) فى إسناده من لا يعرف. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٢/ ٥١١)من طريق ابن إسحاق، وقال الهيثمى فى«المجمع» (٦/ ١٠٩) رواه الطبرانى وفيه من لم أعرفه.

(٥) راضخهم بالحجارة: رماهم. (٦)إسناه مرسل. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٢/ ٥١٢)من طريق ابن إسحاق.

قد وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ماقد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه؛ فهموا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع؟! وذلك أراد أبو سفيان.

فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويحرضنهم، فقالت هند فيما تقول:

ويهـــا بنـــى عبـد الـــدار ... ويهـــا حـــماة الأدبـــار
ضربـــا بكـــل بتـار[١]

وتقول:

إن تقبلـــوا نعانـــــق ... ونفـــــرش النمـــــارق[٢]
أو تدبـــــروا نفـــارق ... فـــــراق غـير وامـــق[٣]

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد: أمت، أمت، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فاقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس.

قال ابن هشام: حدثنى غير واحد، من أهل العلم، أن الزبير بن العوام قال: وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة، وقلت: أنا ابن صفية عمته، ومن قريش، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله، فأعطاه إياه وتركنى، والله لأنظرن مايصنع؛ فاتبعته، فأخرج عصابة له حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها فخرج وهو يقول:

أنا الـــذى عاهدنى خـــايلى ... ونحـــن بالسفح لـــدى النخيل[٤]
ألا أقـــوم للدهـــر فى الكيول ... أضرب بسـيف الله والرســـول[٥]

قال ابن هشام: ويروى فى الكبُول[٦].

---

(١) وَيْهًا: كلمة تحريض وإغراء. وحماة الأدبار: الذين يحمون أعقاب الناس. والبتار: السيف القاطع الماضى فى ضربته.
(٢) النمارق: جمع نمرقة، وهى الوسادة الصغيرة. (٣) الوامق: المحب.
(٤) السفح: جانب الجبل. (٥) الكيول: آخر الصفوف فى الحرب. (٦) الكبول: القيود

قال ابن إسحاق: فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله. وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفف عليه[١]، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه. فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة، فاتقاه بدرقته، فعضت بسيفه، وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها. قال الزبير فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو دجانة سماك بن خرشة: رأيت إنسانا يخمش الناس[٢] خمشا شديداً، فصمدت له[٣]، فلما حملت عليه السيف ولول[٤] فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

استشهاد حمزة: وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شُرحبيل ابن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشانى، وكان يكنى بأبى نيار، فقال له حمزة: هلم إلى يابن مقطعة البظور ـ وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى.

قال ابن هشام: شريق بن الأخنس بن شريق. وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

قال وحشى، غلام جبير بن مطعم: والله إنى لأنظر إلى حمزة يهد[٥] الناس بسيفه مايليق[٦] به شيئا، مثل الجمل الأورق[٧] إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى، فقال له حمزة: هلم إلى يابن مقطعة البظور، فضربه ضربة، فكأنما أخطأ رأسه[٨]، وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوى، فغُلب فوقع، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتى، ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم تكن لى بشىء حاجة غيره.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أميه الضمرى قال: خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الخيار أخو بنى نوفل بن عبد مناف، فى زمان معاوية بن أبى سفيان، فأدربنا[٩] مع الناس فلما قفلنا مررنا بحمص ـ وكان وحشى، مولى جبير بن مطعم،

(١) ذفف عليه: أجهز عليه وأسرع فى قتله.

(٢) خمش وجهه يخمشه: خدشه ولطمه وضربه وقطع عضوا منه. القاموس.

(٣) صمدت له: قصدت نحوه. (٤) الولولة: رفع الصوت، وقيل: قول: ياويلاه.

(٥) يهد الناس: يهلكهم. (٦) مايليق: مايبقى. (٧) الأورق: الذى لونه بين الغبرة والسواد.

(٨) فكأنما أخطأ رأسه: هذا يقال عند المبالغة فى الإصابة، كذا فى الزرقانى على المواهب.

(٩) أدربنا: جزنا الدروب. والدروب: جمع درب، وهو الموضع الحاجز بين بلاد الإسلام وبلاد العجم.

قد سكنها، وأقام بها ـ فلما قدمناها، قال لى عبيد الله بن عدى: هل لك فى أن نأتى وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله؟ قال: قلت له: إن شئت فخرجنا نسأل عنه بحمص، فقال لنا رجل، ونحن نسأل عنه: إنكما ستجدانه بفناء داره، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر، فإن تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا، وتجدا عنده بعض ماتريدان، وتصيبا عنده ماشئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تجداه وبه بعض مايكون به، فانصرفا عنه ودعاه، قال: فخرجنا نمشى حتى جئناه، فإذا هو بفناء داره على طنفسة[1] له، فإذا شيخ كبير مثل البغاث.

قال ابن هشام: البغاث: ضرب من الطير إلى السواد ـ

فإذا هو صاح لا بأس به. قال: فلما انتهينا إليه سلمنا عليه، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدى، فقال: ابن لعدى بن الخيار أنت؟ قال نعم؛ قال: أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التى أرضعتك بذى طوى، فإنى ناولتكما وهى على بعيرها، فأخذتك بعُرضيْك[2] فلمعت لى قدماك حين رفعتك إليها، فوالله ماهو إلا أن وقفت على فعرفتهما. قال: فجلسنا إليه، فقلنا له: جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة، كيف قتلته؟ فقال: أما إنى سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألنى عن ذلك، كنت غلاما لجبير بن مطعم، وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر؛ فلما سارت قريش إلى أحد قال لى جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق قال: فخرجت مع الناس، وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة، قلما أخطىء بها شيئا؛ فلما التقى البأس خرجت أنظر حمزة وأتبصره، حتى رأيته فى عُرض الناس مثل الجمل الأورق، يهد الناس بسيفه هداً، مايقوم له شىء، فوالله إنى لأتهيأ له، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى؛ فلما رآه حمزة قال له: هلم إلى يابن مقطعة البظور قال: فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه. قال: وهززت حربتى، حتى إذا رضيت منها، دفعتها عليه، فوقعت فى ثنته، حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء[3] نحوى، فغلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتى، ثم رجعت إلى العسكر، فقعدت فيه، ولم يكن لى بغية حاجة، وإنما قتلته لأعتق فلما قدمت مكة أعتقت ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف، فمكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت علىَّ المذاهب، فقلت: ألحق بالشام، أو

(١) الطنفسية: كل مايجلس عليه كالبساط والوسائد والحصير والثوب.

(٢) بعرضيك: بجانبيك.

(٣) ينؤ: ينهض متعبًا.

باليمن، أو ببعض البلاد؛ فوالله إنى لفى ذلك من همى إذا قال لى رجل: ويحك إنه والله ما يقتل أحد من الناس دخل فى دينه، وتشهد شهادته.

فلما قال لى ذلك، خرجت حتى قدمتُ على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرعه إلا بى قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق؛ فلما رآنى قال: أوحشى؟ قلت: نعم يارسول الله قال: اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة، قال: فحدثته كما حدثتكما، فلما فرغت من حديثى: قال: ويحك! غيب عنى وجهك. فلا أرينك. قال: فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يرانى، حتى قبضه الله ﷺ.

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم، وأخذت حربتى التى قتلت بها حمزة؛ فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائما فى يده السيف، وما أعرفه، فتهيأت له، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريده، فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت فيه، وشد عليه الأنصارى فضربه بالسيف، فربك أعلم أينا قتله فإن كنت قتلته: فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وقد قتلت شر الناس.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن الفضل، عن سليمان بن يسار، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان قد شهد اليمامة، قال: سمعت يومئذ صارخا يقول: قتله العبد الأسود.[1]

قال ابن هشام: فبلغنى أن وحشياً لم يزل يحد فى الخمر حتى خلع من الديوان، فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة.

استشهاد مصعب: قال ابن إسحاق: وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان الذى قتله ابن قمئة الليثى، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً. فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء على بن أبى طالب، وقاتل على بن أبى طالب ورجال من المسلمين.

قال ابن هشام: وحدثنى مسلمة بن علقمة المازنى، قال: لما أشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار؛ وأرسل رسول الله ﷺ إلى على بن أبى طالب رضوان الله عليه: أن قدم الراية. فتقدم على، فقال: أنا أبو الفصُم، ويقال: أبو القصم[2]، فيما قال ابن هشام ـ فناداه أبو سعيد بن أبى طلحة، وهو صاحب لواء

(١) إسناده صحيح. ورواه البخارى بنحوه(٧/ ٣٦٧ـ٣٦٨) كتاب المغازى. باب: قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه.

(٢) أى: أنا أبو المعضلات.

المشركين: أن هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرز بين الصفين، فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه؛ فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلنى بعورته، فعطفتنى عنه الرحم، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله.

ويقال: إن أبا سعد بن أبى طلحة خرج بين الصفين، فنادى: أنا قاصم من يبارز برازا، فلم يخرج إليه أحد فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم فى الجنة، وأن قتلانا فى النار كذبتم واللات! لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلى بعضكم، فخرج إليه على بن أبى طالب، فاختلفا ضربتين، فضربه على فقتله.

خبر عاصم بن ثابت: وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة، كلاهما يشعره سهما[١]، فيأتى أمه سلافة، فيضع رأسه فى حجرها فتقول: يابنى، من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلا حين رمانى وهو يقول: خذها وأنا ابن أبى الأقلح فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا أبدا، ولا يمسه مشرك[٢].

وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ، وهو يحمل لواء المشركين:

إن على أهل اللواء حقا أن ... يخضبوا الصَّعدة أوتَنَدقَّا [٣]

فقتله حمزة بن عبد المطلب.

حنظلة غسيل الملائكة: والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة بن أبى عامر رآه شداد بن الأسود، وهو ابن شعوب، قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله. فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم - يعنى حنظلة - لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه؟ فسئلت صاحبته عنه. فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة.

قال ابن هشام: ويقال: الهائعة وجاء فى الحديث: « **خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه، كلما سمع هيعة[٤] طار إليها[٥]** » قال الطرماح بن حكيم الطائى،

---

(١) يشعره سهماً: يصيبه به فى جسده فيصير له مثل الشعار.

(٢) استشهد عاصم يوم بئر الرجيع، وأراد قاتلوه أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد، فمنعته الدبر، فلما حالت بينه وبينهم قالوا: دعوه يمسى فتذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادى، فاحتمل عاصم فذهب، ولم يمسه مشرك. وسيأتى تفصيل ذلك فى خبر بئر الرجيع.

(٣) الصعدة: القناة. (٤) الهيعة: الصيحة التى فيها الفزع.

(٥) روى نحوه مسلم(١٨٠٦٤) أحمد(٢/٤٤٣) والنسائى فى الكبرى كما فى «تحفة الأشراف»(٩/٣٠٨) وابن ماجه (٣٩٧٧) والحاكم (٤/٤٦٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

والطرماح: الطويل من الرجال:

أنا ابن حـماة المجد من آل مـالك ... إذا جـعلت خـور الرجال تهيع[1]

والهيعة: الصيحة التى فيها الفزع.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: لذلك غسلته الملائكة.

شعر الأسود وأبى سفيان فى قتل حنظلة: قال ابن إسحاق: وقال شداد ابن الأسود فى قتله حنظلة:

لأحمين صاحـبى ونفسـى ... بطعنة مثل شعـاع الشـمس

وقال أبو سفيان بن حرب، وهو يذكر صبره فى ذلك اليوم، ومعاونة ابن شعوب إياه على حنظلة:

ولـوشئت نجـتنى كـميت طِمرَّةٌ ... ولم أحمل النعماء لابن شعوب[2]

ومازال مهرى مزجر الكلب منهم ... لدن غدوة حـتى دنـت لغروب[3]

أقاتلهم وأدعـى يالغـالب ... وأدفعهـم عنـى بركـن صليب[4]

فبكـى ولاترعـى مقالة عاذل ... ولاتسأمـى مـن عبرة ونحيب[5]

أباك وإخـوانا له قـد تتابعـوا ... وحـق لهـم مـن عبرة بنصيب

وسلى الذى قد كان فى النفس أنى ... قتلت من النجار كل نجيب

ومن هاشم قرما كريما ومصعبا ... وكان لدى الهيجاء غير هيوب[6]

ولو أننى لم أشف نفسى منهم ... لكانت شجا فى القلب ذات ندوب[7]

فآبوا وقد أودى الجلابيب منهم ... بهم خـدب من معطب وكئيب[8]

أصابهم من لـم يكـر لدمائهم ... كفـاء ولا فى خـطة بضريب[9]

---

(١) الخور: جمع أخور وهو من صفته الخور وهو الجبن والضعف..

(٢) الطمرة: الفرس السريعة الوثب يريد أنه لو أراد الهرب لركب فرسه الذى هذه صفته فنجا عليه.

(٣) مزجر الكلب: يريد أنه فى المكان القريب الذى يزجر الكلب فيه والضمير المستتر فى قوله: دنت لضروب، عائد إلى الشمس وإنما أضمرها مع أنه لم يتقدم لها ذكر لأن الغداة دلت عليه، كما قال تعالى: ﴿**حتى توارت بالحجاب**﴾ فإن الضمير المستتر فى (توارت) عائد إلى الشمس ولم يتقدم لها ذكر.

(٤) صليب: شديد قوى.

(٥) لاترعى: لاتحفظى. والعَبَرة: الدمعة. والنحيب: البكاء مع رفع الصوت.

(٦) القرم: الفحل الكريم من الإبل، وعنى بها ههنا حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه. والمصعب: الفحل من الإبل أيضًا. والهيجاء: الحرب. وهيوب: خائف شديد الخوف.

(٧) الشجا: الحزن. والندوب: جمع ندب وهو أثر الجرح.

(٨) الجلابيب: جمع جلباب، وهو الإزار الخشن، وكان الكفار من أهل مكة يسمون من أسلم مع النبى ﷺ الجلابيب. وأودى: هلك. والخدب: الطعن النافذ إلى الجوف. والمعيط: الذى يسيل دمه. وكئيب: حزين.

(٩) الخطة: الخصلة الرفيعة. والضريب: الشبيه.

حسان والحارث يردان على أبى سفيان: فأجابه حسان بن ثابت، فيما ذكر ابن هشام فقال:

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ... ولسـت لـزور قلته بمصيب[1]
أتعجب أن أقصدت حـمزة منهم ... نجيبا وقـد سـميته بنجـيب[2]
ألـم يقتلـوا عمرا وعتبة وابنه ... وشيبة والحـجاج وابـن حـبيب
غداة دعا العاصـى عليا فراعـه ... بضـربة عضـب بله بخـضيب[3]

قال ابن إسحاق: وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبى سفيان فيما دفع عنه، فقال:

ولولا دفاعى يابن حرب ومشهدى ... لألفيت يـوم النعف غير مجيب[4]
ولولا مكرى المهر بالنعف قرقرت ... ضبـاع عليه أو ضـراء كـليب[5]

قال ابن هشام: قوله عليه أو ضراء عن غير ابن إسحاق:

جـزيتهم يومـا ببدر كـمثله ... علـى سـابح ذى ميعة وشـبيب[6]
لدى صحن بدر أو أقمت نوائحا ... عليك ولم تحـفل مـصاب حبيب
وإنك لو عـاينت ماكـان منهـم ... لأبـت بقلـب مـابقيت نخيب[7]

قال ابن هشام: وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظن أنه عرّض به قال ابن إسحاق: وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبى سفيان فيما دفع عنه، فقال: قوله:

ومازال مهرى مزجر الكلب منهم

لفرار الحارث يوم بدر.

الزبير يذكر سبب الهزيمة: قال ابن إسحاق. ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده، فحسوهم[8] بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها.

---

(١) القروم: جمع قرم وهو الفحل من الإبل. والمراد به ههنا الكريم من الناس. والصيد: جمع أصيد وهو المتكبر.
(٢) أقصدت: أصبت.
(٣) العضب: السيف القاطع. والخضيب: أراد به ههنا الذى يخضب مايصل إليه.
(٤) النعف: أسفل الجبل.
(٥) قرقرت: أسرعت وخفت لأكله. والضباع: جمع ضبع والضراء: الضارية التى تعددت الصيد وأكل لحوم الناس وكليب: اسم جماعة الكلاب.
(٦) السابح: الفرس الذى كأنه يعوم فى الماء، والميعة: الخفة والنشاط. والشبيب: هو أن يرفع الفرس يديه جميعاً.
(٧) أبت: رجعت. ونخيب: خال فارغ، وأراد أنه جبان.
(٨) حسوهم: قتلوهم، ومنه قوله تعالى: ﴿إذ تحسونهم بإذنه﴾ أى تقتلونهم.

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير، أنه قال: والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدم[1] هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب، مادون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر، حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ، : ألا إن محمدًا قد قتل؛ فانكفأنا[2] وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى مايدنو منه أحد من القوم.

قال ابن هشام: الصارخ أزب العقبة، يعنى الشيطان:

حسان يذكر شجاعة صؤاب: قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أهل العلم: أن اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش، فلا ثوابه[3] وكان اللواء مع صؤاب، غلام لبنى أبى طلحة، حبشى وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قطعت يداه، ثم برك عليه، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه، وهو يقول: اللهم هل أعزرت - يقول: أعذرت - فقال حسان بن ثابت فى ذلك:

فخـرتم باللـــواء وشـــر فخر ... لواء حـــــين رد إلى صـــؤاب
جـــعلتم فخـــركم فيه بعبـــد ... وألأم من يطا عفـر التــراب[4]
ظننتم، والســـفيه لـــــه ظنـــون ... وما إن ذاك من أمـــر الصـــواب
بأن جـــلادنا يـــــوم التقينا ... بمكـــة بيعكـــم حـمر العياب[5]
أقـــر العـــين أن عُصبــت يـــــداه ... ومـــا إن تعصـــبان علـــى خضاب

قال ابن هشام: آخرها بيتا يروى لأبى خراش الهذلى، وأنشدنيه له خلف الأحمر:

أقر العـــــين أن عُصبت يـــداهـــا ... ومـــا إن تعصبان علـــى خـــضاب

فى أبيات له يعنى امرأته، فى غير حديث أحد وتروى الأبيات أيضا لمعقل بن خويلد الهذلى.

شعر حسان فى شجاعة عمرة الحارثية: قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت

(١) خدم: جمع خدمة، وهى الخلخال، يعنى أنهن شمرن ثيابهن للهرب فبدت خلاخيلهن.
(٢) انكفأنا: رجعنا. (٣) لاثوا به: اجتمعوا حوله والتفوا.
(٤) يطا: أراد يطأ، فخفف الهمزة. والعفر: التراب الذى بين الحمرة والغبرة.
(٥) العياب: جمع عيبة، وهى مايضع فيها الرجل متاعه.

فى شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء:

إذا عضل سيقت إلينا كأنها ... جداية شرك معلمات الحواجب[1]

أقمنا لهم طعنا مبيراً منكلا ... وحزناهم بالضرب من كل جانب[2]

فلولا لواء الحارثية أصبحوا ... يباعون فى الأسواق بيع الجلائب[3]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى أبيات له.

ما أصاب الرسول يوم أحد: قال ابن إسحاق: وانكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ فدث بالحجارة[4] حتى وقع لشقه، فأصيبت رباعيته وشج[5] فى وجهه، وكلمت شفته،[6] وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص.

قال ابن إسحاق: فحدثنى حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال:

كسرت رباعية النبى ﷺ يوم أحد، وشج فى وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعو إلى ربهم؟! فأنزل الله عز وجل فى ذلك: **﴿ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾**[7].

قال ابن هشام: وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه، عن أبى سعيد الخدرى: أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته[8] فدخلت حلقتان من حلق المغفر[9] فى وجنته، ووقع رسول الله ﷺ فى حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، وهم لا يعلمون؛ فأخذ على بن أبى طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما، ومص عالك بن سنان، أبو أبى سعيد الخدرى الدم: عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده؛[10] فقال رسول الله ﷺ من مس دمى دمه لم تصبه

---

(١) عضل: اسم قبيلة من العرب. والجداية: الصغير من أولاد الظباء. وشرك: اسم موضع.

(٢) مبيراً: مهلكًا. ومنكلاً. قامعًا لهم ولغيرهم.

(٣) الجلائب: مايجلب إلى الأسواق ليباع فيها.

(٤) فدث بالحجارة: معناها رمى بالحجارة حتى التوى بعض جسده.

(٥) شج: أصابته شجة أى شدخة.

(٦) كلمت شفته: جرحت.

(٧) آل عمران: ١٢٨.

(٨) الوجنة: أعلى الخد.

(٩) المغفر: شبيه بالدرع ذو حلق يجعل على الرأس يتقى به فى الحرب.

(١٠) ازدرده: ابتلعه.

النار[١].

قال ابن هشام: وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى: أن النبى ﷺ قال من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله[٢].

وذكر، يعنى عبد العزيز الدراوردى، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عيسى ابن طلحة، عن عائشة، عن أبى بكر الصديق: أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ، فسقطت ثنيته، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيته الأخرى، فكان ساقط الثنيتين.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبى وقاص:

إذا الله جازى معشراً بفعالهم ... وضرهم الرحمن رب المشارق
فأخزاك ربى ياعتيب بن مالك ... ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يمينا - للنبى تعمداً ... فأدميت فاه - قطُعت بالبوارق[٣]
فهلا ذكَرت الله والمنزل الذى ... تصير إليه عند إحدى البوائق[٤]

قال ابن هشام تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

من شجاعة أصحاب الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ، حين غشيه القوم: من رجل يشرى لنا نفسه؟ كماحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو، قال: فقام زياد بن السكن فى نفر خمسة من الأنصار - وبعض الناس يقول: إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن - فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلا ثم رجلا، يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت[٥] فئة من المسلمين، فأجهضوهم[٦] عنه فقال رسول الله ﷺ: أدنوه منى، فأدنوه منه فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ.

---

(١) إسناده ضعيف لعدم اتصاله ثم إن ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى منكر الحديث كما قال البخارى، وقال أحمد ليس بمعروف. انظر «الميزان» للذهبى (٢/ ٣٨) وروى الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٥٦٣) بإسناده إلى أم عبد الرحمن بنت أبى سعيد عن أبيها أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: شج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وجهه يوم أحد فتلقاه أبو مالك بن سنان فلحس الدم عن وجهه بفمه ثم ازدرده فقال النبى ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى من خالط دمى دمه فلينظر إلى مالك بن سنان**»، وقال الذهبى: إسناده مظلم.

(٢) إسناده مرسل ورواه الترمذى (٤٠٠٤) موصولاً وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (١٢٦).

(٣) البوارق: جمع بارق، وهو السيف لأنه يبرق ويلمع.

(٤) البوائق: جمع بائقة، وهى الداهية من دواهى الأمر.

(٥) فاءت: رجعت.

(٦) أجهضوهم: أزالوهم وغلبوهم.

قال ابن هشام: وقاتلت أم عمارة، نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد.

فذكر سعيد بن أبى زيد الأنصارى: أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة، فقلت لها: ياخالة، أخبرينى خبرك، فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر مايصنع الناس، ومعى سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ، وهو فى أصحابه والدولة[1] والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمى عن القوس، حتى خلصت الجراح إلىّ قالت: فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة أقمأه الله[2]! لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلونى على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربنى هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان.

قال ابن إسحاق: وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه، يقع النبل فى ظهره، وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل. ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله ﷺ: قال سعد: فلقد رأيته يناولنى النبل وهو يقول: ارم، فداك أبى وأمى[3]، حتى إنه ليناولنى السهم ماله نصل، فيقول: ارم به.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ: رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها[4]، فاخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ ردها بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدهما.

قال ابن إسحاق: وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدى بن النجار، قال: انتهى أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب، وطلحة ابن عبيد الله، فى رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: مايجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله ﷺ؛ قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل؛ وبه سمى أنس بن مالك.

---

(١) الدولة: المراد بها هنا الغلبة. والريح: النصر. (٢) أقمأه الله: أذله وحقره.

(٣) رواه البخارى (٧/ ٣٥٨) كتاب المغازى، باب: «إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا».

(٤) السية: طرف القوس.

قال ابن إسحاق: فحدثنى حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته ببناته.

قال ابن هشام: حدثنى بعض أهلم العلم: أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم،[1] وجرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها فى رجله فعرج.[2]

قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قتل رسول الله ﷺ - كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى - كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تزهران[3] من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتى: يامعشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ؛ فأشار إلى رسول الله ﷺ أن أنصت.

قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وطلحة بن أبى طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين.

مقتل أبى بن خلف: قال: فلما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب أدركه أُبى بن خلف وهو يقول: أي محمد، لا نجوت إن نجوت، فقال القوم: يارسول الله، أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوه؛ فلما دنا، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة؛ يقول بعض القوم، فيما ذكر لى: فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا بها، تطاير الشّعراء عن ظهر البعير انتفض بها - قال ابن هشام: الشعراء: ذباب له لدغ - ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها .

قال ابن هشام: تدأدأ، يقول: تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج.

قال ابن إسحاق: وكان أبى بن خلف، كما حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، يلقى رسول الله ﷺ بمكة، فيقول: يامحمد إن عندى العوذ، فرسا أعلفه كل يوم فرقا[4] من ذرة، أقتلك عليه؛ فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلنى والله محمد! قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إن بك[5] من بأس؛ قال: إنه كان قال لى بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق على لقتلنى .فمات

---

(١) هتم: كسرت ثنيته .

(٢)رواه الحاكم(٣/٣٠٨)(وفيه احدى وعشرون جراحة)والطبرانى فى«الكبير»(١/١٢٨)(٢٦١)من طريق ابن هشام.

(٣) تزهران: تضيئان . (٤) الفرق: مكيال يسع اثنى عشر رطلاً . (٥) أى مابك من بأس .

عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة.

قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت فى ذلك:

لقد ورث الضلالة عن أبيه ... أبى يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رم عظم ... وتوعده وأنت به جهول[1]
وقد قتلت بنو النجار منكم ... أمية إذ يغوث: ياعقيل
وتب ابنا ربيعة إذ أطاعا ... أبا جهل لأمهما الهبول[2]
وأفلت حارث لما شغلنا ... بأسر القوم، أسرته فليل[3]

قال ابن هشام: أسرته: قبيلته.

وقال حسان ابن ثابت أيضًا:

ألا من مبلغ عنى أبيا ... لقد ألقيت فى سحق السعير[4]
تمنى بالضلالة من بعيد ... وتقسم أن قدرت مع النذور
تمنيك الأمانى من بعيد ... وقول الكفر يرجع فى غرور
فقد لاقتك الأمانى طعنة ذى حفاظ ... كريم البيت ليس بذى فجور[5]
له فضل على الأحياء طرا ... إذا نابت ملمات الأمور

انتهاء الرسول إلى الشعب: قال: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج على بن أبى طالب، حتى ملأ درقته ماء من المهراس[6]، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له ريحا، فعافه[7]، فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه.

سعد بن أبى وقاص يحرص على قتل عتبة: قال ابن إسحاق: فحدثنى صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقاص أنه كان يقول: والله ماحرصت على قتل رجل قط كحرصى على قتل عتبة بن أبى وقاص، وإن كان ما علمت لسيىء الخلق مبغضاً فى قومه، ولقد كفانى منه قول رسول الله ﷺ: اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله.[8]

---

(١) الرم: مثل الرميم وهو العظم البالى. وتوعده: تهدده. وجهول: شديد الجهل.
(٢) الهبول: الفقد، يقال: هبلته أمه أى فقدته.
(٣) أسرته: رهطه وعشيرته وقومه. والفليل: المنهزمون.
(٤) سحق: جمع سحيق وهو البعيد.
(٥) الحفاظ: الغضب.
(٦) المهراس: ماء بأحد.
(٧) عافه: كرهه.
(٨) فى إسناده مجهول. ورواه الطبرى فى «تاريخه» من طريق ابن إسحاق(٢/ ٥١٩) ورواه بنحوه البخارى(٧/ ٣٧٢) من حديث ابن عباس. ورواه مسلم(٤٥٦٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنهما.

عمر يصعد إلى قريش الجبل: قال ابن إسحاق: فبينا رسول الله ﷺ بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه، إذ علت عالية من قريش الجبل.

قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالد بن الوليد.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنه لاينبغى لهم أن يعلونا! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.

معاونة طلحة للرسول: قال ابن إسحاق: ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدَّن[1] رسول الله ﷺ، وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض ﷺ لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به، حتى استوى عليها فقال رسول الله ﷺ، كما حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يومئذ يقول: أوجب[2] طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ماصنع.[3]

قال ابن هشام: وبلغنى عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لم يبلغ الدرجة المبنية فى الشعب.

قال ابن هشام: وذكر عمر مولى غفرة: أن النبى ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التى أصابته، وصلى المسلمون قعوداً.

مقتل اليمان وابن وقش وابن حاطب: قال ابن إسحاق: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المُنَقَّى،[4] دون الأعوص[5].

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد، رفع حُسيل بن جابر، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش فى الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شيخان كبيران: ما أبا لك، ماتنتظر؟ فوالله لا بقى لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار[6]، إنما نحن هامة اليوم[7] أو غداً، أفلا نأخذ أسيافنا، ثم نلحق برسول الله ﷺ،لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا، حتى

---

(١) بدن: معناه أسَنّ. (٢) أوجب طلحه: معناه وجبت له الجنة.

(٣) إسناده صحيح. ورواه أحمد (١/ ١٦٥) والترمذى(١٦٩٢، ٣٧٣٨) وابن حبان (٢٢١٢) والحاكم (٣/ ٣٧٤).

(٤) المنقى: مكان بين أحد والمدينة. (٥) الأعوص: قرية دون المدينة ببريد.

(٦) الظمأ: مقدار مايكون بين الشربتين، وأقصر الأظماء ظمأ الحمار فضرباه مثلاً لقرب الأجل.

(٧) هامة اليوم أو غد: يريدان أنهما يموتان اليوم أو غداً وذلك كناية عن شدة قربهما من الموت لطول أعمارهما وضعف أجسامهما.

دخلا فى الناس، ولم يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حُسيل ابن جابر، فاختلفت عليه أسياف المسلمين، فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبى، فقالوا: والله إن عرفناه. قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين؛ فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن رجلا منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب، أصابته جراحة يوم أحد، فأتى به إلى دار قومه وهو بالموت، فاجتمع إليه أهل الدار، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء: أبشر يابن حاطب بالجنة، قال: وكان حاطب شيخا قد عسا[1] فى الجاهلية، فنجم[2] يومئذ نفاقه، فقال: بأى شىء تبشرونه؟ بجنة من حرمل: غررتم والله هذا الغلام من نفسه.

مقتل قزمان منافقا: قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، قال: كان فينا رجل أتى لا يدرى ممن هو، يقال له: قزمان، وكان رسول الله ﷺ يقول: إذا ذكر له: إنه لمن أهل النار، قال: فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً. فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة. فاحتمل إلى دار بنى ظفر، قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله أبليت اليوم ياقزمان، فأبشر، قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى، ولولا ذلك ماقاتلت. قال: فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته، فقتل به نفسه.

قتل مخيريق: قال ابن إسحاق: وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق؛ وكان أحد بنى ثعلبة بن الفطيون، قال: لما كان يوم أحد، قال: يامعشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لاسبت لكم. فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قتل، فقال رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - مخيريق خير يهود[3].

الحارث بن سويد: قال ابن إسحاق: وكان الحارث بن سويد بن صامت منافقا، فخرج يوم أحد مع المسلمين، فلما التقى الناس، عدا على المجذر بن ذياد البلوى، وقيس بن زيد، أحد بنى ضبيعة، فقتلهما، ثم لحق بمكة بقريش، وكان رسول الله

---

(١) عسا: كبر واشتد (٢) نجم: ظهر وبدا

(٣) ذكره صاحب كنز العمال وعزاه لابن عساكر (ح ٤٦١٥٤).

ﷺ ـ فيما يذكرون ـ قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به، ففاته، فكان بمكة، ثم بعث إلى أخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة، ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغنى، عن ابن عباس: **﴿كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم، وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات، والله لا يهدى القوم الظالمين﴾**[١] إلى آخر القصة.

قال ابن هشام: حدثنى من أثق به من أهل العلم: أن الحارث بن سويد قتل المجذر بن ذياد ولم يقتل قيس بن زيد، والدليل على ذلك: أن ابن إسحاق لم يذكره فى قتلى أحد، وإنما قتل المجذر، لأن المجذر بن ذياد كان قتل أباه سويداً فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب.

فبينا رسول الله ﷺ، فى نفر من أصحابه، إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة، وعليه ثوبان مضرجان[٢]، فأمر به رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فضرب عنقه، ويقال: بعض الأنصار.

قال ابن إسحاق: قتل سويد بن الصامت معاذ بن عفراء غيلة، فى غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث.

أمر أصيرم: قال ابن إسحاق: وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبى سفيان، مولى ابن أبى أحمد، عن أبى هريرة قال: كان يقول: حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أصيرم، بنى عبد الأشهل، عمرو بن ثابت ابن وقش. قال الحصين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه. فلما كان يوم خرج رسول الله ﷺ إلى أحد بدا له فى الإسلام، ثم أخذ سيفه، فعدا حتى دخل فى عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة وقال: فبينا رجال من بنى عبدالأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ماجاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه ماجاء به؛ فقالوا: ماجاء بك ياعمرو؟ أحدب[٣] على قومك أم رغبة فى الإسلام؟ قال: بل رغبة فى الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفى، فغدوت مع رسول الله ﷺ، ثم قاتلت حتى أصابنى ماأصابنى، ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: إنه لمن أهل الجنة[٤].

(١) آل عمران: ٨٦.
(٢) الثوب المضرج: هو المشبع بالحمرة، كأنه خرج بالدم أى لطخ به.
(٣) الحدب: العطف والحنان.
(٤) إسناده ضعيف، الحصين بن عبد الرحمن، مقبول كما فى «التقريب» (١/ ١٨٢). ولم أقف له على متابع.

عمرو بن الجموح ومقتله: قال ابن إسحاق: وحدثنى أبى إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بنى سلمة: أن عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا له: إن الله عز وجل: قد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة؛ فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك، وقال لبنيه: ماعليكم أن لا تمنعوه، لعل الله أن يرزقة الشهادة معه فقتل يوم أحد.[1]

هند وتمثيلها بحمزة: قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة، كما حدثنى صالح بن كيسان، والنسوة اللاتى معها، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجدعن[2] الآذان والأنُف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خدما[3] وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا، غلام جبير ابن مطعم، وبقرت[4] عن كبد حمزة، فلاكتها[5] فلم تستطع أن تسيغها[6]؛ فلفظتها[7]، ثم علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحـــن جـــزيناكم بـيوم بــــدر ... والحـــرب بعد الحرب ذات سعر[8]
ماكـــان عـــن عتبة لـى من صبر ... ولا أخـــى وعمـــه وبكـــرى[9]
شـــفيت نفـــسى وقـــضيت نذرى ... شفيت وحشى غـليل صـــدرى[10]
فشـــكر وحــــشى علىّ عـمرى ... حــــتى تـــرم أعظمى فى قبرى[11]

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب. فقالت:

---

(١) إسناده صحيح إن كان الأشياخ من الصحابة وإلا فهو مرسل. وورواه أحمد(٥/ ٢٩٩) من حديث أبى قتادة أنه حضر ذلك قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أأمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة؟ وكانت رجله عرجاء - فقال رسول الله ﷺ: «نعم» فقتلوا يوم أحد هو وابن أخيه ومولى له. فمر رسول الله ﷺ فقال: «كأنى أنظر إليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة» فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا فى قبر واحد». وسنده حسن كما قال الحافظ فى«الفتح» (٣/ ١٧٣) وانظر «سير أعلام النبلاء»(١/ ٢٥٤).

(٢) يجدعن: يقطعن . (٣) الخدم: الخلاخيل . (٤) بقرت: شقت .
(٥) لاكتها: مضغتها . (٦) تسيغها: تبلعها . (٧) لفظتها: طرحتها .
(٨) سعر: جمع سعير والمعنى أنها ذات التهاب كالتهاب النيران .
(٩) عتبة: هو أبوها عتبة بن ربيعة. وأخى: هو أخوها الوليد بن عتبة. وعمه: هو عمها شيبة بن ربيعة. وبكرى: هو ابنها حنظلة بن أبى سفيان، وأربعتهم قتلوا يوم بدر .
(١٠) الغليل: العطش وحرارة الجوف. وقولها وحشى: هو منادى اعترضت به بين الفعل ومفعوله .
(١١) ترم: تبلى وتتفتت .

خـــزيت فـى بـــدر وبعد بدر يابنت وقـــاع عظيـــم الكفر[1]
صبحـــك الله غـــداة الفجر ملهـــاشـــميين الطوال الزهر[2]
بكل قـــطاع حـــسام يفـــرى حـــمزة ليثى وعلـــى صقـــرى[3]
إذ رام شـــيب وأبـــوك غـــدرى فخـــضبا منه ضواحـــى النحر[4]
ونذرك السوء فشر نذر

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت عتبة أيضًا:

شفيت من جمزة نفسى بأحد حتـى بقـرت بطـنه عـن الكبد
أذهب عنى ذاك ماكنت أجد مـن لـدعة الحزن الشديد المعتمد[5]
والحرب تعلوكم بشؤبوب بَرد تقدم إقـداما عليكـم كالأسـد[6]

قال ابن إسحاق: فحدثنى صالح بن كيسان أنه حدث: أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت: يابن الفريعة - قال ابن هشام: الفريعة بنت خالد بن خنيس: ابن حارثة بن لوذان ابن عبد ود بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - لو سمعت ماتقول هند، ورأيت أشرها[9] قائمة على صخرة ترتجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة؟ قال له حسان: والله إنى لأنظر إلى الحربة تهوى وأنا على رأس فارع - يعنى أطمة - فقلت: والله إن هذه لسلاح ماهى بسلاح العرب، كأنها إنما تهوى إلى حمزة ولا أدرى، لكن أسمعنى بعض قولها أكفكموها؛ قال: فأنشده عمر بن الخطاب بعض ماقالت، فقال حسان بن ثابت:

أشـــرت لكـــاع وكان عـــادتها لـؤما إذا أشـــرت مـــع الكـــفر[8]

قال ابن هشام: وهذا البيت فى أبيات له تركناها، وأبياتا أيضا له على الدال: وأبياتا أخر على الذال، لأنه أقذع فيها.

(١) الوقاع: الكثير الوقوع فى الدنايا.
(٢) ملهاشميين: أرادت من الهاشميين. والزهر: الأبيض وهم يصفون الرجل الكريم الخلق بأنه أبيض.
(٣) الحسام: السيف القاطع. ويفرى: يقطع.
(٤) شيب: أرادت شيبة فرخمته بغير نداء. وضواحى النحر: ماظهر منه من أعلى الصدر. والنحر: الصدر.
(٥) اللدعة: ألم النار أو مايشبهها. والمعتمد: القاصد المؤلم.
(٦) الشؤبوب: الدفعة الشديدة من المطر. وبرد: أى ذو برد، شبهت الحرب بالدفعة العظيمة من المطر الذى يصحبه برد.
(٧) أشرها: بطرها (٨) لكاع: كنى بها عن هند. ولكاع: أى لئيمة.

قال ابن إسحاق: وقد كان الحليس بن زَبَّان، أخو بنو الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيد الأحابيش، قد مر بأبى سفيان، وهو يضرب فى شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول ذق: عقق[1]؛ فقال الحليس: يابنى كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن ماترون لحما[2]؟ فقال: ويحك! اكتمها عنى، فإنها كانت زلة.

أبو سفيان يشمت بالمسلمين: ثم إن أبا سفيان بن حرب، حين أراد الانصراف، أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته فقال: أنعمت فعال[3]، وإن الحرب سجال[4] يوم بيوم، أعل هبل[5]، أى أظهر دينك؛ فقال رسول الله ﷺ: قم ياعمر فأجبه، فقل الله أعلى وأجل، لاسواء[6]، قتلانا فى الجنة، وقتلاكم فى النار. فلما أجاب عمر أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هلم إلى ياعمر، فقال رسول الله ﷺ لعمر: ائته فانظر ماشأنه، فجاء، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله ياعمر، أقتلنا محمدا؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر؛ لقول ابن قمئة لهم: إنى قد قتلت محمدا.

قال ابن هشام: واسم ابن قمئة عبد الله.

قال ابن إسحاق: ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان فى قتلاكم مثل؛ والله مارضيت، وماسخطت، ومانهيت، وما أمرت.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه، نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل؛ فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

على يخرج فى آثار قريش: ثم بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب، فقال: اخرج فى آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون فإن كانوا قد جنبوا الخيل. وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذى نفسى بيده، لئن أرادها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم. قال على: فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون؛ فجنبوا الخيل[7]، وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة.

سعد بن الربيع: وفرغ الناس لقتلاهم، فقال رسول الله ﷺ كما حدثنى محمد

(١) عقق: أى ياعقق، يريد ياعاق.
(٢) أى ميتاً لايستطيع الدفاع عن نفسه.
(٣) فعال: أى ارتفع، فعل أمر من عالى.
(٤) الحرب سجال: مكافأة، يوم لنا ويوم علينا.
(٥) هبل: اسم صنم من أصنامهم.
(٦) أى لانحن سواء.
(٧) جنبوا الخيل: قادها إلى جنبهم ليستعملوها قت الحاجة.

ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنى، أخو بنى النجار: أن رسل الله ﷺ قال: من رجل ينظر إلى مافعل سعد بن الربيع؟ فى الأحياء هو أم فى الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يارسول الله ﷺ مافعل سعد، فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق قال: فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر، أفى الأحياء أنت أم فى الأموات؟ قال: أنا فى الأموات. فأبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول له: جزاك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات؛ قال: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره.[1]

قال ابن هشام: وحدثنى أبو بكر الزبيرى: أن رجلا دخل على أبى بكر الصديق، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبلها، فقال له الرجل: من هذة؟ قال: هذه بنت رجل خير منى، سعد بن الربيع، وكان من النقباء يوم العقبة، وشهد بدراً، واستشهد يوم أحد.

الرسول يحزن على حمزة ويتوعد المشركين بالمثلة: قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ، فيما بلغنى، يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه وأذناه.

فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير: أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدى لتركته، حتى يكون فى بطون السباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه مافعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال لن أصاب بمثلك أبدا! ماوقفت موقفا قط أغيظ إلى من هذا! ثم قال: جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع: حمزة ابن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله.

---

(١) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى «التايخ» (٢/ ٥٢٨) من طريق ابن إسحاق. والخبر فى «أسد الغابة» (٢/ ٢١٤)، و«الإصابة» (٤/ ١٤٤)، و«الأستيعاب» (٤/ ١٤٥).

وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لأبى لهب.

قال ابن إسحاق: وحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى، عن محمد بن كعب القرظى، وحدثنى من لا أتهم، عن ابن عباس: أن الله عز وجل أنزل فى ذلك، من قول رسول الله ﷺ، وقول أصحابه: **﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم، ولاتك فى ضيق مما يمكرون﴾**[1] فعفا رسول الله ﷺ، وصبر ونهى عن المثلة.

قال ابن إسحاق: وحدثنى حميد الطويل، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، قال: ماقام رسول الله ﷺ فى مقام قط ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المثلة[2].

قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم عن مقسم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجى ببردة[3] ثم صلى عليه، فكبرسبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة[4].

قال ابن إسحاق: وقد أقبلت فيما بلغنى، صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها، فقال لها: يا أمه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى، قالت: ولم؟ وقد بلغنى أن قد مثل بأخى، وذلك فى الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، قال: خل سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، فصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن.

دفن الشهداء: قال: فزعم لى آل عبيد الله بن جحش ـ وكان لأميمة بنت عبد المطلب، حمزة خاله، وقد كان مثل به كما مثل بحمزة، إلا أنه لم يبقر عن كبده ـ أن رسول الله ﷺ دفنه مع حمزة فى قبره، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله.

---

(١) النحل: ١٢٦، ١٢٧.

(٢) إسناده حسن. ورواه أحمد (٥/ ١٢، ٢٠).

(٣) سجى: غطى. والبردة: كساء يلتف به.

(٤) فى إسناده مجهول، ولكن صح عن النبى ﷺ ـ من حديث عبد الله بن الزبير ومن حديث أنس ابن مالك ـ أنه صلى على شهداء أحد. وانظر تفصيل الصلاة على الشهيد فى «نيل الأوطار» وفى «تهذيب السنن» لابن القيم (٤/ ٢٩٥).

قال ابن إسحاق: وكان قد احتمل من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: ادفنوهم حيث صرعوا.

قال ابن: إسحاق: وحدثنى محمد بن مسلم الزهرى، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى، حليف بنى زهرة: أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتلى يوم أحد، قال: أنا شهيد على هؤلاء، إنه مامن جريح يجرح فى الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه، اللون لون الدم والريح ريح مسك، أنظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن؛ فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر - وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد[1].

قال: وحدثنى عمى موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: **« مامن جريح يجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى، اللون لون دم، والريح ريح مسك»**[2].

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبى إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بنى سلمة: أن رسول الله ﷺ، قال يومئذ، حين أمر بدفن القتلى: انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا، فاجعلوهما فى قبر واحد.

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش، كما ذكر لى، فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبدالله بن جحش، فاسترجعت[3] واستغفرت له، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت! فقال رسول الله ﷺ: إن زوج المرأة منها لبمكان! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها.[4]

قال ابن إسحاق: ومر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بنى عبد

---

(١) اسناده صحيح. وعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«من رأى مقتل حمزة؟»** فقال رجل: أعزك الله أنا رأيت مقتله فانطلق فوقف على حمزة فرآه قد شُق بطنه وقد مثل به فقال: يارسول الله قد مُثل به، فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه ووقف بين ظهرانى القتلى وقال: **« أنا شهيد على هؤلاء لفوهم بدمائهم فإنه ليس مجروح يجرح فى سبيل الله إلا جاء جرحه يوم القيامة دمه لون الدم وريحه ريح المسك قدموا أكثرهم قرآنا واجعلوه فى اللحد»** قال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٦/ ١١٩) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

(٢) إسناده صحيح: . وروى مسلم نحوه عن أبى هريرة رضى الله عنه، وأحمد(٢/ ٢٤٢، ٣٩١، ٣٩٩، ٤٠٠، ٥١٢، ٥٢٠، ٥٣١، ٥٣٧، ٣/ ٢٩٩).

(٣) استرجعت: أى قالت **«إنا لله وإنا إليه راجعون»**.

(٤) إسناده صحيح إن كان أشاخ بنى سلمة من الصحابة وإلا فهو مرسل. رواه الطبرى فى«تاريخه»(٢/ ٥٣٢) من طريق ابن إسحاق.

الأشهل وظفر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ، فبكى، ثم قال: لكن حمزة لابواكى له![1] فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمر نساءهم أن يتحزمن، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: حدثنى حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيف، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل، قال: لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه، فقال: ارجعن يرحمكن الله، فقد آسيتن[2] بأنفسكن.

قال ابن هشام: ونهى يومئذ عن النوح.

قال ابن هشام: وحدثنى أبو عبيدة: أن رسول الله ﷺ لما سمع بكاءهن، قال: رحم الله الأنصار! فإن المواساة منهم ماعَلِمْتُ لقديمة، مروهن فلينصرفن.

المرأة الدينارية: قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الواحد بن أبى عون، عن إسماعيل بن محمد، عن سعد بن أبى وقاص، قال: مر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوا لها، قالت فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: كل مصيبة بعدك جلل![3] تريد صغيرة.

قال ابن هشام: الجلل: يكون من القليل، ومن الكثير، وهو هاهنا من القليل. قال امرؤ القيس فى الجلل القليل:

لقتل بنـى أســد ربهـــم ألا كـل شـــىء ســـواه جـــلل

قال ابن هشام: أى صغير قليل. قال ابن هشام: والجلل أيضا العظيم. قال الشاعر، وهو الحارث بن وعلة الجرمى:

ولئن عــفوت لأعـــفون جـــللا ولئن ســـطوت لأوهـــنن عظمـــى

غسل السيوف: قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة، فقال: اغسلى عن هذا دمه يابنية، فوالله لقد صدقنى اليوم، وناولها على

---

(١) رواه أحمد(٢/ ٤٠، ٨٤، ٩٢)وابو يعلى (٣٥٧٦، ٣٦١٠) وابن ماجه(١٥٩١) وابن سعد(٣/ ١/ ١٠) والحاكم(٣/ ١٩٥)وقال صحيح على شرط مسلم وافقه الذهبى وكذا قال ابن كثير فى«البداية والنهاية» (٤/ ٤٨) وقال الهيثمى فى«المجمع»(٦/ ١٢٠)رواه أبو يعلى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. اهـ. وقال الألبانى فى«صحيح ابن ماجه»(١/ ٢٦٥) حسن صحيح.

(٢) آسيتن: عزيتن وعاونتن

(٣) اسناده ضعيف: إسماعيل بن محمد لم يرو عن جده سعد بن أبى وقاص. ورواه الطبرى فى«تاريخه» من طريق ابن إسحاق(٢/ ٥٣٢_٥٣٣).

ابن أبى طالب سيفه، فقال: وهذا أيضاً، فاغسلى عنه دمه، فوالله لقد صدقنى اليوم، فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت صدقت القتال لقد صدق سهل بن حنيف وأبو دجانة.

قال ابن هشام: وكان يقال لسيف رسول الله ﷺ: ذو الفقار[1].

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم، أن ابن أبى نجيح قال: نادى مناد يوم أحد:

لا سيف إلا ذو الفقار، ولافتى إلا على[2]

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال لعلى ابن أبى طالب: لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا.[3]

قال ابن إسحاق: وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال.

غزوة حمراء الأسد

قال: فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذن مؤذن رسول الله ﷺ فى الناس بطلب العدو، فأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام؛ فقال: يارسول الله، إن أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع، وقال: يابنى، إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسى، فتخلف على أخواتك؛ فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله ﷺ، فخرج معه وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبا للعدو، وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم، ليظنوا به قوة، وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان: أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، من بنى عبد الأشهل كان شهد أحدا مع رسول الله ﷺ، قال: شهدت أحدا مع رسول الله ﷺ، أنا وأخ لى، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب العدو، قلت لأخى أو قال لى: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا من دابة

---

(١) الفقار - بالكسر - جمع فقرة، وسمى بذلك لفقرات كانت فيه وهى حُفَر كانت فى متْنه حسنة.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة من حدث به ولإرساله. ورواه ابن الجوزى فى«الموضوعات»(١/ ٣٨١-٣٨٢) وقال هذا حديث لا يصح. والمتهم به عيسى بن مهران، قال ابن عدى: حدث بأحاديث موضوعة وهو محترف فى الرفض. اهـ. وذكر ابن الجوزى روايات أخرى لهذا الأثر وضعفها. وكذا ضعفه السخاوى فى«المقاصد الحسنة» ص٤٦٦(ح١٣٠٧) والعجلونى فى«كشف الخفاء»(٢/ ٥٠٦)(٣٠٦٩).

(٣) إسناده ضعيف لجهالة من حدَّث به.

نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسر جرحا، فكان إذا غلب حملته عقبة،[1] ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ماانتهى إليه المسلمون.

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهى من المدينة على ثمانية أميال، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة.

قال: وقد مر به كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر، معبد بن أبى معبد الخزاعى، وكانت خزاعة، مسلمهم ومشركهم عيبة نصح[2] لرسول الله ﷺ، بتهامة، صفقتهم[3] معه، لا يخفون عنه شيئا كان بها، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يامحمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد، حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصبنا حد أصحابه وأشرافهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم، لنكون على بقيتهم فلنفرغن منهم. فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ماوراءك يامعبد؟ قال: محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم[4] تحرقا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم، وندموا على ماصنعوا، فيهم من الحنق[5] عليكم شىء لم أر مثله قط؛ قال: ويحك! ماتقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصى الخيل؛ قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم، لنستأصل بقيتهم، قال فإنى أنهاك عن ذلك؛ قال: والله لقد حملنى مارأيت على أن قلت فيهم أبياتا من شعر؛ قال: وماقلت؟ قال: قلت:

كادت تُهد من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل[6]
تردى بأسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميل معازيل[7]
فظلت عدوا أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول[8]
فقلت: ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل[9]
إنى نذير لأهل البسل ضاحية ... لكل ذى إربة منهم ومعقول[10]

---

(١) يريد نتعاقب ركوبه، كل واحد منا يركبها مدة والآخر يمشى

(٢) عيبة نصح رسول الله : أى موضع سره .

(٣) صفقتهم: اتفاقهم .

(٤) يتحرقون عليكم: يلتهبون من الغيظ .

(٥) الحنق : شدة الغيظ .

(٦) تهد: معناه تسقط من الإعياء لهول مارأت من أصوات الجيش وكثرته. والجرد: الخيل العتاق. والأبابيل: الجماعات.

(٧) تردى: تسرع. والتنابلة: القصار. والميل: جمع أميل وهو الذى لارمح له. والمعازيل: الذين لاسلاح معهم .

(٨) العدو: المشى السريع. وسموا: علوا وارتفعوا .

(٩) ابن حرب: هو أبو سفيان. وتغطمطت: معناه اهتزت وارتجت والبطحاء: السهل من الأرض. والجيل: الصنف من الناس.

(١٠) البسل: الحرام. وأراد بأهل البسل قريشًا لأنهم أهل مكة، ومكة حرام. والضاحية: البارزة للشمس. والإربة: العقل .

من جيش أحمد لاوخش تنابلة ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل[١]

فثنى[٢] ذلك أبا سفيان ومن معه.

ومر به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة قال: فهل أنتمَ مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمل لكم هذه غداً زبيبا بعكاظ[٣] إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم؛ قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان؛ فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

قال ابن هشام: حدثنا أبو عبيدة: أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد، أراد الرجوع إلى المدينة، ليستأصل بقية أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف: لاتفعلوا، فإن القوم قد حربوا[٤]، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان، فارجعوا، فرجعوا. فقال النبى ﷺ، وهو بحمراء الأسد، حين بلغه أنهم هموا بالرجعة: والذى نفسى بيده، لقد سوِّمت[٥] لهم حجارة، لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب.

قال أبو عبيدة: وأخذ رسول الله ﷺ فى جهة ذلك، قبل رجوعه إلى المدينة معاوية ابن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو جد عبدالملك بن مروان، أبو أمه عائشة بنت معاوية، وأبا عزة الجمحى، وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر، ثم منَّ عليه؛ فقال: يارسول الله، أقلنى؛ فقال رسول الله ﷺ: والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يازبير. فضرب عنقه.

قال ابن هشام: وبلغنى عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين[٦] اضرب عنقه ياعاصم بن ثابت، فضرب عنقه.

قال ابن هشام: ويقال: إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه،

---

(١) الوخش: رذلة الناس وأخساؤهم. والقيل: القول. (٢) ثناه: حرفه ورده.

(٣) عكاظ: سوق كانت العرب تجتمع فيها. (٤) حربوا: غضبوا وتغيظوا

(٥) سومت: علمت.

(٦) إسناده مرسل ورواه أبو هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ بلفظ: **«لايلدغ المؤمن من جحر مرتين»** رواه البخارى (١٠/ ٥٢٩) ومسلم (٧٣٥٤) وأحمد (٢/ ٣٧٩) وأبو داود (٤٨٦٢) وابن ماجه (٣٩٨٢) ورواه أحمد من حديث ابن عمر (٢/ ١١٥).

على أنه وجد بعد ثلاث قتل، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبى ﷺ، وقال: إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا، فوجداه فقتلاه.

شأن عبد الله بن أبى بعد غزوة أحد: قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أبى بن سلول، كما حدثنى ابن شهاب الزهرى، له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر، شرفا له فى نفسه وفى قومه، وكان فيهم شريفا، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ماصنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أى عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ماصنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجراً[1] أن قمت أشدد أمره. فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد، فقال: مالك؟ ويلك! قال: قمت أشدد أمره، فوثب على رجال من أصحابه يجذبوننى ويعنفوننى، لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره؛ قال: ويلك! ارجع يستغفر لك ﷺ ؛ قال: والله ما أبتغى أن يستغفر لى.

تمحيص المؤمنين بوم أحد: قال ابن إسحاق: كان يوم بلاء ومصيبة وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحن به المنافقين، ممن كان يظهر الإيمان بلسانه، وهو مستخف بالكفر فى قلبه، ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

****

ذكر ما أنزل الله فى أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد ابن إسحاق المطلبى، قال: فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران، فيها صفة ماكان فى يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ:[2] **﴿وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال، والله سميع عليم﴾**.

قال ابن هشام: **﴿ تبوىء المؤمنين﴾**: تتخذ لهم مقاعد ومنازل قال الكميت بن

---

(١) البجر: الأمر العظيم.

(٢) آل عمران: ١٢١ ـ ١٨١.

زيد:

ليتنـــــى كنـــت قبلـــــه ‏ قـــــد تبـــوأت مضجـــــعا

وهذا البيت فى أبيات له.

أى سميع بما تقولون، عليم بما تخفون.

﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا**﴾: أى تتخاذلا، والطائفتان: بنو سلمة بن جشم من الخزرج، وبنو حارثه بن النبيت من الأوس، وهما الجناحان يقول الله تعالى: ﴿**والله وليهما**﴾؛ أى المدافع عنهما ماهمتا به من فشلهما، وذلك أنه إنما كان ذلك منها عن ضعف ووهن أصابهما غير شك فى دينهما، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته، حتى سلمتا من وهونهما وضعفهما، ولحقتا بنبيهما ﷺ.

قال ابن هشام: حدثنى رجل من الأسد من أهل العلم، قال: قالت الطائفتان. مانحب أنا لم نهم بما هممنا به، لتولى الله إيانا فى ذلك.

قال ابن إسحاق: يقول الله تعالى: ﴿**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾: أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل علىَّ، وليستعن بى، أعنه على أمره، وأدافع عنه، حتى أبلغ عنه، وأقويه على نبيه. ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، فاتقوا الله لعلكم تشكرون**﴾: أى فاتقونى، فإنه شكر نعمتى« ولقد نصركم الله ببدر» وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة ﴿ **إذا تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**﴾: أى إن تصبروا لعدوى، وتطيعوا أمرى، ويأتوكم من وجههم هذا، أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين.

قال ابن هشام: مسومين: معلمين بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال: أعلموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض. فأما ابن إسحاق فقال: كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاً وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر والسما: العلامة وفى كتاب الله عز وجل: ﴿**سيماهم فى وجوههم من أثر السجود**﴾[1]: أى علامتهم و﴿**حجارة من سجيل منضود مسومة**﴾[2] يقول: معلمة. بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال: عليها علامة، أنها ليست من حجارة الدنيا، وأنها من حجارة العذاب. قال رؤبة بن العجاج:

(١) الفتح: ٣٩ . ‏ (٢) هود: ٨٢، ٨٣

فالآن تبلى بى الجياد السهم ولا تجارينى إذا ماسوّموا[1]

وشخصت أبصارهم وأجذموا[2]

وهذه الأبيات فى أرجوزة له. والمسومة أيضا: المرعية، وفى كتاب الله تعالى: ﴿**والخيل المسومة**﴾[3] و«شجر فيه تسيمون»[4] تقول العرب: سوم خيله وإبله، وأسامها: إذا رعاها قال الكميت بن زيد:

راعيا كان مسجحا ففقدنا وفقد المسيم هلك السوام[5]

قال ابن هشام: مسجحا: سلس السياسة محسن إلى الغنم. وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿ **وما جعله الله إلا بشرى لكم، ولتطمئن قلوبكم به، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم**﴾: أى ماسميت لكم من سميت من جنود ملائكتى إلا بشرى لكم، ولتطمئن قلوبكم به، لما أعرف من ضعفكم، وما النصر إلا من عندى، لسطانى وقدرتى، وذلك أن العز والحكم إلى، لا إلى أحد من خلقى. ثم قال: ﴿ **ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين**﴾ : أى ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم، أو يردهم خائبين: أى ويرجع من بقى منهم فلاّ[6] خائبين، لم ينالوا شيئا مما كانوا يأملون.

قال ابن هشام: يكبتهم: يغمهم أشد الغم، ويمنعهم ما أرادوا قال ذو الرمة:

ما أنس من شجن لا أنس موقفنا فى حيرة بين مسرور ومكبوت[7]

ويكبتهم أيضا: يصرعهم لوجوههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال لمحمد رسول الله ﷺ: ﴿ **ليس لك من الأمر شىء، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾: أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى، إلا ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتى، فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى ﴿**فإنهم ظالمون**﴾ أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى ﴿**والله غفور رحيم**﴾ : أى يغفر الذنب ويرحم العباد، على مافيهم.

---

(١) الجياد: الخيل العتاق . والسهم: العابسة المتغيرة، يعنى فى الحرب .

(٢) أجذموا: أسرعوا . (٣) آل عمران: ١٤ .

(٤) النحل: ١٠ . (٥) مسجحًا: سلس القيادة رفيقًا بالنعم محسنًا إليهم .

(٦) فَلاًّ: أى منهزمين . (٧) الشجن: الحزن

ثم قال: ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة** ﴾ ؛ أى لا تأكلوا فى الإسلام، إذ هداكم الله به ماكنتم تأكلون إذ أنتم على غيره، مما لا يحل لكم فى دينكم ﴿**واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ أى فأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه، وتدركون مارغبكم الله فيه من ثوابه، ﴿**واتقوا النار التى أعدت للكافرين**﴾، أى التى جعلت داراً لمن كفر بى.

ثم قال: ﴿**وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون**﴾ معاتبة للذين عصوا رسول الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره ثم قال: ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**﴾: أى داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى. ﴿ **الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين**﴾: أى وذلك هو الإحسان، وأنا أحب من عمل به، ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون**﴾: أى إن أتوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهى الله عنها، وماحرم عليهم، فاستغفروه لها، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو ﴿**ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون**﴾: أى لم يقيموا على معصيتى كفعل من أشرك بى فيما غلوا به فى كفرهم، وهم يعلمون ماحرمت عليهم من عبادة غيرى، ﴿ **أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها، ونعم أجر العاملين**﴾ : أى ثواب المطيعين.

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم، والبلاء الذى أصابهم، والتمحيص لما كان فيهم، واتخاذه الشهداء منهم، فقال: تعزية لهم، وتعريفاً لهم فيما صنعوا، وفيما هو صانع بهم: ﴿ **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾: أى قد مضت وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى: عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، فرأوا مثلات قد مضت منى فيهم، ولمن هو على مثل ماهم عليه من ذلك منى، فإنى أمليت لهم: أى لئلا يظنوا أن نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى، للدولة التى أدلتهم بها عليكم، ليبتليكم بذلك، ليعلم ماعندكم.

ثم قال تعالى: ﴿**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**﴾: أى هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ﴿ **وهدى وموعظة**﴾ أى نور وأدب ﴿**للمتقين**﴾ أى لمن أطاعنى وعرف أمرى. ﴿**ولا تهنوا ولاتحزنوا**﴾: أى تضعفوا ولا تبئسوا على

ماأصابكم، ﴿**وأنتم الأعلون**﴾: أى لكم تكون العاقبة والظهور ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾: أى إن كنتم صدقتم نبيى بما جاءكم به عنى﴿ **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله**﴾: أى جراح مثلها، ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾: أى نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص. ﴿ **وليعلم الله الذين آمنوا، ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين**﴾: أى ليميزبين المؤمنين والمنافقين وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ﴿**والله لا يحب الظالمين**﴾: أى المنافقين الذين يظهرون الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية﴿**وليمحص الله الذين آمنوا**﴾: أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم، وكيف صبرهم ويقينهم﴿**ويمحق الكافرين**﴾: أى يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ماليس فى قلوبهم، حتى يظهر منهم كفرهم الذى يستترون به.

ثم قال تعالى: ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**﴾ أى حسبتم أن تدخلوا الجنة، فتصيبوا من ثوابى الكرامة، ولم أختبركم بالشدة، وأبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بى، والصبر على ما أصابكم فى، ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم، يعنى الذين استنهضوا رسول الله ﷺ إلى خروجه بهم إلى عدوهم، لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبله ببدر، ورغبة فى للشهادة التى فاتتهم بها، فقال: ﴿**ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه**﴾ يقول: ﴿**فقد رأيتموه وأنتم تنظرون**﴾ أى الموت بالسيوف فى أيدى الرجال قد خلى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم، ثم صدهم عنكم﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزى الله الشاكرين**﴾: أى لقول الناس: قتل محمد ﷺ، وانهزامهم عند ذلك، وانصرافهم عن عدوهم ﴿ **أفإن مات أو قتل**﴾ رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم، وتركتم جهاد عدوكم، وكتاب الله وماخلف نبيه ﷺ من دينه معكم وعندكم، وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم، ﴿ **ومن ينقلب على عقبيه**﴾: أى يرجع عن دينه ﴿**فلن يضر الله شيئا**﴾: أى ليس ينقص ذلك عز الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته، ﴿**وسيجزى الله الشاكرين**﴾: أى من أطاعه وعمل بأمره.

ثم قال: ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا**﴾: أى أن لمحمد ﷺ أجلا بالغه، فإذا أذن الله عز وجل فى ذلك كان. ﴿ **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها، وسنجزى الشاكرين**﴾: أى من كان منكم يريد

الدنيا، ليست له رغبة فى الآخرة، نؤته منها ماقسم له من رزق، ولا يعدوه، وليس له فى الآخرة من حظ ﴿ **ومن يرد ثواب الآخره نؤته منها**﴾ ما وعد به، مع مايجزى عليه من رزقه فى دنياه وذلك جزاء الشاكرين، أى المتقين.

ثم قال: ﴿ **وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما إصابهم فى سبيل الله، وماضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين**﴾: أى وكأين من نبى أصابه القتل، ومعه ربيون كثير: أى جماعة، فما وهنوا لفقد نبيهم، وماضعفوا عن عدوهم، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم، وذلك الصبر، والله يحب الصابرين﴿**وماكان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا فى أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين**﴾.

قال ابن هشام: واحد الربيين: ربىٍّ؛ وقولهم: الرباب، لولد عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس، ولضبة، لأنهم تجمعوا وتخالفوا، من هذا، يريدون الجماعات وواحدة الرباب: رِبة وربابة وهى جماعات قداح أو عصى ونحوها، فشبهوها بها قال أبو ذؤيب الهذلى:

وكأنهـــــن ربـــابــة وكـــأنه ... يســر يفيض على القداح ويصدع

وهذا البيت فى أبيات له. وقال أمية بن أبى الصلت:

حـــــول شـــــياطينهم أبـــابيل ... ربيون شـــدوا ســنورا مــدسـورا

وهذا البيت فى قصيدة له:

قال ابن هشام: والربابة أيضا: الخرقة التى فيها القداح.

قال ابن هشام: والسنور: الدروع. والدسر، هى المسامير التى فى الحلق، يقول الله عز وجل﴿ **وحملناه على ذات ألواح ودسر**﴾[1].

قال الشاعر، وهو أبو الأخزر الحمانى، من تميم:

دســـــرا بأطـــــــراف القنـــا المقـــــــوم

قال ابن إسحاق: أى فقولوا مثل ما قالوا، واعلموا إنما ذلك بذنوب منكم، واستغفروه كما استغفره، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم، ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم، واستنصروه على القوم

---

(١) سورة القمر: آية ١٣ .

الكافرين، فكل هذا من قولهم قد كان؛ وقد قتل نبيهم، فلم يفعلوا كما فعلتم، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوهم، وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها، والله يحب المحسنين.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾: أى عن عدوكم، فتذهب دنياكم وآخرتكم **﴿بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾**، فإن كان ماتقولون بألسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به، ولا تستنصروا بغيره، ولاترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينه **﴿سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب﴾**: أى الذى به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بى ما لم أجعل لهم من حجة، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم مااعتصمتم بى، واتبعتم أمرى، للمصيبة التى أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم، خالفتم بها أمرى للمعصية، وعصيتم بها النبى ﷺ. **﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه، حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر، وعصيتم من بعدما أراكم ماتحبون، منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم، والله ذو فضل على المؤمنين﴾**أى وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم، إذ تحسونهم بالسيوف، أى القتل، بإذنى وتسليطى أيديكم عليهم، وكفى أيديهم عنكم.

قال ابن هشام: الحس الاستئصال: يقال: حسست الشىء: أى استأصلته بالسيف وغيره قال جرير:

تحسهم السيوف كما تسامى ... حريق النار فى الأجم الحصيد[1]

وهذا البيت فى قصيدة له. وقال رؤبة بن العجاج:

إذا شكونا سنة حسوسا[2]

تأكل بعد الأخضر اليبيسا[3]

وهذان البيتان فى أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: **﴿حتى إذا فشلتم﴾**: أى تخاذلتم **﴿وتنازعتم فى الأمر﴾** أى اختلفتم فى أمرى، أى تركتم أمر نبيكم وماعهد إليكم، يعنى الرماة **﴿وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون﴾**: أى الفتح، لاشك فيه، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم،

---

(١) تحسهم: تستأصلهم. وتسامى: علا وارتفع. والأجم: جمع أجمة وهى الشجر الملتف. والحصيد: المجذوذ المقطوع.

(٢) حسوسًا: شديدة الاستئصال للأموال. (٣) اليبيس: اليابس: يريد أنها لاتبقى شيئًا البتة.

﴿منكم من يريد الدنيا﴾: أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ماأمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة **﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾** أى الذين جاهدوا فى الله، ولم يخالفوا إلى مانهوا عنه، لعرض من الدنيا، رغبة فيها، رجاء ماعند الله من حسن ثوابه فى الآخرة؛ أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى مانهوا عنه، لعرض من الدنيا، ليختبركم، وذلك ببعض ذوبكم، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك، أن لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم، ولكى عدت لفضلى عليكم، وكذلك **﴿من الله على المؤمنين﴾** أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا وموعظة، فإنه غير مستأصل لكل مافيهم من الحق له عليهم، بما أصابوا من معصيته، رحمة لهم، وعائدة عليهم، لما فيهم من الإيمان.

ثم أنبهم بالفرار عن نبيم ﷺ، وهم يُدعون لا يعطفون عليه لدعائه إياهم، فقال: **﴿إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم، فأثابكم غما بغم، لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم﴾**: أى كربا بعد كرب، بقتل من قتل من إخوانكم، وعلو عدوكم عليكم، وبما وقع فى أنفسكم من قول من قال: قتل نبيكم، فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم؛ **﴿لكيلا تحزنوا على مافاتكم﴾**؛ من ظهوركم على عدوكم، بعد أن رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم، حتى فرجت ذلك الكرب عنكم **﴿والله خبير بما تعملون﴾**. وكان الذى فرج الله به عنهم ماكانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم، أن الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم ﷺ، فلما رأوا رسول الله ﷺ حيا بين أظهرهم، هان عليهم مافاتهم من القوم بعد الظهور عليهم، والمصيبة التى أصابتهم فى أخوانهم، حين صرف الله القتل عن نبيهم ﷺ **﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يقولون هل لنا من الأمر من شىء، قل إن الأمر كله لله، يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك، يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا هاهنا، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، وليبتلى الله مافى صدوركم، وليمحص مافى قلوبكم، والله عليم بذات الصدور﴾**، فأنزل الله النعاس أمنة منه على أهل اليقين به، فهم نيام لا يخافون، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، تخوف القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة. فذكر الله عز وجل تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم: **﴿قل لو كنتم فى بيوتكم﴾** لم تحضروا هذا الموطن الذى أظهر الله فيه منكم ماأظهر من

سرائركم ﴿لبرز﴾ لأخرج ﴿ الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ إلى موطن غيره يصرعون فيه، حتى يبتلى به مافى صدورهم ﴿ وليمحص مافى قلوبكم، والله عليم بذات الصدور﴾ : أى لا يخفى عليه مافى صدورهم مما استخفوا به منكم.

ثم قال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى، لو كان عندنا ماماتوا وماقتلوا، ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم، والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير﴾ : أى لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله، والضرب فى الأرض فى طاعة الله عز وجل، وطاعة رسول الله ﷺ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا: لو أطاعونا ماماتوا وماقتلوا ﴿ ليجعل الله ذلك حسرةفى قلوبهم﴾ لقلة اليقين بربهم، ﴿والله يحيى ويميت﴾ : أى يعجل مايشاء ويؤخر مايشاء من ذلك من آجالهم بقدرته قال تعالى: ﴿ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله، ورحمة خير مما يجمعون﴾ : أى إن الموت لكائن لابد منه، فموت فى سبيل الله، أو قتل، خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد، تخوف الموت، والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة فى الآخرة ﴿ولئن متم أوقتلتم﴾ أى ذلك كان ﴿لإلى الله تحشرون﴾ أى أن إلى الله المرجع، فلا تغرنكم الدنيا، ولاتغتروا بها، وليكن الجهاد ومارغبكم الله فيه من ثوابه آثر عندكم منها.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ : أى لتركوك ﴿فاعف عنهم﴾ : أى فتجاوز عنهم ﴿واستغفر لهم، وشاروهم فى الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين﴾ فذكر لنبيه ﷺ لينه لهم، وصبره عليهم، لضعفهم، وقلة صبهم على الغلظة لو كانت منه عليهم فى كل ماخالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم ﷺ ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فاعف عنهم﴾ : أى تجاوز عنهم، ﴿ واستغفر لهم﴾ ذنوبهم، من قارف من أهل الإيمان منهم ﴿ وشاورهم فى الأمر﴾ :أى لتريهم أنك تسمع منهم، وتستعين بهم، وإن كنت غنيا عنهم، تآلفا لهم بذلك على دينهم ﴿فإذا عزمت﴾ : أى على أمر جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك، فامض على ما أمرت به، على خلاف من خالفك، وموافقة من وافقك، ﴿وتوكل على الله﴾، أى ارض به من العباد، ﴿إن الله يحب المتوكلين. إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده﴾ : أى لئلا تترك أمرى

للناس، وارفض أمر الناس إلى أمرى ﴿**وعلى الله**﴾ لا على الناس، ﴿**فليتوكل المؤمنون**﴾.

ثم قال: ﴿ **وماكان لنبى أن يغل، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة، ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون**﴾: أى ماكان لنبى أن يكتم الناس مابعثه الله به إليهم، عن رهبة من الناس ولارغبة، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة له، ثم يجزى بكسبه؛ غير مظلوم ولامعتدى عليه﴿ **أفمن اتبع رضوان الله**﴾ على ما أحب الناس أو سخطوا ﴿**كمن باء بسخط من الله**﴾ لرضا الناس أو لسخطهم يقول: أفمن كان على طاعتى فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله راستوجب سخطه، فكان ﴿**مأواه جهنم وبئس المصير**﴾ أسواء المثلان! فاعرفوا ﴿**هم درجات عند الله، والله بصير بما يعملون**﴾ لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار: أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته.

ثم قال: ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين**﴾ أى لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم، وفيما عملتم فيعلمكم الخير والشر، لتعرفوا الخير فتعملوا به والشر فتتقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ماسخط منكم من معصيته، ولتتخلصوا بذلك من نقمته، وتدركوا بذلك ثوابه من جنته﴿**وإن كنتم من قبل لفى ضلال مبين**﴾ : أى لفى عمياء من الجاهلية، أى لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة صم عن الخير، بكم عن الحق، عمى عن الهدى.

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم، فقال: ﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم: أنى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم، إن الله على كل شىء قدير**﴾: أى إن تك أصابتكم مصيبة فى إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبل من عدوكم، فى اليوم الذى كان قبله ببدر، قتلا وأسرا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم ﷺ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم ﴿**إن الله على كل شىء قدير**﴾: أى إن الله على ماأراد بعباده من نقمة أو عفو قدير﴿**وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله، وليعلم المؤمنين**﴾: أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فبإذنى، كان ذلك حين فعلتم مافعلتم بعد أن جاءكم نصرى، وصدقتكم وعدى، ليميز بين المؤمنين والمنافقين﴿وليعلم الذين نافقوا » منكم: أى ليظهر مافيهم﴿ **وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو**

ادفعوا﴾ يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد، وقولهم: لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم، ولدفعنا عنكم، ولكنا لا نظن أنه يكون قتال فأظهر منهم ماكانوا يخفون فى أنفسهم يقول الله عز وجل: **﴿ هم الكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان، يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم﴾** أى يظهرون لك الإيمان وليس فى قلوبهم **﴿والله أعلم بما يكتمون﴾** أى مايخفون. **﴿**الذين قالوا لإخوانهم**﴾** الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم **﴿ لو أطاعونا ما قاتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾**: أى أنه لابد من الموت، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله، حرصا على البقاء فى الدنيا وفراراً من الموت.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم، يرغب المؤمنين فى الجهاد، ويهون عليهم القتل: **﴿ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾** أى لا تظنن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا: أى قد أحييتهم، فهم عندى يرزقون فى روح الجنة وفضلها، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم: أى ويسرون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على مامضوا عليه من جهادهم، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن. يقول الله تعالى: **﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾** لما عاينوا من وفاء الموعود، وعظيم الثواب.

مصير قتلى أحد: قال ابن إسحاق: وحدثنى إسماعيل بن أمية، عن أبى الزبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « **لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب، فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن مقيلهم، قالوا: ياليت إخواننا يعلمون ماصنع الله بنا، لئلا يزهدوا فى الجهاد، ولا ينكأوا عن الحرب، فقال الله تعالى: فأنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله على رسوله ﷺ هؤلاء الآيات: ولا تحسبن..**»[1].

---

(١) إسناده حسن، ورواه أحمد: (١/٢٦٦) وأبو داود(٢٥٢٠) الحاكم(٢/٨٨، ٢٩٧) من طريق ابن اسحاق لكن قع عند أبى داود والحاكم: عن أبى الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال ابن كثر فى« تفسيره» (١/٤٢٧) « وهذا أثبت» يريد زيادة « سعيد بن جبير فى الإسناد» . والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر =

قال ابن إسحاق: وحدثنى الحارث بن الفضيل، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، فى قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا»**[1].

قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات: **﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾** فقال: أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر، ترد فى أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش، فيطلع الله عز وجل عليهم إطلاعة فيقول: ياعبادى، ماتشتهون فأزيدكم؟ قال: فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطلع الله عليهم إطلاعة، فيقول يا عبادى، ماتشتهون فأذيدكم! فيقولون: ياعبادى، ماتشتهون، فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لافوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطلع عليهم اطلاعة، فيقول: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطلع عليهم اطلاعة، فيقول: ياعبادى، ماتشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لافوق ماأعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا! إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا فى أجسادنا، ثم نرد إلى الدنيا، فنقاتل فيك، حتى نقتل مرة أخرى.[2]

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أصحابنا، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: **ألا أبشرك ياجابر؟ قال قلت: بلى يانبى الله، قال: إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله عز وجل، ثم قال له: ماتحب ياعبد الله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: أى رب، أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك، فأقتل مرة أخرى**[3].

= فى «تعليقه» على المسند(٤/ ١٢٣) وقال الحاكم: صحح على شرط مسلم ووافقه الذهبى. وحسنه الألبانى فى «صحيح سنن أبى داود»(٢/ ٤٧٩).

(١) إسناده صحيح. ورواه أحمد (١/ ٢٦٦) وابن أبى شيبة(٥/ ٢٩٠) وابن حبان(٤٦٥٨) الإحسان، والطبرى (٢٣٢٣، ٨٢٠٩، ٨٢١٠، ٨٢١١، ٨٢١٢، ٨٢١٣) والطبرانى(١٠٨٢٥) والحاكم(٢/ ٧٤) من طرق عن ابن إسحاق، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وصححه الشخ أحمد شاكر فى تعليقه على المسند(٤/ ١٢٤) وقال الهيثمى فى «المجمع»(٥/ ٢٩٨) رجال أحمد ثقات، وقال ابن كثير فى «تفسيره»(١/ ٤٢٧) «وهو إسناد جيد».

(٢) رواه مسلم بنحوه(٤٨٠٢) كتاب الجهاد، باب: بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. والترمذى(٣٠١١) وابن ماجه(٢٨٠١).

(٣) إسناده ضعيف، فيه جهالة. ورواه أحمد بنحوه(٣/ ٣٦١) والحميدى(١٢٦٥) والترمذى(٣٠١٠) وأبو يعلى(٢٠٠٢) وابن ماجه(١٩٠، ٢٨٠٠) والحاكم(٣/ ٢٠٤) والطبرى فى التفسير(٤/ ١٧٢) وحسنه الألبانى فى «صحيح سنن ابن ماجه»(١/ ٣٨) ورواه البيهقى فى «الدلائل»(٣/ ٢٩٨) من طريق ابن إسحاق عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر... الحديث.

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن عبيد، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده، مامن مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع ليها ساعة من نهار، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا، فيقاتل فى سبيل الله، فيقتل مرة أخرى**»[1].

من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد: قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح**﴾ أى الجراح، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على مابهم من ألم الجراح: ﴿ **للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا، النفر من عبد القيس، الذين قال لهم أبو سفيان ماقال: قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم. يقول الله عز وجل: ﴿**فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء،واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم**﴾ صرف الله عنهم من لقاء عدوهم، ﴿**إنما ذلكم الشيطان**﴾، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿**يخوف أولياءه**﴾: أى يرهبكم بأوليائه، ﴿ **فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر** : أى المنافقون﴿ **إنهم لن يضروا الله شيئا، يريد الله ألا يجعل لهم حظاً فى الآخرة، ولهم عذاب عظيم إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لأنفسهم، إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب**﴾: أى المنافقين﴿**وماكان الله ليطلعكم على الغيب**﴾: أى فيما يريد أن يبتليكم به، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ﴿**ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء**﴾ أى يعلمه ذلك ﴿**فآمنوا بالله ورسله، وإن تؤمنوا وتتقوا**﴾: أى ترجعوا وتتوبوا﴿**فلكم أجر عظيم**﴾.

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، رضى الله عنه، قتله وحشى، غلام جبير بن مطعم.

(١) إسناده مرسل. وروى نحوه البخارى(٦/ ١٥) كتاب الجهاد، باب: الحور العين وصفتهن. ومسلم(٤٧٨٤) كتاب الجهاد، باب: فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى والترمذى(١٦٦١) كتاب الجهاد، باب: فى ثواب الشهيد. وأحمد(٣/ ١٥٣، ١٧٣، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٤) والنسائى(٦/ ٣٣).

ومن بنى أمية بن عبد شمس: عبدالله بن جحش، حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة.

ومن بنى عبد الدار بن قصى: مصعب بن عمير، قتله ابن قمئة الليثى.

ومن بنى مخزوم بن يقظة: شماس بن عثمان أربعة نفر:

ذكر من استشهد بأحد من الأنصار: ومن الأنصار، ثم من بنى عبدالأشهل: عمرو بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أنس بن رافع، وعمارة بن زياد بن السكن.

قال ابن هشام: السكن: ابن رافع بن امرىء القيس، ويقال: السكن.

قال ابن إسحاق: وسلمة بن ثابت بن وقش، وعمرو بن ثابت بن وقش، رجلان.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة: أن أباهما ثابتا قتل يومئذ. ورفاعة ابن وقش. وحسيل بن جابر، أبو حذيفة وهو اليمان، أصابه المسلمون فى المعركة ولايدرون، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه، وصيفى بن قيظى وحباب بن قيظى وعباد بن سهل، والحارث بن أوس بن معاذ اثنا عشر رجلا.

ومن أهل راتج[1]: إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عوراء بن جشم بن عبد الأشهل، وعبيد بن التيهان.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التيهان.

وحبيب بن يزيد بن تيم ثلاثة نفر.

ومن بنى ظفر: يزيد بن خاطب بن أمية بن رافع، رجل.

ومن بنى عمرو بن عوف، ثم من بنى ضيعة بن زيد: أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد، وحنظلة بن أبى عامر بن صيفى بن نعمان بن مالك بن أمة، وهو غسيل الملائكة، قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثى رجلان.

قال ابن هشام: قيس: ابن زيد بن ضبيعة، ومالك: ابن أمة بن ضبيعة.

قال ابن إسحاق: ومن بنى عبيد بن زيد: أنيس بن قتادة. رجل.

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف: أبو حية، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه.

قال ابن هشام: أبو حية: ابن عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن جبير بن النعمان، وهو أمير الرماة. رجلان.

(١) راتج: أطم من أطم المدينة.

ومن بنى السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس: خيثمة أبو سعد ابن خيثمة. رجل.

ومن حلفائهم من بنى العجلان: عبد الله بن سلمة. رجل.

ومن بنى معاوية بن مالك: سبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة. رجل.

قال ابن هشام: ويقال: سويبق بن الحارث بن حاطب بن هيشة.

قال ابن إسحاق: ومن بنى النجار: ثم من بنى سواد بن مالك بن غنى: عمرو بن قيس، وابنه قيس بن عمرو.

قال ابن إسحاق: وثابت بن عمرو بن زيد؛ وعامربن مخلد. أربعة نفر.

ومن بنى مبذول: أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول، وعمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو. رجلان.

ومن بنى عمرو بن مالك: أوس بن ثابت بن المنذر: رجل.

قال ابن هشام: أوس بن ثابت، أخو حسان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: ومن بنى عدى بن النجار. أنس بن النضر بن ضمضم ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار. رجل.

قال ابن هشام: أنس بن النضر، عم أنس بن مالك: خادم رسول الله ﷺ.

ومن بنى مازن بن النجار: قيس بن مخلد، وكيسان، عبد لهم. رجلان.

ومن بنى دينار بن النجار: سُليم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو رجلان.

ومن بنى الحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد بن أى زهير، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير، دفنا فى قبر واحد، وأوس بن الأرقم بن زيد ابن قيس بن النعمان بن مالك ابن ثعلبة بن كعب. ثلاثة نفر.

ومن بنى الأبجر، وهم بنو خدرة: مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، وهو أبو أبى سعيد الخدرى.

قال ابن هشام: اسم أبى الخدرى: سنان؛ ويقال سعد.

قال ابن إسحاق: وسعيد بن سُويد بن قيس بن عامر بن عباد الأبجر؛ وعتبة،

ابن ربيع، ابن رافع؛ بن معاوية، بن عبيد، بن عبيد، بن ثعلبة، بن عبيد، بن الأبجر، ثلاثة نفر.

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج: ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة؛ وثقف بن فروة بن البدى. رجلان.

ومن بنى طريف، رهط سعد بن عبادة: عبد الله بن عمرو بن وهب ابن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف؛ وضمرة، حليف لهم من بنى جهينة. رجلان.

ومن بنى عوف بن الخزرج، ثم من بنى سالم، ثم من بنى مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم: نوفل بن عبد الله؛ وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العلجان؛ ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم؛ والمجذر بن ذياد، حليف لهم من بلى؛ وعبادة بن الحساس.

دفن النعمان بن مالك، والمجذر، وعبادة فى قبر واحد. خمسة نفر.

ومن بنى الحبلى: رفاعة بن عمرو. رجل.

ومن بنى سلمة، ثم من بنى حرام: عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام؛ وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، دفنا فى قبر واحد؛ وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، وأبو أيمن، مولى عمرو بن الجموح. أربعة نفر.

ومن بنى سواد بن غنم: سليم بن عمرو بن حديدة، ومولاه عنترة، وسهل بن قيس بن أبى كعب بن القين. ثلاثة نفر.

ومن بنى زريق بن عامر: ذكوان بن عبد قيس، وعبيد بن المعلى بن لوذان. رجلان.

قال ابن هشام: عبيد بن المعلى، من بنى حبيب.

قال ابن إسحاق: فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلا.

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا، من الأوس، ثم من بنى معاوية بن مالك: مالك بن نميلة، حليف لهم من مزينة.

ومن بنى خطمة ـ واسم خطمة: عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس ـ الحارث ابن عدى بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة.

ومن الخروج، ثم من بنى سواد بن مالك بن مالك: إياس.

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار: أياس بن عدى.

ومن بنى سالم بن عوف: عمرو بن إياس.

****

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

قال ابن إسحاق: وقتل من المشركين يوم أحد من قريش، ثم من بنى عبدالدار بن قصى من أصحاب اللواء: طلحة بن أبى طلحة، واسم أبى طلحة: عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، قتله على بن أبى طالب، وأبو سعيد بن أبى طلحة، قتله سعد بن أبى وقاص.

قال ابن هشام: ويقال: قتله على بن أبى طالب.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن أبى طلحة، قتله حمزة بن عبد المطلب، ومسافع بن طلحة، والجلاس بن طلحة، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح. وكلاب بن طلحة. والحارث بن طلحة، قتلهما قزمان، حليف لبنى ظفر.

قال ابن هشام: ويقال: قتل كلابا عبد الرحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق: وأرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة بن عبد المطلب، وأبو زيد بن عمير بن هاشم بن عب مناف بن عبد الدار، قتله قزمان: وصؤاب غلام له حبشى قتله قزمان.

قال ابن هشام: ويقال: قتله على بن أبى طالب، ويقال: سعد بن أبى وقاص، ويقال أبو دجانة.

قال ابن إسحاق: والقاسط بن شُريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله قزمان. أحد عشر رجلا.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى: عبد الله بن حميد بن زهير بن أسد قتله على بن أبى طالب. رجل.

ومن بنى زهرة بن كلاب: أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى، حليف لهم، قتله على بن أبي طالب، وسباع بن عبد العزى - واسم عبد العزى: عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى - حليف لهم من

خزاعة، قتله حمزة بن عبد المطلب. رجلان.

ومن بنى مخزوم بن يقظة، هشام بن أبى أمية بن المغيرة، قتله قزمان: والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة، قتله قزمان: وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله على بن أبى طالب، وخالد بن الأعلم، حليف لهم، قتله قزمان. أربعة نفر.

ومن بنى جمح بن عمرو: عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح، وهو أبو عزة، قتله رسول الله ﷺ صبراً، وأبيّ بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح، قتله رسول الله ﷺ بيده. رجلان.

ومن بنى عامر بن لؤى: عبيدة بن جابر؛ وشيبة بن مالك بن المضرّب؛ قتلهما قزمان. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: قتل عبيدة بن جابر عبد الله بن مسعود.

قال ابن إسحاق: فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين، اثنان وعشرون رجلا.

****

ذكر ماقيل من الشعر يوم أحد

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر فى يوم أحد، قول هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد عمران بن مخزوم ـ قال ابن هشام: عائذ: ابن عمران بن مخزوم.

ما بال هـــمٍّ عميد بـات يطرقنى ... بالوُد من هند إذ تعدو عواديها[1]

باتــت تعاتبنـــى هنـــد وتعذلنى ... والحرب قد شغلت عنى مواليها

مهلا فلا تعذلينى إن من خلقى ... ماقد علمت وما إن لست أخفيها

مساعف لبنى كـــعب بمـــا كلفوا ... حمـــال عـــبء وأثقـال أعانيها[2]

وقد حملت سلاحى فوق مشترف ... ساط سبوح إذا تجرى يباريها[3]

---

(١) العميد: شديد الحزن، والعوادى: الشواغل.

(٢) مساعف: مطيع. بما كلفوا: أو لعوا به وأحبوه. والعبء: الحمل الثقيل، وأراد به هنا مايكلفونه من مشاق الأمور وعظامها. وأعاينها أكابدها واحتملها.

(٣) مشترف: بفتح الراء اسم مفعول. عنى به فرسًا يستشرفه الناس أى ينظرون إليه ويتطلعون نحوه لحسنه. وساط: أى بعيد الخطو إذا مشى. والسبوح: الذى يسبح فى حرية كأنه يعوم. ويباريها: أى يعارضها ويجاريها.

كأنه إذ جـــــرى عَـير بفدفدة مكـــدَّم لاحـــق بالعـون يحميها[١]
من آل أعوج برتـــاح النـَّـدىُّ له كجذع شـعراء مستعمل مراقيها[٢]
أعـــددته ورقـــاق الحد منتخلاً ومارنا لخـطوب قـــد ألاقيها[٣]
هذا وبيضاء مثل النُّهى محكمة نيطت علىَّ فما تبدو مساويها[٤]
ســقنا كنانة من أطراف ذى يمن عرض البـلاد على ماكان يزجيها[٥]
قالت كنانة: أنـَّى تذهـبون بنا؟ قلنـا: النـخيل، فأموها ومن فيها[٦]
نحن الفوارس يوم الجر من أحُد هـابت معـد فقلنا نحن نأتيها[٧]
هابوا ضرابا وطعنا صادقا خذما مما يرون وقد ضُـمت قواصيها[٨]
ثمت رحـنا كأنـا عـارض برد وقام هـام بنـى النـجار يبكيها[٩]
كأن هـامهم غـد الوغـى فلق من قيـض رُبـد نفته عن أداحيها[١٠]
أو حنظل زعزعته الريح فى غصن بـال تعـاوره منهـا سوافيها[١١]
قد نبذل المال ســحا لاحساب له ونطعن الخيل شزراً فى مآقيها[١٢]
وليلة يصطلى بالفرث جـازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها[١٣]
وليلة من جـمادى ذات أندية جربا جـمادية قـد بت أسريها[١٤]

(١) العير: حمار الوحش. والفدفدة: الفلاة. ومكدم: معضوض عضته آتنه. ولاحق: معناه: ضامر. والعون: جماعات حمر الوحش.

(٢) أعوج: اسم فرس مشهور فى الجاهلية. ويرتاح له: يستبشر به ويهتز لمرآه. والندى: المجلس فيه القوم. والجذع: الفزع. والشعراء ههنا: نخلة كثيرة الأغصان.. ومراقيها: معاليها.

(٣) رقاق الحد: السيوف. ومنتخلاً: متخيراً. والمارن هنا: الرمح اللين. والخطوب: حوادث الدهر.

(٤) البيضاء: الدرع. والنهى الغدير من الماء. ونيطت: علقت. ومساويها: عيوبها.

(٥) عرض البلاد: سعتها. ويزجيها: يسوقها. (٦) النخيل: أراد مدينة الرسول ﷺ. وأموها: قصدوها.

(٧) الجر: أصل الجبل.

(٨) الخذم: الذى يقطع اللحم سريعًا. والقواصى: جمع قاصية وهى ماتفرق وبَعُد.

(٩) العارض: السحاب. والبرد: الذى فيه برد. والهام: جمع هامة وهى ماتزعم العرب أنها طائر يخرج من رأس القتيل يصيح اسقونى حتى يؤخذ بثأر القتيل.

(١٠) الهام: جمع هامة وهى الرأس. والوغى: الحرب. والفلق: جمع فلقة وهى القطعة من الشىء. والقيض: هو قشر البيض الأعلى. والربد: جمع ربداء وهى التى لونها بين السواد والبياض، وأراد ههنا النعام. والأداحى جمع أدحى، وهو الموضع الذى تبيض فيه النعام.

(١١) زعزعته: حركته وأثارته. وتعاوره: تتداوله. والسوفى: جمع سافية وهى الريح التى تقلع التراب والرمل من الأرض.

(١٢) السح: الصب، يريد أنه عطاء كثير. والشزر: الطعن عن يمين وشمال. والمآقى: مجارى الدموع فى العين.

(١٣) الفرث: مايخرج من كرش الحيوان. ويصطلى: أى يتسخن. والنقرى أى يدعو قومًا دون قوم فيخص بدعوته لايعم بها الناس. والمثرين: جمع مثر وهو اسم فاعل من أثرى، إذا صار ماله كثيراً كالثرى وهو التراب.

(١٤) من جمادى: يريد أنها من ليالى الشتاء. وجربًا أصله جرباء، يريد شديدة البرد مؤلمة. وأسريها: أسير فيها.

لاينبح الكلب فيها غير واحـــــدة | من القريس ولا تسرى أفاعيها[١]
أوقدت فيها لذى الضراء جاحمة | كالبرق ذاكية الأركـــــان أحميها[٢]
أورثنى ذاكــــم عــمرو ووالده | من قبلــه كـــان بالمثنى يغاليها[٣]
كانوا يبارون أنواء النجـــوم فما | دنت عن السورة العليا مساعيها[٤]

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت، فقال:

سقتم كنانة جـــهلا من سفاهتكم | إلى الرســـول فجند الله مخزيها
أوردتموها حــياض الموت ضاحية | فالنار موعـــدها، والقتل لاقيها[٥]
جمعتموها أحابيشاً بلا حـــسب | أئمة الكـفر غـــرتكم طـــواغيها[٦]
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت | أهل القليب ومـــن ألقينه فيها[٧]
كم من أسير فككـناه بـــلا ثمن | وجـــز ناصـية كنـــا مواليها[٨]

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك:

قال ابن هشام: وبيت هبيرة بن أبى وهب الذى وهب الذى يقول فيه:

ولية يصطفى بالفـــرث جـــارزها | يختـص بالنقـــرى المثرين داعيهـــا

يروى لجنوب، أخت عمرو ذى الكلب الهذلى، فى أبيات لها فى غير يوم أحد.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبى وهب أيضاً:

ألا هـــل أتـى غـسان عنا ودونهم | من الأرض خـرق سيره متنعنع[٩]
صحــــار وأعـــلام كأن قتامها | من البعـــد نقع هـــامد متقطع[١٠]

---

(١) القريس: البرد من الصقيع، والصقيع الثلج الذي يلصق بالنبات وهو الجليد أيضًا .والأفاعى: جمع أفعى.
(٢) لذى الضراء: أراد به صاحب الحاجة والفقر. وحامية: أراد نارًا . وذاكية: أراد مضيئة .
(٣) المثنى: أراد مرة بعد مرة .
(٤) يبارون : يعارضون ويفعلون مثل ماتفعل. ودنّت: أى قصرت والسورة: الرفعة والمنزلة. والمساعى: جمع مسعاة وهى مايسعى فيه من المكارم .
(٥) الحياض: جمع حوض. والضاحية: البارزة للشمس .
(٦) الحسب: الشرف. وطواغيها: جمع طاغية وهو المتكبر المتمرد .
(٧) أهل القليب: أراد بهم من قتل فى بدر من المشركين فطرح فى القليب وهو البئر .
(٨) مواليها: أهل النعمة وأصحاب المنة عليها ، يريد أنهم فكوا كثيراً من أسرى قريش يوم بدر بغير فداء فكانوا لذلك أصحاب النعمة واليد البيضاء عليهم فلو كان عند هؤلاء شىء من حفظ لقبعوا فى بيوتهم فلم يخرجوا لقتالهم .
(٩) الخرق: الفلاة الواسعة. ومتنعنع: أى مضطرب .
(١٠) الأعلام: الجبال. والقتام: ماسود من الأشياء. والنقع الغبار. والهامد: الساكن .

تظل به البزل العراميس رزحا   ويخلو به غيث السنين فيمرع[١]
به جـيف الحـسرى يلوح صليبها   كما لاح كتـان التجـار الموضع[٢]
به العين والآرام يمشين خلـفة   وبيض نعـام قيضـه يتفلع[٣]
مجـالدنا عن ديننا كـل فخمة   مدربة فيهـا القوانـس تلمع[٤]
وكل صموت فى الصوان كأنها   إذا لبُست تهى من الماء مترع[٥]
ولكن ببـدر سـائلوا من لقيتم   من الناس والأنباء بالغيب تنفع
وإنا بأرض الخوف لو كان أهلها   سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا[٦]
إذا جـاء منا راكب كان قوله   أعدوا لما يزجى ابن حرب ويجمع
فمهـما يهم النـاس ممـا يكيدنا   فنحن له من سائر الناس أوسع
فلو غيرنا كانت جميعا تكيده الـ   قد أعطـوا يـدا وتوزعوا[٧]
نجـالد لا تبقـى علينا قبيلة   من النـاس إلا أن يهابوا ويفظعوا[٨]
ولمـا ابتنوا بالعرض قال سراتنا   علام إذا لم نمنع العـرض نزرع؟[٩]
وفينا رسـول الله نتبع أمره   إذا قـال فينا القول لا نتطلع[١٠]
تـدلى عليه الـروح من عند ربه   ينزل من جـو السماء ويُرفع[١١]
نشاوره فـيما نريـد وقصرنا   إذا ما اشهى أنا نطيع ونسمع[١٢]
وقال رسـول الله لمـا بدوا لنا   ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشرى الحياة تقربا   إلى ملك يحيا لديه ويُرجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا   على الله إن الأمر لله أجمع

---

(١) البزل: الإبل القوية. والعراميس: الشديدة. والرزح: جمع رازح وهى المعيى. ويمرع: يخصب .
(٢) الصليب هنا: دسم الشحم واللحم. والموضع: المحلى بالنقوش .
(٣) العين: جمع عيناء، وهى البقرة من بقر الوحش. والآرام: بيض البطون سمر الظهور. وخلفة: أى يمشين جماعة وراء جماعة . والقيض: قشر البيض. ويتفلع: يتشقق .
(٤) فخمة: يريد كتيبة عظيمة. ومدربة : يريد أنهم معلمون ومدربون على القتال. والقوانس: رءوس بيض السلاح .
(٥) الصموت: الدرع التى أحكم صنعها فليس يسمع لها صوت. والصوان: كل مايصان فيه الشيء. والنهى: الغدير. ومترع: أى مملوء ماء .
(٦) اقشعوا: فروا وذلوا .
(٧) توزعوا: تفرقوا .
(٨) يفظعوا: يهالوا ويفزعوا، من الشيء الفظيع وهو الذى يهولك منظره .
(٩) ابتنوا: خربوا أبنيتهم وهى القباب والأخبية، والعرض: موضع خارج المدينة. وسراتنا : خيارنا .
(١٠) لانتطلع: لانميل عنه ولانعدل عما قاله .
(١١) الروح: هو جبريل عليه السلام، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين﴾ .
(١٢) قصرنا: غايتنا

فسرنا إليهم جهرة في رحالهم   ضُحيا علينا البيض لا نتخشع[1]

بملمومة فيها السَّتور والقنا   إذا ضربوا أقدامها لا تورع[2]

فجئنا إلى موج من البحر وسطه   أحابيش منهم حاسر ومقنع[3]

ثلاثة آلاف ونحن نصية   ثلاث مئين إن كثرنا وأربع[4]

نغاورهم تجرى المنية بيننا   نشارعهم حوض المنايا ونشرع[5]

تهادى قسى النبع فينا وفيهم   وما هو إلا اليثربى المقطع[6]

ومنجوفة حرمية صاعدية   يذر عليها السم ساعة تصنع[7]

تصوب بأبدان الرجال وتارة   تمر بأعراض البصار تقعقع[8]

وخيل تراها بالفضاء كأنها   جراد صبا في قرة يتريع[9]

فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى   وليس لأمر حمه الله مدفع[10]

ضربناهم حتى تركنا سَراتهم   كأنهم بالقاع خشب مصرع[11]

لدن غدوة حتى استفقنا عشية   كأن ذكانا حر نار تلفع[12]

وراحوا سراعا موجفين كأنهم   جهام هراقت ماءه الريح مقلع[13]

ورحنا وأخرانا بطاء كأننا   أُسُود على لحم ببيشة ظلع[14]

فنلنا ونال القوم منا وربما   فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع

ودارت رحانا واستدارت رحاهم   وقد جعلوا كل من الشر يشبع

ونحن إناس لا نرى القتل سبة   على كل من يحمى الذمار ويمنع[15]

---

(١) البيض: جمع أبيض، والمراد بها السيوف.

(٢) الململومة: الكتيبة المجتمعة. والستور: السلاح. ولاتورع: لاتكف.

(٣) الحاسر: الذى لادرع له ولامغفر. والمقنع: الذى لبس المغفر على رأسه.

(٤) النصية: الخيار من القوم.

(٥) نغاورهم: نغير عليهم من الغارة. ونشارعهم: نشاربهم. ونشرع: نشرب، يريد أنه قد كانت بينهم مغاورات ينتصرون عليهم مرة ويظفرون بهم مرة.

(٦) النبع: شجر تصنع منه القسى. واليثربى: الأوتار المنسوبة إلى يثرب.

(٧) المنجوفة: السهام. وحرمية: منسوبة إلى أهل الحرم. وصاعدية: منسوبة إلى صانع اسمه صاعد.

(٨) تصوب: تقع. والبصار: الحجارة اللينة. وتقعقع: تصوت، يريد أنها تصيب مرة وتخطئ مرة.

(٩) الفضاء: المتسع من الأرض. والصبا: الريح الشرقية. والقرة: البرد. ويتريع: يجئ ويذهب.

(١٠) رحى الحرب: معظم موضع القتال فيها. وحمه الله: قدره.

(١١) سراتهم: خيارهم. والقاع: المنخفض من الأرض.

(١٢) ذكانا: أراد اشتعال نار حربنا والتهابها. وتلفع: يصيب حرها من دنا منها.

(١٣) الجهام: السحاب الرقيق الذى ليس معه مطر.

(١٤) بيشة: اسم موضع تنسب إليه الأسود. وظلع: أى امتلأت بنا الأرض لكثرتنا.

(١٥) الذمار: مايجب على الرجل أن يحميه

جلاد على ريب الحوادث لا نرى … على هالك عينا لنا الدهر تدمع[١]
بنو الحرب لا نعيا بشىء نقوله … ولا نحن مما جرت الحرب نجزع
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش … ولا نحن من أظفارها نتوجع[٢]
وكنا شهابا يتقى الناس حره … ويفرج عنه من يليه ويسفع[٣]
فخرت على ابن الزبعرى وقد سرى … لكم طلب من آخر الليل متبع
فسل عنك فى عُليا معد وغيرها … من الناس من أخرى مقاما وأشنع
ومن هو لم تترك له الحرب مفخراً … ومن خده يوم الكريهة أضرع[٤]
شددنا بحول الله والنصر شدة … عليكم وأطراف الأسنة شُرع[٥]
تكر القنا فيكم كأن فروغها … عزالى مزاد ماؤها يتهرع[٦]
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر … بذكر اللواء فهو فى الحمد أسرع
فخانوا وقد أعطوا يدا وتخاذلوا … أبى الله إلا أمره وهو أصنع[٧]

قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال:

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة[٨]

فقال رسول الله ﷺ: أيصلح أن تقول: مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم، فقال رسول الله ﷺ: فهو أحسن؛ فقال كعب مجالدنا عن ديننا.

قال ابن إسحاق وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد:

يا غراب البين اسمعت فقل … إنما تنطق شيئا قد فعل
إن للخير وللشر مدى … وكلا ذلك وجه وقبل[٩]
والعطيات خساس بينهم … وسواء قبر مثر ومقل[١٠]

(١) جلاد: جمع جليد وهو الصبور .
(٢) فحش: يريد أنهم إن ظفروا لم يطغهم ظفرهم فيسبوا ويفحشوا أو يمثلوا بقتلاهم كما فعلت قريش فى أحد. وإن ظفر عليهم لم يجزعوا لذلك، لعلمهم أن الهزيمة لاتدوم .
(٣) الشهاب: القطعة من النار. ويسفع: يحرق ويغير اللون .
(٤) أضرع: ذليل .
(٥) شرع: مائلة للطعن، يقال: أشرعت الرمح قبله، إذا أملته إليه لتطعنه به .
(٦) الفروغ: الطعنة الواسعة التى يسيل دمها. والعزالى: جمع عزلاء وهى فم المزادة. ويتهرع: يسرع فى سيلانه .
(٧) فخانوا: من الخيانة .
(٨) عن جذمنا: عن أصلنا .
(٩) المدى: الغاية التى يصل إليها. وقبل: المقابلة والمواجهة .
(١٠) خساس: حقيرة. ومثر: غنى. ومقل: فقير، إذا صار ماله قليلاً .

كـــل عيــش ونعيـــم زائـــل ... وبنـــــات الـــدهر يلعبن بكل[1]
أبلغـــن حـــسان عنـــــى آية ... فقريض الشعر يشــفى ذا الغلل[2]
كـــم تـــرى بالجر من جمجمة ... وأكـــف قـــد أتـــرت ورجل[3]
وســـرابيل حـــسان ســـريت ... عن كماة أهلكـــوا فى المنتزل[4]
كـــم قتلنا مـــن كريـــم سيد ... ماجـــد الجـدين مقـــدام بطل[5]
صـــادق النجـــدة قـــرم بـــارع ... غيـــر ملتاث لـــدى وقـــع الأسل[6]
فســـل المهـــراس مـــن ســاكنه؟ ... بين أقحـــاف وهــــام كالحـــجل[7]
ليـــت أشـــياخى ببـــدر شـــهدوا ... جزع الخـــزرج مـــن وقع الأسل[8]
حـــين حـــكمت بقـــباء بـــركها ... واستحـــر القتل فـى عبد الأشل[9]
ثم خـــفوا عند ذاكـــم رقصا ... رقـــص الحـفَّان يعلو فى الجبل[10]
فقتلنا الضـــعف مـــن أشرافهم ... وعـــدلنا مـــيل بـــدر فـــاعتدل
لا ألـــوم النفـــس إلا أننـــا ... لـــــو كـــــررنا لفعلنا المفتعل
بســـيوف الهـــند تعلـــو هامهم ... علــــلا تعلوهـــم بعـــد نهل[11]

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه، قال:

ذهبـــت يابـــن الزبعـــرى وقعة ... كـــان منا الفضـــل فيها لو عدل
ولقـــد نلتـــم ونـــلنـــا منكـــم ... وكـذاك الحـــرب أحـــيانا دُوَل
نضع الأســـياف فـــى أكتافكم ... حيـــث نهـــوى عـــللا بعد نهل
نخـــرج الأصـــبح مـــن أستاهكم ... كســـلاح النيب يأكـــان العصل[12]

---

(١) بنات الدهر: حوادثه ومصائبه .
(٢) الآية: العلامة. والغلل: الحرارة والعطش .
(٣) الجر: أصل الجبل. والجمجمة: أراد بها الرأس. وأترت: قطعت .
(٤) السرابيل: الدروع. وسريت: جردت. والكماة: الشجعان. والمنتزل: موضع النزال والحرب .
(٥) المقدام: الذى يقدم على المكروه لايباليه. والبطل الشجاع .
(٦) النجدة: القوة والشجاعة. والقرم: الفحل من الإبل فى الأصل ثم أطلقوه على الرجل الماجد الكريم. والبارع. المبرز على غيره. والملتاث: الضعيف. والأسل: الرماح .
(٧) المهراس: ماء بجبل أحد. والأقحاف: جمع قحف، وهو العظم فوق الدماغ وما انفلق من الجمجمة. والهام: جمع هامة وهى الرأس. والحجل: طائر فى حجم الحمام طيب اللحم .
(٨) الأسل: الرماح .
(٩) البرك: الصدر. واستحر القتل: اشتد. وعبد الأشل: أراد بنى عبد الأشهل فحذف الهاء لإقامة الوزن.
(١٠) الرقص: ضرب من المشى السريع: والحفان: صغار النعام .
(١١) النهل: الشرب الأول. والعلل: الشرب الثانى. وضرب ذلك مثلاً لمعاودتهم القتال ورجوعهم إليه.
(١٢) نخرج الأصبح: الأصبح مايخرج من الدبر لونه يميل إلى السواد والسلاح: بضم السين، مايخرج من الدبر أيضًا. والنيب: النوق المسنة. والعصل: نبات تأكله الإبل فيخرج أحمر مع فضلاتها .

إذ تولـــون علـــى أعقابكـــم ... هربـــا فى الشـــعب أشباه الرَّسل[١]

إذ شـــددنا شـــدة صـــادقة ... فأجـــاناكم إلى ســـفح الجـــبل[٢]

بخـــناطيل كـــأمذاق المـــلا ... من يـــلاقوه مـــن الناس يـهـل[٣]

ضـــاق عـــنا الشـــعب إذ نجزعه ... ومـــلأنا الفـــرط منه والرِّجَل[٤]

برجـــال لســـتم أمثـــالهم ... أيـــدوا جـــبريل نصـــراً فنزل[٥]

وعلونـــا يـــوم بـــدر بالتقى ... طاعـــة الله وتصـــديق الرســـل

وقتلـــنا كـــل رأس منهـــم ... وقتلنا كـــل جـــحجاح رفـــل[٦]

وتركنـــا فـــى قريش عـــورة ... يـــوم بـــدر وأحاديث المثَل

ورســـول الله حـــقا شـــاهد ... يـــوم بـــدر والتنابيل الهُبُل[٧]

فـــى قريش من جـــموع جمعوا ... مثل ما يجمع فى الخصب الهمل[٨]

نحـــن لا أمثالكم ولـــد استها ... نحـــضر الناس إذا البأس نـزل[٩]

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو زيد الأنصارى: « وأحاديث المثل» والبيت الذى قبله. وقوله: « فى قريش من جموع جمعوا» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين: رضى الله عنهم.

نشجت وهـــل لـــك من منشـــج ... وكـــنت مـــتى تذكـــر تلْجَج[١٠]

تذكرَ قـــوم أتانـــى لهـــم ... أحـــاديث فـــى الزمن الأعوج

فقلبك مـــن ذكرهـــم خـــافق ... من الشـــوق والحـــزن المنـضج

وقتلاهـــم فى جـــنان النعيم ... كـــرام المداخـــل والمخـــرج

بمـــا صبروا تحـــت ظل اللواء ... لـــواء الرســـول بـذى الأضوج[١١]

(١) الرسل: الإبل المرسلة بعضها فى إثر بعض، ويقال الرسل: الجماعة من كل شىء.
(٢) اجاناكم: ألجاناكم وأخطرناكم. وسفح الجبل: جانبه المقارب لأصله.
(٣) الخناطيل: الجماعات. والأمذاق: أخلاط الناس. والملا: ما اتسع من الأرض. ويهل: يفزع ويرتاع.
(٤) نجزعه: نقطعه. والفرط: ماعلا وارتفع من الأرض. والرجل: جمع رجلة وهو ما اطمئن من الأرض.
(٥) أيدوا جبريل: أراد أيدوا بجبريل فحذف حرف الجر وعدى الفعل.
(٦) الجحجاح: السيد. والرفل: الذى يجر ثوبه خيلاء.
(٧) التنابيل: القصار اللئام. والهبل بضم ففتح من الثكل، يقال: هبلته أمه إذا ثكلته.
(٨) الهمل: الإبل المهملة، وهى التى ترسل فى المرعى دون راع.
(٩) ولد: بضم فسكون ـ جمع ولد بفتحتين مثل أسْد وأسَد.
(١٠) نشجت: بكيت والنشيج البكاء مع صوت متردد. وتلجج، وهو من اللجج وهو التمادى فى الشىء والإقامة عليه.
(١١) الأضوج جمع ضوج وهو جانب الوادى.

غداة أجابت بأسيافها ... جميعا بنو الأوس والخزرج

وأشياع أحمد إذ شايعوا ... على الحق ذى النور والمنهج[(١)]

فما براحوا يضربون الكماة ... ويمضون فى القسطل المرهج[(٢)]

كذلك حتى دعاهم مليك ... إلى جنة دوحة المولج[(٣)]

فكلهم مات حَر البلاء ... على ملة الله لم يَحرَج[(٤)]

كحمزة لما وفى صادقا ... بذى هبة صارم سلجج[(٥)]

فلاقاه عبد بنى نوفل ... يبربر كالجمل الأدعج[(٦)]

فأوجره حربة كالشهاب ... تلهَّب فى اللهب الموهج[(٧)]

ونعمان أوفى بميثاقه ... وحنظلة الخير لم يُحنج[(٨)]

عن الحق حتى غدت روحه ... إلى منزل فاخر الزِّبرج[(٩)]

أولئك لا من ثوى منكم ... من النار فى الدرك المرتج[(١٠)]

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهرى، فقال:

أيجزع كعب لأشياعه ... ويبكى من الزمن الأعوج[(١١)]

عجيج المذكى رأى إلفه ... تروح فى صادر محنج[(١٢)]

فراح الروايا وغادرنه ... يعجعج قسرا ولم يحدج[(١٣)]

فقولا لكعب يثنى البكا ... وللنىء من لحمه ينضج

لمصرع إخوانه فى مكرٍّ ... من الخيل ذى قسطل مرهج[(١٤)]

---

(١) شايعوا: تابعوا وكانوا شيعة وتبعًا. والمنهج: الطريق الواضح .

(٢) الكماة: الشجعان. والقسطل: الغبار. والمرهج: الذى ثار حتى علا وارتفع فى الجو .

(٣) الدوحة: الكثيرة الأغصان. والمولج: المدخل. وأراد هنا أنها كثيرة الأبواب .

(٤) لم يحرج: لم يأثم .

(٥) بذى هبة: أراد به سيفًا، وهبة السيف: وقوعه بالعظم. والصارم القاطع. وسلجج: مرهف حاد قاطع.

(٦) أراد بعبد بنى نوفل وحشيًا غلام جبير بن مطعم الذى قتل حمزة رضى الله عنه. ويبربر: يتكلم بما لايُفهم. والجمل الأدعج: الأسود .

(٧) أوجره: طعنه فى صدره. والشهاب: القطعة من النار. والموهج: المتقد .

(٨) لم يحنج: لم يمل عن وجهه .

(٩) الزبرج: الزينة من الوشى أو الجوهر .

(١٠) المرتج: المغلق، تقول ارتجت الباب إذا أغلقته .

(١١) أشياعه: أتباعه .

(١٢) العجيج: الصوت. والمذكى: المسن من الإبل. والصادر: الراجع عن الماء، والمحنج: المصروف عن وجهه .

(١٣) الروايا: الإبل التى تحمل الماء. وغادرنه: تركنه. ويعجعج: يصوت. وقسرًا: قهرًا. ولم يحدج: لم يجعل عليه الحدج، والحدج مركب من مراكب النساء .

(١٤) القسطل: الغبار. ومرهج: مرتفع ثائر

فيالـيت عـمرا وأشياعـه — وعتبة فـى جـمعنا السورج[1]
فيشفـوا النفـوس بأوتارهـا — بقتلـى أصيبـت مـن الخزرج[2]
وقتـلى مـن الأوس فـى معرك — أصيبوا جـميعاً بـذى الأضوج[3]
ومقتل حـمزة تحت اللـواء — بمطـرد، مـارن، مخـلج[4]
وحـيث انثنى مصـعب ثـاويا — بضربـة ذى هبة سلجـج[5]
بأحـد وأرمـاح الكماة يُردنهم — تلهـب كاللـهب الموهـج
غداة لقيناكـم فـى الحـديد — كأسـد البـراح فلـم نُعْنَج[6]
بكـل مجـلحـة كـالعـقاب — وأجـرد ذى مَيعة مُـسرج[7]
فدسناهم ثـم حـتى انثنوا — سـوى زاهـق النفس أو محـرج[8]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار وقول كعب:

« ذى النور والمنهج» عن أبى زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد، يبكى القتلى:

ألا ذرفت مـن مقلتيك دمـوع — وقـد بان من حبل الشباب قطوع[9]
وشـط بمن تهوى المزار وفرقت — نوى الحـى دار بالحـبيب فجوع[10]
وليس لما ولى على ذى حرارة — وإن طال تذراف الدموع رجوع
فذر ذا ولكن هل أتى أم مالك — أحـاديث قومـى والحديث يشيع[11]
ومُجنبنا جردًا إلى أهل يثرب — عناجـيج منـها متلـد ونزيع[12]
عشية سرنا فى لهام يقودنا — ضـرور الأعـادى للصديق نفوع[13]

(١) السورج: المتقد. (٢) الأوتار: جمع وتر، وهو طلب الثأر.
(٣) المعرك: موضع الحرب.
(٤) المطرد: الذى يهتز. وأراد به رمحًا. والمارن: اللين. والمخلج: الذى يطعن بسرعة.
(٥) ذى هبة: أراد به السيف. وسلجج: هو المرهف الحاد القاطع.
(٦) البراح: المتسع من الأرض. ولم نعنج: لم يصرفنا أحد ولم يكفنا عما أردناه بكم.
(٧) المجلحة: المتقدمة ويريد بها فرسًا. والأجرد: الفرس العتيق. والميعة: النشاط والحدة.
(٨) دسناهم: وطئناهم. والمحرج: الذى ضيقت عليه الأمور. (٩) ذرفت: سالت. وبان: ظهر.
(١٠) شط: بعد. والمزار: الزيارة. والنوى: الفراق والبعد. وفجوع: صيغة مبالغة من الفجيعة.
(١١) ذر: دع واترك. والحديث يشيع: أى يفشو وينتشر.
(١٢) مجنبنا: سوقنا للخيل. والجرد: جمع أجرد، وهو العتيق من الخيل. والعناجيج: الطوال الحسان. والمتلد: الذى ولد عندك. والنزيع: الغريب.
(١٣) اللهام: الجيش الكثير العدد. وضرور: صيغة مبالغة من الضرر. ونفوع: صيغة مبالغة من النفع.

تشد علينا كل زغف كأنها ... غدير بضوج الواديـين نقيـع[(١)]
فلما رأونا خالطتهم مهابة ... وعاينهـم أمـر هـناك فظيع
وودوا لو أن الأرض ينشق ظهرها ... بهم وصبـور القـوم ثم جزوع
وقد عريت بيض كأن وميضها ... حـريق ترقى فـى الأباء سريع[(٢)]
بأيماننا نعلوا بهـا كـل هامة ... ومنهـا سـهام للعـدو ذريـع[(٣)]
فغادرن قتلى الأوس عاصبة بهم ... ضـباع وطـير يعتفـين وقـوع[(٤)]
وجمع بى النجار فى كل تلعة ... بأبـدانهم مـن وقعـهن نجيـع[(٥)]
ولولا علو الشعب غادرن أحمدًا ... ولكن عـلا والسـمهرى شروع[(٦)]
كما غادرت فى الكر حمزة ثاويا ... وفى صـدره ماضـى الشباة وقيع[(٧)]
ونعمان قد غادرن تحت لوائه ... على لحـمه طـير يجـفن وقوع[(٨)]
بأحد وأرماح الكماة يُودنهم ... كما غـال أشطان الـدلاء نُزوع[(٩)]

فأجابه حسان بن ثابت، فقال:

أشاقـك مـن أم الوليـد ربـوع ... بلاقع مـا مـن أهلهـن جميع[(١٠)]
عفاهن صيفىٌّ الريـاح وواكـف ... من الدلو رجاف السحاب هموع[(١١)]
فلم يبق إلا موقـد النـار حوله ... رواكـد أمثال الحـمام كـنوع[(١٢)]
فدع ذكـر دار بـددت بين أهلها ... نـوى لمتينـات الحبال قطـوع[(١٣)]
وقُل إن يكن يـوم بأحـد يعده ... سفيه فـإن الحـق سـوف يشيع[(١٤)]

---

(١) الزغف: الدرع اللينة: والضوج: جانب الوادى. ونقيع: مملوء ماء فعيل بمعنى مفعول.
(٢) الوميض: الضوء. والأباد: الأجمة الملتفة الأغصان. (٣) ذريع: سريع القتل.
(٤) عاصبة بهم: لاصقة بهم مجتمعة عليهم. وضباع: ضرب من السباع. ويعتفين: يطلبن رزقهن.
(٥) التلعة: الماء فى أعلى الوادى. والنجيع: الدم.
(٦) الشعب: الطريق فى الجبل. والسمهرى: الرمح. وشروع: مائل للطعن.
(٧) شباة كل شيء: حده. ووقيع: محدد.. (٨) يجفن: يطلبن مافي جوفه.
(٩) الكماة: الشجعان. وغال: أهلك. والأشطان: الحبال. والدلاء: جمع دلو. ونزوع: هو نزع الدلو من البئر.
(١٠) ربوع: جمع ربع وهو المنزل. وبلاقع: جمع بلقع، وهو القفر الخالى. وجميع: مجتمع.
(١١) عفاهن: غيرهن. والواكف: المطر المنهمر. ومن الدلو: أراد به نجم الدلو. ورجاف: متحرك شديد الصوت. وهموع: سائل كثير السيلان.
(١٢) رواكد: أراد بها الأثافى وهى الحجارة التى كانوا ينصبونها لوضع القدور عليها. وكنوع: لاصقة بالأرض.
(١٣) النوى: البعد. ومتينات: الحبال: الغليظ: الشديد منها، وقطوع: شديدة القطع، وأراد ههنا بالحبال الوصال والإجماع بين الأهل والمحبين.
(١٤) يشيع: يفشو أمره وينتشر ذكره.

فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم
وكــان لــهم ذكــر هناك رفيع

وحــامى بنــو النجار فيه وصابروا
وما كان منهم فــى اللقاء جزوع

أمام رســول الله لا يخــذلونه
لهم ناصــر مــن ربهم وشفيع

وفوا إذ كـفرتم ياسخين بربكم
ولا يستوى عبـد وفـى ومضيع[1]

بأيديهم بيض إذا حـمش الوغى
فلابد أن يـردى لهــن صـريع[2]

كما غادرت فــى النقع عتبة ثاويا
وسعداً صريعا والوشيج شـروع[3]

وقد غادرت تحت العجاجة مسنداً
أبياً وقــد بل القميـص نجـيع[4]

يكف رسول الله حيث تنصبت
علــى القـوم ممـا قد يثرن نقوع[5]

أولئك قوم سـادة من فروعكـم
وفى كل قــوم سـادة وفـروع

بهن نُعــز الله حـتى يعــزنا
وإن كان أمــر ياســخين فظيع

فلا تذكروا قتلى حــمزة فيهـم
قتيــل ثــوى لله وهــو مطيع

فإن جـنان الخـلد منزلـة لــه
وأمــر الـذى يقضى الأمور سريع

وقتـلاكم فى النـار أفضل رزقهم
حـميم معا فى جوفها وضريع[6]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان وابن الزبعرى، وقوله: «ماضى الشباة، وطير يجفن» عن غير ابن إسحاق.

وقال ابن إسحاق: وقال عمرو بن العاص فى يوم أحد:

خرجــنا من الفيفا عليهــم كأننا
مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق[7]

تمنت بنو النجـار جـهلا لقاءنا
لدى جـنب سلع والأمانى تصدق[8]

فمـا راعـهم بالـشر إلا فجــاءة
كراديس خيل فى الأزقة تمرق[9]

أرادوا لكـيما يستبيحوا قبـابنا
ودون القباب اليوم ضـرب محرق

---

(١) ياسخين: أراد يا سخينة، فرخم بحذف التاء. وأصل السخينة حساء من الدقيق وكانت قريش فى الجاهلية تُنبذ بذلك لمداومتهم على شرب السخينة.

(٢) حمش: اشتد وقوى. والوغى: الحرب. ويردى: يهلك.

(٣) غادرت: تركت. والنقع: الغبار. وثاويًا: مقيماً. والوشيج: الرماح. وشروع: مائلة للطعن.

(٤) العجاجة: الغبرة والتراب الثائر. والنجيع: الدم. (٥) النقوع: جمع نقع وهو الغبار.

(٦) الحميم: الحار. والضريع: نبات أخضر يرمى به البحر.

(٧) الفيفا: الأرض القفر التى لا تنبت شيئًا. ورضوى: اسم جبل. والحبيك: ما فيه طرائق. والمنطق: المخرم الشديد.

(٨) سلع: اسم جبل أو اسم موضع قريب من المدينة.

(٩) الكراديس: جماعات الخيل. وتمرق: تخرج كما يمرق السهم من الرمية.

وكانت قبابا أؤمنت قبل ماترى ... إذ رامها قوم أبيحوا وأحنقوا(١)
كأن رءوس الخزرجيين غدوة ... وأيمانهم بالمشرفية بَرْوَق(٢)

فأجابه كعب بن مالك، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

ألا أبلغا فهراً على نأى دارها ... وعندهم من علمنا اليوم مصدق
بأنا غداة السفح من بطن يثرب ... صبرنا ورايات المنية تخفق(٣)
صبرنا لهم والصبر منا سجية ... إذا طارت الأبرام نسمو ونرتُق(٤)
على عادة تلكم جرينا بصبرنا ... وقِدما لدى الغايات نجرى فنسبق
لنا حَوْمةٌ لا تُستطاع يقودها ... نبى أتى بالحق عف مصدق(٥)
ألا هل أتى أفناء فهر بن مالك ... مقطع أطراف وهام مفلق(٦)

قال ابن إسحاق: وقال ضرار بن الخطاب:

إنى وجدك لولا مُقْدَمَى فرسى ... إذا جالت الخيل بين الجزع والقاع(٧)
مازال منكم الجزع من أحد ... أصواب هام تزاقى أمرها شاعى(٨)
وفارس قد أصاب السيف مفرقه ... أفلاق هامته كفروة الراعى(٩)
إنى وجدك لا أنفك منتطقا ... بصارم مثل لون الملح قطاع(١٠)
على رحالة ملواح مثابرة ... نحو الصريخ إذا ما ثوِّب الداعى(١١)
وما انتميت إلى خور ولا كشُف ... ولا لئام غداة البأس أوراع(١٢)
بل ضاربين حبيك البيض إذ لحقوا ... شم العرانين عند الموت لذّاع(١٣)

---

(١) أحنقوا: فعل بهم ما يغيظهم ويغضبهم، يريد أنهم أعزة لا يقدر أحد عليهم.
(٢) البروق: نوع من النبات له رؤوس تشبه البصل، يريد أنهم ضعاف.
(٣) السفح: جانب الجبل. وتخفق: تضطرب من مكان إلى مكان.
(٤) السجية: الطبيعة والعادة. والأبرام: اللئام. ونسمو: نرتفع ونعلو. ونرتق: نسد ونصلح.
(٥) الحومة: الجماعة. لا تستطاع: أى لا يتمكن منها أحد لشجاعتها وتماسكها. وعف: عفيف.
(٦) الأفناء: القبائل المختلطة. والهام: الرؤوس. (٧) الجزع: منعطف الوادى. والقاع: المنخفض من الارض.
(٨) الهام: جمع هامة وهى ههنا الطائر التى تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح: اسقونى حتى يأخذوا بثأره. وتزاقى: أى تصيح. وشاع: أراد شائعًا.
(٩) المفرق: حيث يتفرق الشعر فوق الجبهة. وكفروة الراعى: هو الفروة المعروفة.
(١٠) منتطقًا: أى متحزمًا. والصارم: السيف القاطع. ومثل لون الملح: يريد أبيض.
(١١) الرحالة: السرج. والملواح: الفرس الشديدة التى ضمر لحمها. ومثابرة: متابعة. والصريخ: الاستغاثة. وثوب: رجع وأعاد وكرر.
(١٢) الخور: جمع أخور وهو الضعيف الجبان. والكشف: جمع أكشف وهو الذى لا ترس له فى الحرب. والأوراع: جمع ورع وهو الجبان.
(١٣) الحبيك: الأبيض الطرائق. والشم: جمع أشم وهو المرتفع. والعرانين: جمع عرنين وهو الأنف، وهم يكنون بذلك عن العزة. ولذاع: جمع لاذع.

شم بهاليل مسترخ حمائلهم ... يسعون للموت سعيا غير دعداع[١]

وقال ضرار بن الخطاب أيضًا:

لما أتت من بنى كعب مزينة ... والخزرجية فيها البيض تأتلق[٢]

وجردوا مشرفيات منهدة ... وراية كجناح النسر تختفق[٣]

فقلت يوم بأيام ومعركة ... تنبى لما خلفها ماهزهز الورق[٤]

قد عُودوا كل يوم أن تكون لهم ... ريح القتال وأسلاب الذين لقوا[٥]

خيرت نفسى على ماكان من وجل ... منها وأيقنت أن المجد مستبق[٦]

أكرهت مهرى حتى خاض غمرتهم ... وبله من نجيع عانك علق[٧]

فظل مهرى وسربالى جسيدهما ... نفخ العروق رشاش الطعن والورق[٨]

أيقنت أنى مقيم فى ديارهم ... حتى يفارق ما فى جوفه الحدق[٩]

لاتجزعوا يابنى مخزوم إن لكم ... مثل المغيرة فيكم ما به زهق[١٠]

صبراً فدى لكم أمى وما ولدت ... تعاوروا الضرب حتى يدبر الشفق[١١]

وقال عمرو بن العاصى:

لما رأيت الحرب ينـ ... ـزو سرها بالرضف نزوا[١٢]

وتناولت شهباء تلـ ... ـحو الناس بالضراء لحوا[١٣]

أيقنت أن الموت حق ... والحياة تكون لغوا

---

(١) بهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الماجد. ومسترخ حمائلهم: كناية عن طول قامتهم، وأراد بالحمائل حمائل السيوف، واستراخاؤها طولها، وهم يكنون عن طول القامة بطول حمالة السيف. والدعداع: الضعيف، يريد أنهم شجعان يسيرون للموت بخطى واسعة لا يهابونه.

(٢) مزينة: أراد بها كتيبة فيها ألوان من السلاح، وكأنهم تزينوا بسلاحهم، وتأتلق: تضئ وتلمع.

(٣) المشرفيات: السيوف. وتختفق: تضطرب وتتحرك من مكان إلى مكان.

(٤) يوم بأيام: هذا اليوم بالذى كان قبله. وتنبى: أراد تنبأ. وما هزهز: تحرك.

(٥) الأسلاب: جمع سلب وهو يأخذه القاتل من ثياب القتيل وسائر عدته.

(٦) الوجل: الخوف والفزع. ومستبق: مكان استباق يتنافس فيه الشجعان.

(٧) غمرتهم: جماعتهم. والنجيع: الدم. والعانك: الأحمر، ومعناه الدائم السيلان الذى لا ينقطع. والعلق: اسم من أسماء الدم.

(٨) جسيدهما: المراد به ههنا لونهما. ونفخ العروق: ما ترمى به العروق من الدم. والورق: ما انقطع من الدم.

(٩) الحدق: جمع حدقة وهى سواد العين.

(١٠) ما به زهق: يريد مابه عيب.

(١١) تعاوروا: تداولوا.

(١٢) ينزوا: يرتفع ويثب. والرضف: الحجارة المحماة بالنار.

(١٣) شهباء: يقصد الكتيبة الكثيرة السلاح. تلحو الناس: تضعفهم وتقلل من شأنهم.

حـملت أثوابـي علـى ... عتـد يـبذ الخـيل رهـوا[1]

سلـس إذا نكـبن فـى البيـ ... ـداء يعلـو الطـرف علـوا[2]

وإذا تنـزل مـاؤه مـن ... عطفـه يـزداد زهـوا[3]

ربـذ كيعفـور الصـريـ ... ـمة راعه الرامـون دحـوا[4]

شـنج نسـاه ضابـط ... للخـيل إرخـاء وعـدوا[5]

ففـدى لهـم أمـى غـداً ... ة الـروع إذ يمشـون قطـوا[6]

سـيراً إلى كبـش الكتيـ ... ـبة إذ جـلته الشـمس جـلوا[7]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها العمرو.

قال ابن إسحاق: فأجابهما كعب بن مالك، فقال:

أبلغ قريشا وخـير القـول أصدقه ... والصدق عند ذوى الألباب مقبول[8]

أن قد قتلنا بقتلانـا سـراتكم ... أهل اللـواء ففيما يكـثر القيـل[9]

ويـوم بـدر لقيناكم لنا مـدد ... فيه مـع النصر ميكال وجبريل

إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا ... والقتل فى الحق عند الله تفضيل

وإن تروا أمـرنا فـى رأيكم سفها ... فرأى من خالف الإسلام تضليل

فلا تمنوا لقـاح الحـرب واقتعدوا ... إن أخا الحرب أصدى اللون مشعول[10]

إن لكـم عندنا ضربا تـراح له ... عُـرج الضباع لـه خذم رعابيل[11]

---

(١) العتد: الفرس الشديد. ويبذ الخيل: يسبقها. والرهو: الساكن.

(٢) سلس: سهل المقادة. والبيداء: القفر. ويعلو الطرف: يسبقه، يريد أنه سريع.

(٣) تنزل ماؤه: أراد بمائه ههنا عرقه. وعطفه: جانبه. والزهو: الإعجاب والتكبر، يريد أنه لا يضعف ولا يفتر مهما حدث.

(٤) ربذ: سريع. واليعفور: ولد الظبية. والعريمة: الرمال. المنقطعة. وراعه: أخافه وأفزعه. والدحو: الانبساط، يصف فرسه بأنه شديد السرعة كأنه حين يجرى ظبى فى منقطع الرمال قد أفزعه الرماة ورأى الصيادين فهو يجرى جرياً متتابعاً لا يلوى على شىء.

(٥) شنج: منقبض. والنسا: عرق يمتد من الورك إلى الكعب ولا يقال عرق النسا لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه. وضابط: ممسك. والإرخاء والعدو: ضربان من السير.

(٦) القطو: مشى فيه تبختر كمشى القطاة. (٧) كبش الكتيبة: رئيسها. وجلته: أبرزته.

(٨) الألباب: جمع لب وهو العقل.

(٩) سراتكم: خياركم. والقيل والقال والقول: بمعنى واحد.

(١٠) لقاح الحرب: زيادتها ونموها. وأصدى اللون: أراد أصدأ اللون فقلب الهمزة ألفاً. والأصدأ: الذى لونه بين السواد والحمرة. ومشعول من اشتعال الحرب، ومعناه متقد ملتهب.

(١١) تراح له: تفرح وتهتز من السرور. وخذم: خذم اللحم إذا قطعه. ورعابيل: متقطعة.

إنا بنو الحـــرب نمـــريها وننتجها وعندنا لذوى الأضغان تنكيل[١]
إن ينج منها ابن حرب بعدما بلغت منه التراقى وأمـــــر الله مفعول[٢]
فقد أفادت له حـــلما وموعظة لمن يكون لـــه لـــب ومعقول[٣]
ولو هبطتم ببطن السيل كافحكم ضرب بشاكلة البطحاء ترعيل[٤]
تلقاكم عصب حـــول النبى لهم مما يعدون للهيجـــا ســـرابيل[٥]
من جـــذم غسان مسترخ حمائلهم لاجبناء ولا ميـــل معـــازيل[٦]
يمشون تحت عمايات القتال كما تمشى المصاعـــبة الأدم المراســيل[٧]
أو مثل مشـــى أسود الظل ألثقها يوم رذاذ من الجوزاء مشمول[٨]
فى كل ســابغة كالنهـى محـكمة قيامها فلج كالســيف بهــلول[٩]
ترد حـــد قـــرام النبل خـاسئة ويرجع السيف عنها وهو مفلول[١٠]
ولـــو قذفـتم بـسلع عن ظـهوركم وللحياة ودفـــع المـوت تأجيل[١١]
مازال فى القوم وتر منكم أبداً تعفو السـلام عليـه وهـو مطلول[١٢]
عبد وحــــر كـريم موثق قنصاً شـطر المـدينة مأسور ومقتول[١٣]
كنا نؤمل أخراكم فأعجلكم منا فـــوارس لاعـــزل ولا ميل[١٤]
إذا جنى فيهم الجـــانى فقد علموا حقا بأن الذى قد جر محمول
مانحن لانحـــن مـــن إثم مجاهرة ولا مـــلوم ولا فـى الغُرم مخذول

(١) نمريها: نستدرها. وننتجها: من النتاج. والأضغان: جمع ضغن وهو العدواة. والتنكيل: أشد الزجر وآلمه.
(٢) التراقى: عظام الصدر. (٣) لب: أى عقل، ومعقول: هو العقل أيضاً.
(٤) كافحكم: واجهكم أو حاربكم. . والبطحاء: الأرض السهلة. وشاكلة البطحاء: جانبها. والترعيل: الضرب السريع.
(٥) الهيجا: الحرب
(٦) الجذم: الأصل. ومسترخ حمائلهم: أى طويلة حمائل سيوفهم وهذه كناية عن طول قامتهم. والميل: جمع أميل وهو الذى لا ترس له. والمعازيل: الذين لا رماح معهم.
(٧) عمايات القتال: ظلماته. والمصاعبة: الفحول من الإبل. والأدم: جمع آدم وهو الأبيض إلى سمرة. والمراسيل: التى يمشى بعضها فى إثر بعض.
(٨) الطل: المطر الضعيف. وألثقها: بلَّها. والرذاذ: المطر الضعيف أيضاً. والجوزاء: اسم نجم معروف. ومشمول: هبت فيه ريح الشمال.
(٩) السالفة: الدرع الكاملة الشاملة. والنهى: الغدير من الماء، يريد أنها لينة. وقيامها: أراد به القائم بأمرها. وخليج: نهر، يريد أن القائم عليها رجل يشبه النهر. والبهلول: الأبيض، أراد أنه ماجد كريم.
(١٠) خاسئة: ذليلة، يريد أن هذه الدرع لا تمكن النيل من صاحبها فهى ترده عنه.
(١١) سلع: اسم جبل (١٢) تعفو: تذهب آثارها. والسلام: الحجارة. ومطلول: لم يؤخذ بثأره.
(١٣) قنصًا: صيداً. وشطر المدينة: نحوها وفى جهتها وقصدها.
(١٤) العزل: جمع أعزل، وهو الذى لا سلاح معه. والميل: جمع أميل وهو الذى لا ترس له.

وقال حسان بن ثابت، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد:

ـ قال ابن هشام: هذه أحسن ماقيل ـ

منــع النــوم بالعشــاء الهمــوم ... وخــيال إذا تغــــور النجـــوم[١]

من حــبيب أضـاف قلبـك منــه ... سقــم فهـــو داخـــل مكتوم[٢]

يالقومى هل يقتل المــــرء مثلى ... واهـــن البطش والعظام ســؤوم[٣]

لو يدب الحـولى من ولـد الـذر ... عليهـــا لأندبتهـــا الكـــلوم[٤]

شأنها العطـر والـفـراش ويعـلو ... هـــا لجـــين ولـــؤلـؤ منظوم[٥]

لم تفتها شــمس النــهار بشــىء ... غير أن الشباب ليــس يــدوم

إن خـــالى خــطيب جابية الجو ... لان عنــد النعـمان حــين يقوم[٦]

وأنا الصقر عند باب ابن ســلمى ... يوم نعمــان فــى الكــبول سقيم[٧]

وأبــى وواقـــد أطلقـــا لـــى ... يـــوم راحـــا وكبلــهم مخطوم[٨]

ورهنت اليــدين عنهــم جـميعا ... كل كــف جــزء لهــا مقسوم[٩]

وسطت نسـبتى الــذوائب منـهم ... كل دار فيها أب لـــى عظيــم[١٠]

وأبى فى ســميحة القائـــل الفا ... صل يــوم التقت عليــه الخصوم[١١]

تلك أفعالنا وفعـــل الزبعــرى ... خامل فــــى صديقه مــدموم

رب حـــلم أضاعــه عــدم الما ... ل وجـهل غــطى عليــه النعيم[١٢]

لا تســبننى فلــست بســبى ... إن ســبى مــن الرجـال الكريم[١٣]

---

(١) تغور النجوم: تسقط للغروب. (٢) أضاف: زار.

(٣) الواهن: الضعيف. والسؤوم: الملول الكثير الملل.

(٤) الحولى: الصغير. وأندبتها: جرحتها. والكلوم: الجراحات. (٥) اللجين: الفضة. واللؤلؤ: الجوهر.

(٦) الجابية: الحوض الصغير. الجولان: موضع بالشام. وعنى بخاله مسلمة بن مخلد بن الصامت. وعنى بالنعمان بنى جفنة الغساسنة، لأن مساكنهم كانت فى بلاد الشام.

(٧) الصقر: السيد الكريم. وابن سلمى: هو النعمان بن المنذر اللخمى ونعمان: هو نعمان بن مالك بن نوفل بن عوف بن عمرو بن عوف وكان حبسه النعمان بن المنذر فوفد فيه وفى غيره حسان بن ثابت فأطلقهم له. والكبول: القيود.

(٨) أبى: هو أبى بن كعب بن قيس بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. وواقد: هو واقد بن عمرو ابن الأطنابة بن عامر بن زيد مناة. وكبلهم مخطوم: أى مكسور.

(٩) ورهنت اليدين عنهم: يريد ضمنتهم، وذلك لأن الضامن يقول لصاحبه لك يدى.

(١٠) وسطت: توسطت. والذوائب: الأعالى وأراد بهم الأشراف.

(١١) سميحة: اسم بئر بالمدينة كان عندها احتكام الأوس والخزرج فى حروبهم وكان ثابت بن المنذر والدحسان حكمهم. والفاصل: أى الذى يفصل فى الأمور ويقطع برأيه فيها.

(١٢) غطى: معناه علاه وارتفع عليه.

(١٣) السب: الذى يقاوم الرجل فى السب ويكون له من الشرف ما يدانى شرفه.

ما أبالى أنـــبَّ بالحـــزن تيس ... أم لحـــانى بظهـــر غـيـب لئيـم[1]

ولى البـأس منكـم إذ رحـلتم ... أسـرة مـــن بنـى قصى صميم[2]

تسعة تحمـل اللـواء وطـارت ... فى رعـاع مـــن القنا مخـزوم[3]

وأقاموا حـــتى أبيحـوا جـميعا ... فى مقام وكـــلهم مــــذموم

بـدم عـــانك وكـــان حـفاظا ... أن يقيموا إن الكـريم كـــريم[4]

وأقـــاموا حــــتى أزيـروا شعوبا ... والقنا فـــى نحـورهم محطوم[5]

وقـريش تفـر منـا لـــواذًا ... أن يقيموا وخــف منها الحلوم[6]

لم تطـق حـملـه العـواتق منهم ... إنما يحـمل اللــواء النجـوم[7]

قال ابن هشام: قال حسان هذه القصيدة:

منع النوم بالعشاء الهموم

ليلا، فدعا قومه، فقال لهم: خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح، فلا ترووها عنى.

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمى يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ويذكر قتله طلحه بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، صاحب لواء المشركين يوم أحد:

لله أى مذبـــب عـــن حـــرمة ... أعنـى ابن فاطمة المعـم المخولا[8]

سبقت يداك له بعاجـــل طعنة ... تركت طليحـة للجـبين مجـدلا[9]

---

(١) نبَّ: صاح. ونبيب التيس يكون عند وثوبه للفساد، والحزن: ما غلظ من الأرض .ولحانى: شتمنى، يقول سواء عندى نبيب القيس بنجوة من الأرض وشتم اللئيم إياى فى غيبتى فلست آبه لشىء منهما ولا أكترث.

(٢) الصميم: الخالص نسبهم، يريد التنويه بشأن بنى عبد الدار بن قصى إذ هربوا يوم أحد، والإشادة بما كان منهم.

(٣) الرعاع: الضعفاء، ويريد فى هذا البيت التنديد ببنى مخزوم والتشهير بهم إذ انخذلوا وفروا، وكان قد حمل اللواء من بنى عبد الدار وحلفائهم ومواليهم يومئذ تسعة نفر كلما قتل منهم واحد حمله آخر منهم.

(٤) عانك: أحمر .

(٥) شعوب: اسم من أسماء الموت. وأزيروا شعوباً: معناه قتلوا . ومحطوم: مكسور.

(٦) لواذاً: مستترين. والحلوم: العقول، يقول إن قريشاً كانوا يهربون منا ويولون الأدبار فارين مستترين فى فرارهم وقد طارت عقولهم وذهبت عنهم ألبابهم لهول ما نزل بهم.

(٧) العواتق: جمع عاتق، وهو ما بين الكتف والعنق. والنجوم: أراد بها المشاهير من الناس.

(٨) المذبب: المدافع عن الشىء وأعنى ابن فاطمة أراد به على بن أبى طالب رضى الله عنه فإن أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، والمعم: الكريم الأعمام. والمخول: الكريم الأخوال.

(٩) مجدلاً: صريعاً على الجدالة. والجدالة: الأرض.

وشددت شدة باسل فكشفهم ... بالجر إذ يهوون أخـول أخـولا[1]

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد:

يامـى قومى فاندبن ... بسحيرة شجو النوائح[2]
كالحاملات الوقر بالـ ... ـثقل الملحات الدوالح[3]
للمعولات الخامشا ... ت وجوه حرات صحائح[4]
وكأن سيل دموعها الـ ... أنصاب تخضب بالذبائح[5]
ينقضن أشعاراً لهن ... هناك بادية المسائح[6]
وكأنها أذناب خيـ ... ـل بالضحى شُمس روامح[7]
من بين مشزور ومجـ ... زور يذعذع بالبوارح[8]
يبكين شجوا مسلبا ... ت كدحتهن الكوادح[9]
ولقد أصاب قلوبها ... مجل له جلب قوارح[10]
إذ أقصد الحدثان من ... كنا نرجى إذ نشايح[11]
أصحاب أحد غالهم ... دهر ألم له جوارح[12]
من كان فارسنا وحا ... مينا إذا بعث المسالح[13]
ياحمز، لا والله لا ... أنساك ماصر اللقائح[14]

---

(١) باسل: شجاع جرىء. والجر: أصل الجبل. ويهوون: يسقطون. وأخول أخولاً: أى واحداً بعد واحداً، أى يهوون متفرقين.

(٢) الشجو: الحزن. والنوائح: جمع نائحة وهى الباكية.

(٣) الوقر: الثقل. والملحات: الثابتات التى لا تبرح مكانها. والدوالح: التى تحمل الأثقال.

(٤) المعولات: جمع معولة، وهو من قولهم أعولت المرأة إذا بكت بصوت مرتفع. والخامشات: الخادشات. وحرات: جمع حرة. وصحائح: جمع صحيحة.

(٥) الأنصاب: حجارة كانوا يذبحون عندها ويطلونها بالدم.

(٦) المسائح: ذوائب الشعر. (٧) شمس: نوافر. والروامح: التى ترمح بأرجلها.

(٨) مشزور: مقتول.

(٩) الشجو: الحزن. والمسلبات: اللابسات ثياب الحزن. وكدحتهن: أثرت فيهن. والكوادح: حوادث الدهر وفواجعه.

(١٠) المجل: الجرح إذا كان فيه ماء. وجلب: جمع مجلبة، وهى قشرة الجرح التى تظهر حينما يأخذ فى البرء. وقوارح: موجعة مؤلمة.

(١١) أقصد: أصاب. والحدثان: حادثات الدهر. ونشايح: نحاذر والمراد أن الدهر قد أصاب منهم الذى كانوا يأملونه عند مجىء وقت الخوف وعند الشدائد.

(١٢) غالهم: أهلكهم. وألم: نزل (١٣) المسالح: القوم الذين يقدمون طليعة الجيش.

(١٤) صر: ربط. واللقائح: النوق التى لها لبن، ومعناه ربطت أخلافها، ليجتمع فيها اللبن خوفاً من فصيلها أن يرضعها.

لمناخ أيتـــام وأضـــــيا ... ف وأرمـلـــة تلامـــح[1]

ولما ينـــوب الـــدهر فـــى ... حرب لحـــرب وهـــى لاقح[2]

يـــا فارســـا يامـــدرها ... ياحـــمز قـــد كنت المصامح[3]

عنـا شـــديدات الخـــطو ... ب إذا ينـــوب لهـــن فـــادح[4]

ذكـــرتنى أســـد الرســـو ... ل، وذاك مـــدر هنـــا المنافح[5]

عنـــا وكـــان يُعـــد إذ ... عـــد الشـــريفون الجحاجح[6]

يعلـــو القماقـــم جـــهرة ... سبـــط اليـــدين أغـــر واضح[7]

لاطـــائش رعـــش ولا ... ذو علـــة بالحـــمل آنـــح[8]

بحـــر فليس يغـــب جـــا ... را منـــه سيـــب أو منـــادح[9]

أودى شـــباب أولـــى الحـــفـ ... ـائظ الثقيلـــون المراجـــح[10]

المطعـــمون إذا المشـــتـ ... ـى مـــايصففهن نـــاضـــح[11]

لحـــم الجـــلاد وفـــوقه ... من شحـــمه شُطـــب شـــرائح[12]

ليدافعوا عـــن جـــارهم ... مـــارام ذو الضغن المكاشح[13]

لهفى لشـــبـــان رزئناهم ... كأنهـــم المصابـــح[14]

شم، بطـــارقة، غـــطا ... رفة، خـــضارمة، مسامح[15]

المشترون الحـــمد بالـ ... ـأموال إن الحـــمد رابح

(١) المناخ: المنزل. والأرملة: التى لا زوج لها. وتلامح: تنظر بعينيها نظراً سريعاً ثم ترده.

(٢) اللاقح من الحروب: هى التى يتزايد شرها ويتطاير شرارها.

(٣) المدره: المدافع عن القوم بلسانه ويده. والمصامح: معناه المدافع الشديد الدفاع.

(٤) فادح: تقول فدحنى الخطب إذا ثقل عليك حمله وأعياك القيام به.

(٥) المنافح: المدافع عن القوم، وكان حمزة رضى الله عنه ينافح عن رسول الله ﷺ.

(٦) الجحاجح: السيد الكريم.

(٧) القماقم: السادة. وسبط اليدين: أى كريم جواد. وأغر: أى أبيض، وواضح: أى مضىء ومشرق.

(٨) الطائش: الخفيف الذى لاوقار له. والآنح: البعير الذى إذا حمل شيئاً أخرج من صدره صوتاً.

(٩) السيب: العطاء. والمنادح: جمع مندوحة وهى السعة.

(١٠) أودى: هلك. والحفائظ: جمع حفيظة وهى الغضب. والمراجح: الذين يزيدون على غيرهم فى الحلم.

(١١) يصفقهن: يحلبهن. والناضح: الذى يشرب دون أن يرتوى.

(١٢) الجلاد: الإبل القوية. والشطب: جمع شطبة وهى القطعة من سنام البعير. والشرائح: جمع شريحة وهى القطعة من اللحم.

(١٣) رام: أراد قصد. والضغن: الحقد والعداوة. والمكاشح: المعادى.

(١٤) رزئناهم: فقدناهم. والمصابيح: جمع مصباح.

(١٥) الشم: جمع أشم، وأراد بهم الأعزاء، والبطارقة: الرؤساء. والخضارمة: الذين يكثرون العطاء. والمسامح: الأجواد.

والجامزون بلجُـــمهم	يومــا إذا ماصاح صائح[1]
من كــان يرمــى بالنوا	قر من زمان غير صالح[2]
ما إن تــزال ركــابه	يرسمن فى غبر صحاصح[3]
راحــت تبارى وهــو فى	ركــب صدورهمُ رواشح[4]
حــتى تئــوب لــه المعا	لى ليس من فوز السفائح[5]
ياحــمز قــد أوحــدتنى	كالعود شــذبه الكــوافح[6]
أشكو إليك وفوقك التر	ب المكــور والصــفائح[7]
من جــندل نلقبــه فــو	قك إذ أجاد الضرح ضارح[8]
فى واســع يحــشونه	بالترب سوَّته الممـاســح[9]
فعزاؤنا أنــا نقــو	ل وقولنا بــرح بــوارح[10]
من كان أمــسى وهــو عما	أوقع الحِــدثان بجــانح[11]
فليأتنـا فلتبــك عيــ	ـناه لهــلكانــا النــوافح[12]
القائــلين الفاعــلين	ذوى السماحــة والممادح[13]
من لا يــزال نــدى يديـ	ـه لــه طــوال الدهر مائح[14]

قال ابن هشام: وأكثر أهل الشعر ينكرها لحسان وبيته« المطعمون إذا المشاتى» وبيته «والجامزون بلجْمِهم» وبيته« مَنْ كان يُرْمَى بالنواقر» عن غير ابن إسحاق. قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا يبكى حمزة بن عبد المطلب:

(١) الجامزون: الواثبون. واللجم: جمع لجام
(٢) النواقر: جمع ناقرة وهى الداهية من دواهى الدهر.
(٣) يرسمن: من الرسيم وهو ضرب من السير، والركاب: الإبل. والغبر: جمع غبراء. والصحاصح: جمع صحصح وهى الأرض المستوية.
(٤) تبارى: تعارض. ورواشح: أى ترشح بالعرق.
(٥) السفائح: الجوالق.
(٦) شذبه: أزال أغصانه وشوكه. والكوافح: الذين يقابلونه بالقطع.
(٧) المكور: الذى بعضه فوق بعض. والصفائح: الحجارة العريضة.
(٨) الجندل: الحجارة. والضرح: القبر.
(٩) يحثونه: يصبونه. والمماسح: ما يمسح به التراب ويسوى كالفأس ونحوها.
(١٠) البرح: الأمر الشاق.
(١١) جانح: مائل إلى جهة.
(١٢) النوافح: الذين كانوا ينافحون عنا ويدافعون، أو الذين يعطون المعروف.
(١٣) الممادح: الأمور التى يمتدح بها.
(١٤) المائح: الذى ينزل فى البئر فيملأ الدلو. وذلك إذا كان ماء البئر قليلاً وقد ضرب ذلك مثلاً، يريد أن الناس ما يزالون ينتجعونه ويطلبون نداه ويستجدون معروفه.

أتعرف الدار عفا رسمها ... بعدك صوب المسبل الهاطل[١]

بين السراديح فأدمانة ... فمدفع الروحاء فى حائل[٢]

ساءلتها عن ذاك فاستعجمت ... لم تدر مامرجوعة السائل[٣]

دع عنك داراً قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذى النائل[٤]

المالىء الشِّيزى إذا أعصفت ... غبراء فى ذى الشَّبم الماحل[٥]

والتارك القرن لدى لبدة ... يعثر فى ذى الخُرُص الذابل[٦]

واللابس الخيل إذ أجحمت ... كالليث فى غابته الباسل[٧]

أبيض فى الذروة من هاشم ... لم يمر دون الحق بالباطل[٨]

مال شهيداً بين أسيافكم ... شلت يدا وحشى من قاتل[٩]

أى امرىء غادر فى ألةٍ ... مطرورة مارنة العامل[١٠]

أظلمت الأرض لفقدانه ... واسود نور القمر الناصل[١١]

صلى عليه الله فى جنة ... عالية مكرمة الداخل

كنا نرى حمزة حرزاً لنا ... فى كل أمر نابنا نازل[١٢]

وكان فى الإسلام ذا تُدرأ ... يكفيك فقد القاعد الخاذل[١٣]

لا تفرحى ياهند واستحلبى ... دمعا وأذرى عبرة الثاكل[١٤]

وابكى على عتبة إذ قَطه ... بالسيف تحت الرهج الجائل[١٥]

إذا خر فى مشيخة منكم ... من كل عات قلبه جاهل[١٦]

---

(١) عفا: غير ودرس. ورسمها: أثرها. والصوب: المطر. والهاطل: الكثير السيلان .

(٢) السراديح: جمع سرداح، وهو الوادى، ويقال: المكان المتسع. وأدمانة: اسم موضع. والمدفع: حيث يندفع السيل. والروحاء: اسم موضع. وحائل: جبل .

(٣) استعجمت: لم ترد جواباً. ومرجوعة السائل: رجوع جوابه. (٤) النائل: العطاء.

(٥) الشيزى: الجفان التى تصنع من خشب الشيز. وأعصفت: اشتدت . والغبراء: التى تثير الغبار وتهيجه. والشبم: الماء البارد، والماحل: من المحل وهو القحط.

(٦) القرن: الذى يقاومك فى القتال. واللبدة: الغبار الملبد. وذو الخرص: ذو السنان وهو الرمح. والذابل: الرقيق.

(٧) أحجمت: تأخرت ونكصت هيبة لما تراه. والليث: الأسد. والباسل: الكريه المنظر.

(٨) الذروة: الأعلى. ولم يمر: يريد لم يمار ولم يجادل. (٩) وحشى: هو قاتل حمزة.

(١٠) غادر: ترك. والألة: الحربة التى لها سنان طويل. والمطرورة: المحددة. والمارنة: اللينة. والعامل: أعلى الرمح.

(١١) الناصل: الخارج من السحاب، تقول: نصل القمر من السحاب إذا خرج منه.

(١٢) حرزاً: مكاناً نتحرر به ونمتنع فيه. (١٣) ذا تدرأ: يريد أنه كان كثير الدفاع عنا.

(١٤) أذرى: اسكبى. والعبرة: الدمعة. والثاكل: المرأة التى فقدت ولدها.

(١٥) عتبة: هو أبوهند امرأة أبى سفيان بن حرب. وكان حمزة قد قتله فى يوم بدر. وقطه: قطعه نصفين. والرهج: الغبار. والجائل المتحرك.

(١٦) خر: سقط صريعاً. وعات قلبه: أى شديد القسوة لا يلين للحق.

أرداهم حـــمزة فـــى أسرة ... يمشـون تحت الحلق الفـاضل[١]

غـــداة جـــبريل وزير لــــه ... نعـــم وزير الفـارس الحـامل

وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب:

طرقت همومك فالرقاد مسهَّد ... وجـزعت أن سلخ الشباب الأغيد[٢]

ودَعـــتْ فؤادك للهـــوى ضمرية ... فهواك غـــورى وصـحوك منجد[٣]

فدع التـمادى فـى والغواية سادرا ... قد كنـتَ فـى طلب الغواية تُفند[٤]

ولقد أنى لك أن تناهى طائعا ... أو تستفيق إذا نهـــاك المـــرشد[٥]

ولقد هددت لفقد حـــمزة هدة ... ظلـت بنات الجـوف منها ترعد[٦]

ولو أنه فجـــعت حـــراء بمثله ... لرأيت راســـى صـخرها يتبدد[٧]

قرم تمكن فى ذؤابة هاشم ... حيـث النبـوة والندى والسؤدد[٨]

والعاقر الكوم الجـــلاد إذا غدت ... ريح يكـــاد الماء منـها يجـــمد[٩]

والتارك القرن الكمـــى مجدلا ... يوم الكـــريهة والقـنا يتقصد[١٠]

وتراه يرفـــل فـــى الحـــديد كأنه ... ذو لبدة شـثن البـراثن أربـــد[١١]

عم النبـــى محـــــمد وصفيُّه ... ورد الحِمام فطـــاب ذاك المورد

وأتـــى المنية معلمــا فى أســرة ... نصروا النبى ومنهـــم المستشهد[١٢]

---

(١) أرداهم: أوردهم الردى وهو الهلاك. وأسرة: قرابة، وكان حمزة قد قتل مع عتبة شيبة بن ربيعة أخاه، وحنظلة بن أبى سفيان بن هند وآخرين. والحلق: الدروع. والفاضل: الذى يفضل عن لابسه ويزيد عنه وينجر على الأرض.

(٢) المسهد: القليل النوم. وسلخ: أزبل: والأغيد: الناعم.

(٣) ضمرية: منسوبة إلى ضمرة وهى قبيلة، وغورى: منسوب إلى الغور وهو المنخفض من الأرض. .

(٤) الغاوى: ضد الراشد، وهو المتحير فى سبل الضلال. وتفند: تكذب، والفند أيضاً: الكلام الذى لا يعقل.

(٥) أنى: حان.

(٦) بنات الجوف: القلب وما اتصل به من الأحشاء.

(٧) حراء: اسم جبل وأنثه باعتباره بقعة من الأرض. والراسي: الثابت. ويتبدد: يريد يتفتت.

(٨) القرم: الفحل. وذؤابة هاشم: أعاليها، وأراد أسمى أنسابها وأرفعها.

(٩) الكوم: الإبل العظيمة السنام. والجلاد: القوية. وريح يكاد الماء منها يجمد: أراد أيام الشتاء، وهى عندهم أيام القحط والجدب، وهم يمتدحون بالإنفاق فى هذه الأيام لأن الجواد يظهر فيها.

(١٠) الكمى: الشجاع. ومجدلاً مطروحاً على الجدالة وهى الأرض ويتقصد: يتكسر.

(١١) يرفل: يمشى مشى المختال. والحديد: أراد به الدروع. وذولبدة: أراد به الأسد، وشثن: غليظ، والبراثن: هى للأسد بمنزلة الأصابع للإنسان. وأربد: أغبر يخالط لونه سواد.

(١٢) معلماً: مشهراً نفسه بعلامة تميزه عن سائر المحاربين. وأسرة: رهط

ولقد إخال بذاك هندًا بُشرت ... لتميت داخل غصة لا تبرد[1]
مما صبحنا بالعقنقل قومها ... يوما تغيَّب فيه عنها الأسعد[2]
وببئر بدر إذ يرد وجوههم ... جبريل تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبى سراتهم ... قسمين: يقتل من نشاء ويطرد[3]
فأقام بالعطن المعطن منهم ... سبعون: عتبة منهم والأسود[4]
وابن المغيرة قد ضربنا ضربة ... فوق الوريد لها رشاش مزبد[5]
وأمية الجمحى قوَّم ميله ... عضب بأيدى المؤمنين مهند[6]
فأتاك فَل المشركين كأنهم ... والخيل تثفنهم نعام شُرد[7]
شتان من هو فى جهنم ثاويا ... أبدًا ومن هو فى الجنان مخلد[8]

وقال كعب أيضًا يبكى حمزة:

صفية قومى ولا تعجزى ... وبكى النساء على حمزة
ولا تسأمى أن تطيلى البكا ... على أسد الله فى الهزة[9]
فقد كان عزاً لأيتامنا ... وليث الملاحم فى البزة[10]
يريد بذاك رضا أحمد ... ورضوان ذى العرش والعزة

وقال كعب أيضًا يبكى حمزة:

إنك عمر أبيك الكريـ ... ـم أن تسألى عنك من يجتدينا[11]
فإن تسألى ثم لا تُكذبى ... يخبرك من قد سألت اليقينا

---

(١) إخال: أظن. والغصة: ما يقف فى الحلق فيختنق، وأراد بها ما فى صدرها من الغليل والحرارة.
(٢) العقنقل: كثيب الرمل، وأراد به كثيب بدر الذى حدثت عنده الموقعة. وصبحناهم: أتيناهم صباحاً للغارة عليهم.
(٣) سراتهم: أشرافهم وخيارهم.
(٤) العطن: مبرك الإبل حول الماء. والمعطن: الذى قد عود أن يتخذ عطناً.
(٥) الوريد: عرق فى صفحة العنق. ورشاش مزبد: يريد دماً تعلوه الرغوة.
(٦) عضب: سيف قاطع.
(٧) فل المشركين: المنهزمون منهم. وتثفنهم: تطردهم وتتبع آثارهم. وشرد: جمع شاردة.
(٨) ثاوياً: مقيماً ليس يبرحها.
(٩) الهزة: الاختلاط فى الحرب.
(١٠) الملاحم: جمع ملحمة وهى الحرب التى يكثر فيها القتل. والبزة: السلاح.
(١١) يجتدينا: يطلب جدوانا ومعروفنا.

بأنا ليالـــى ذات العظـــا ... م كنا ثمـــالا لمـــــن يعترينا[1]
تلـــوذ البجـــــود بأذرائنـــا ... من الضر فى أزمـــات السنينا[2]
بجدوى فضول أولـــى وُجدنا ... وبالصبر والبذل فـــى المعدمينا[3]
وأبقت لنا جـــلمات الحـــرو ... ب ممـــن نوازى لــــدن أن برُينا[4]
معاطن تهـــوى إليها الحقو ... ق يحـــسبها مـــن رآهـــا الفتينا[5]
تخيَّس فيهــــا عتاق الجما ... ل صـحما دواجـــن حمراً وجونا[6]
ودُفاع رجـــل كمـــوج الفـرا ... يقدم جـأواءُ جـــولا طحونا[7]
ترى لونها مثـل لون النجو ... م رجـــراجـــة تبرق الناظرينا[8]
فإن كـــنت عـــن شأننا جاهلا ... فسل عنه ذا العلــم ممـــن يلينا
بنا كيـــف نفعل إن قلصت ... عوانا ضـروسا عضوضا حجونا[9]
ألسنا نـشد عليهــــا العـــصا ... ب حـــتى تـــدر وحـــتى تلينا[10]
ويوم لـــه وهـــج دائـــم ... شديد التهاول حـــامى الأرينـــا[11]
طويل شـــديد أوار القتا ... ل تنفى قواحـــزه المقـــرفينا[12]
تخـال الـــكماة بأعـــراضــه ... ثمـــالا علـــى لــــذة منـــزفينا[13]
تعـــاور يمانهــــم بينهـــم ... كئوس المنايـــا بحـــد الظبينـــا[14]

---

(١) ليالى ذات العظام: يقصد هنا بها ذات الجوع الشديد حتى إن العظام ليعاد طبخها. والثمال: الغياث، ويعترينا: ينزل بنا.

(٢) البجود: جماعات الناس. والأذراء: الأكناف. (٣) الجدوى: العطية. والوجد: السعة فى المال.

(٤) جلمات الحروب: ما أبقيت الحروب من المال: ونوازى: نساوى. وبرينا: أى خلقنا، يريد هذه حالنا من لدن أن خلقنا.

(٥) المعاطن: فى الأصل برك الإبل، ويريد بها هنا الإبل بعينها. وتهوى إليها الحقوق: يريد أن الناس يرون لهم فيها حقوقاً لأننا عودناهم الجود عليهم بها. يريد أنهم كرام أجواد. والفتينا: الأرض بها الحجارة السوداء، يريد أنها عظيمة الجسم سوداء، وهذه أفضل أنواع الإبل عندهم.

(٦) تخيس: تذلل. والصحم: السود. ودواجن: مقيمة. والجون: يريد بها هنا البيض.

(٧) الدفاع: ما يندفع من السيل. والرجل: أراد الرحالة، شبه كثرتهم بما يندفع مع السيل. والفرات: نهر معروف. والجأواء: كتيبة سوداء لكثرة. ما عليها من السلاح. والجول: الكتيبة العظيمة. والطحون: التى تطحن ما تمر به أى تهلكه لقوتها.

(٨) رجراجة: يموج بعضها فى بعض. وتبرق: تحير.

(٩) قلصت: ارتفعت، أى ارتفعت نيران الحرب. . والعون: الحرب التى قوتل فيها مرة بعد مرة. والضروس: الشديدة. والعضوض: الكثيرة العض. والحجون: المعوجة الأسنان.

(١٠) العصاب: ما يعصب الضرع. وتدر: تعطى اللبن. وتلين: تسلس بعد امتناع.

(١١) له وهج: له غبار. والتهاول: الهول والشدة. والأرين: جمع إرة وهى حفرة النار.

(١٢) الأوار: الحر. والقواحز: من القحز وهو القلق وعدم التثبيت. والمقرفين: اللئام.

(١٣) الكماة: الشجعان. وأعراضه: نواحيه. وثمالاً: أى سكارى. ومنزفينا: المنزف من ذهبت الخمر بلبه.

(١٤) الظبون: جمع ظبه وهو حد السيف.

شهدنا ككنا أولى بأسه ... وتحت العماية والمعلمينا[1]
بخرس الحسيس حسان رواء ... وبصرية قد أجمن الجفونا[2]
فما ينفللن وما ينحنين ... وما ينتهين إذا ما نهينا[3]
كبرق الخريف بأيدى الكماة ... يفجعن بالظل هاما سكونا[4]
وعلمنا الضرب آباؤنا ... وسوف نعلم أيضا بنينا
جلاد الكماة، وبذل التلا ... د، عن جل أحسابنا مابقينا[5]
إذا مر قرن كفى نسله ... وأورثه بعده آخرينا[6]
تشب وتهلك آباؤنا ... وبينا نربى بنينا فنينا
سألت بك ابن الزبعرى فلم ... أنبأك فى القوم إلا هجينا[7]
خبيثا تطيف بك المنديات ... مقيما على اللؤم حينا فحينا[8]
تبجست تهجو رسول المليـ ... ـك قاتلك الله جِلفا لعينا[9]
تقول الخنا ثم ترمى به ... تقى الثياب تقيا أمينا[10]

قال ابن هشام: أنشدن« بيته:« بنا كيف نفعل»، والبيت الذى يليه، والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله « نشب وتهلك آباؤنا» والبيت الذى يليه، والبيت الثالث منه، أبو زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضا، فى يوم أحد:

سائل قريشا غداة السفح من أحد ... ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب[11]
كنا الأسود وكانوا النمر إذ زحفوا ... ما إن نراقب من آل ولا نسب[12]

---

(١) العماية: السحابة. والمعلمينا: هو معطوف على أولى بأسه وهم الذين يعلمون أنفسهم بعلامات يعرفون بها فى الحرب.
(٢) خرس الحسيس: السيوف الصامتة. ورواء: أى ممتلئة بالدم. وبصرية: منسوبة إلى بصرى وهو موضع بالشام. وأجمن: أى حللن. والجفون: أغماد السيوف.
(٣) ما ينفللن: يريد أنهن حداد لا تفل أطرافها ولا يثلم حدها. وما ينتهين: أراد أنهن ماضيات.
(٤) كبرق الخريف: شبه به لمعان سيوفهم. ويفجعن بالظل: ظلال السيوف. والهام: الرؤوس. والسكون: أراد المقيمات الثوابث.
(٥) الجلاد: مجالدة الأعداء. والكماة: الشجعان. والتلاد: المال القديم. وجل الشىء: معظمه.
(٦) القرن: الذى يقاومك فى شدة أو قتال أو نحوها.
(٧) الهجين: أراد به الدنىء، يريد أنه سأل عنه فلم يخبر عنه بغير ذلك.
(٨) المنديات: المخزيات.
(٩) تبجست: أراد أكثرت. والجلف: الجافى الغليظ الطبع.
(١٠) الخنا: الكلام الذى فيه فحش
(١١) السفح: جانب الجبل مما يلى أصله. (١٢) النمر: جمع نمر.

فكم تركنا بها من سيد بطل حامى الذمار كريم الجد والحسب[١]
فينا الرسول شهاب ثم يتبعه نور مضيء له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سيرته فمن يجبه إليه ينجُ من تبب[٢]
نجد المقدم، ماضى الهم، معتزم حين القلوب على رجف من الرعب[٣]
يمضى ويذمرنا عن غير معصية كأنه البدر لم يُطبع على الكذب[٤]
بدا لنا فاتبعناه فصدقه وكذبوه فكنا أسعد العرب
جالوا وجلنا فما فاءوا وما رجعوا ونحن نثفنهم لم نأل فى الطلب[٥]
ليسا سواء وشتى بين أمرهما حزب الإله وأهل الشرك والنصب[٦]

قال ابن هشام: أنشدنى من قوله: « يمضى ويذمرنا» إلى آخرها، أبو زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن رواحة يبكى حمزة بن عبد المطلب: قال ابن هشام أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك:

بكت عينى وحق لها بكاها وما يُغنى البكاء ولا العويل[٧]
على أسد الإله غداة قالوا أحمزة ذا كم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعا هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هُدت وأنت الماجد البر الوصول[٨]
عليك سلام ربك فى جنان مخالطها نعيم لا يزول
ألا ياهاشم الأخيار صبرا فكل فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغ عنى لؤيا فبعد اليوم دائلة تدول[٩]
وقبل اليوم ماعرفوا وذاقوا وقائعنا بها يُشفَى الغليل[١٠]

---

(١) الذمار: ما يجب على الرجل أن يدافع عنه.
(٢) التبب: الخسران والهلاك.
(٣) نجد المقدم: يريد أنه شجاع. والرجف: التحرك. والرعب: الفزع والخوف.
(٤) يذمرنا: يحضنا ويدفعنا. ولم يطبع: لم يخلق.
(٥) جالوا: تحركوا. وفاءوا: رجعوا. ونثفنهم: معناه نطردهم. ولم نأل: لم نقصر.
(٦) النصب: حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها.
(٧) العويل: البكاء مع ارتفاع صوت.
(٨) أبو يعلى: هى كنية حمزة رضى الله عنه. والماجد: الشريف.
(٩) دائلة تدول: يريد دائرة الحرب.
(١٠) الغليل: حرارة الجوف من عطش أو حزن.

نسيتم ضربنا بقليب بدر ... غداة أتاكم الموت العجيل[1]
غداة ثوى أبو جَهل صريعا ... عليه الطير حائمة تجول[2]
وعتبة وابنه خرا جميعا ... وشيبة عضه السيف الصقيل[3]
ومتركُنا أمية مُجلعبّا ... وفى حيزومه لدن نبيل[4]
وهام بنى ربيعه سائلوها ... ففى أسيافنا منها فلول
ألا ياهند فابكى لا تملى ... فأنت الواله العبرى الهبول[5]
ألا ياهند لا تُهدى شِماتا ... بحمزة إن عزكم ذليل

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك:

أبلغ قريشا على نأيها ... أتفخر منا بما لم تلى[6]
فخرتم بقتلى أصابتهم ... فواضل من نعم المفضل
فخلوا جنانا وأبقوا لكم ... أسوداً تحامى عن الأشبل[7]
تقاتل عن دينها، وسطها ... نبى عن الحق لم ينكل[8]
رمته معد بعور الكلام ... ونبل العداوة لا تأتلى[9]

قال ابن هشام: أنشدنى قوله: «لم تلى»، وقوله: «من نعم المفضل» أبو زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق: وقال ضرار بن الخطاب فى يوم أحد:

ما بال عينك قد أزرى بها السهد ... كأنما جال فى أجفانها الرمد[10]
أمن فراق حبيب كنت تألفه ... قد حال من دونه الأعداء والبعد
أم ذاك من شغب قوم لاجداء بهم ... إذ الحروب تلظت نارها تقد[11]

---

(١) العجيل: العاجل السريع. (٢) حائمة: تدور حوله. وتجول: تجىء وتذهب.
(٣) خرا جميعاً: سقطا على الأرض.
(٤) مجلعباً: معناه أنه ممتد مع الأرض. والحيزوم: أسفل الصدر. واللون: الرمح اللين. والنبيل: العظيم.
(٥) الواله: الشديد الحزن. والعبرى: الكثيرة الدمع. والهبول: التى فقدت عزيزها.
(٦) النأى: البعد. وبما لم تلى: يريد كيف نفخر بأنها قتلت منا وليس ذلك من فعلها.
(٧) تحامى: تدافع. والأشبل: جمع: شبل وهو ولد الأسد.
(٨) لم ينقل: لم يرجع ولم يتقهقر.
(٩) عور الكلام: جمع عوراء وهى الكلمة القبيحة. ولا تأتلى: يريد أنها جهدت لذلك ولم تقصر.
(١٠) أزرى بها: أى قصر بها عن إدراك ما تأمله. والسهر: عدم النوم. والرمد: وجع فى العين. وجال: تحرك.
(١١) شغب قوم: تهييجهم الشر. ولا جداء بهم: لا منفعة عندهم. وتلظت: استعرت نارها والتهبت. وتقد: أى تتقد.

ماينتهون عن الغـي الــذى ركبوا	وما لهم من لـؤى ويحهم عضد[١]
وقــد نشدناهــم بالله قاطبة	فما تردهم الأرحــام والنشُد[٢]
حتـى إذا مـا أبـوا إلا محاربة	واستحصدت بيننا الأضغان والحقد[٣]
سرنا إليهم بجـيش فى جوانبه	قوانس البيض والمحبوكة السرد[٤]
والجـرد تـرفل بالأبطـال شازبة	كأنهـا حـدأ فى سـيرها تؤد[٥]
جيش يقودهم صخر ويرأسهم	كأنه ليـث غـاب هاصـر حرد[٦]
فأبرز الحين قوما من منازلهم	فكان منا ومنهم ملتقـى أحـد
فغودرت منهم قتلى مجدلة	كالمعز أصرده بالصردح البرَد[٧]
قتلى كرام بنو النجار وسطهم	ومصعب من قنانا حوله قصد[٨]
وحمزة القرم مصروع تطيف به	ثكلى وقد حز منه الأنف والكبد[٩]
كأنه حين يكبو فى جديته	تحت العجاج وفيه ثعلب جسد[١٠]
حوار ناب وقد ولى صحابته	كما تولى النعام الهارب الشُرد[١١]
مجلحين ولا يلوون قد ملئوا	رعبا، فنجتهم العوصاء والكؤد[١٢]
تبكى عليهم نساء لا يعول لها	من كل سالبة أثوابها قدَدَ[١٣]
وقد تركناهم للطير ملحمة	وللضباع إلى أجسادهم تفد[١٤]

(١) مالهم عضد: أى ليس لهم معين. ويحهم: هو جملة دعائية اعترض بها بين الخبر ومبتدئه.
(٢) قاطبة: أى جميعاً. والنشد: جمع نشدة وهى اليمين.
(٣) استحصدت: قويت واستحكمت. والأضغان: الأحقاد.
(٤) القوانس: أعالى بيض السلاح، والمحبوكة: الشديدة . والسرد: المنسوجة، يريد بها الدروع.
(٥) الجرد: جمع أجرد، وأراد بها الخيل العتاق. وترفل بالأبطال: تمشى بهم مشى المتبختر. وشاربة: ضامرة شديدة اللحم .و الحدأ: جمع حدأة وهى طائر معروف. وتؤد: أى تمهل وترفق وتأن.
(٦) صخر: هو أبو سفيان. وغاب: جمع غابة وهى موضع الأسد. وهاجر: كاسر. مرد: أى غاضب.
(٧)مجدلة: لاصقة بالجدالة وهى الأرض. وأصرده: أى بالغ فى ابراده والصرد: البرد. والصردح: المكان الصلب الغليظ.
(٨) قصد: أى قطع.
(٩) القرم: أصله الفحل من الإبل، وهو هنا الرجل السيد. والثكلى: الحزينة الفاقد. وحز: قطع، وكانت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان حين مثلت بقتلى أحد قد قطعت أنف حمزة وكبده.
(١٠) يكبو: يسقط. والجدية. الدم السائل. والعجاج: الغبار. والثعلب: الجزء الداخل من الرمح فى السنان. وجسد: أى قد يبس عليه الدم.
(١١) الحوار: ولد الناقة. والناب: المسنة من الإبل والشرد: النافرة.
(١٢) مجلحين: مصممين لا يردهم شىء. والعوصاء: عقبة صعبة. والكؤد: جمع كؤدد، وهى الصعبة المرتقى.
(١٣)سالبة: هى التى لبست ثياب الحزن. وقدد: قطع. يريد أنها مزقت ثيابها، وهى من عادة النساء فى الأحزان.
(١٤) الضباع: جمع ضبع وهو ضبع من السباع. وتفد: أى تقدم عليهم، يريد أنها تأكل أجسامهم.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشر ينكرها لضرار:

قال ابن إسحاق: وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة، أخو بنى جشم بن الخزرج يوم أحد:

أما أبو زعنة يعدو بى الهزم ... لم تمنع المخزاة إلا بالألم[1]

يحمى الذمار خزرجى من جُشم[2]

وقال ابن إسحاق: وقال على بن أبى طالب - قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير على، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلى:

لاهم إن الحارث بن الصمة ... كان وفيا وبنا ذا ذمة[3]

أقبل فى مهامه مهمه ... كليلة ظلماء مدلهمة[4]

بين سيوف ورماح جمه ... يبغى رسول الله فيما ثمه[5]

قال ابن هشام: قوله: «كلية» عن غير ابن إسحاق:

قال ابن إسحاق: وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أحد:

كلهم يزجره أرحِبْ هلاَ ... ولن يروه اليوم إلا مقبلا[6]

يحمل رمحا ورئيسا جحفلا[7]

وقال الأعشى بن زرارة بن النباش التميمى - قال ابن هشام: ثم أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم - يبكى قتلى بنى عبد الدار يوم أحد:

حُيِّىَ من حى على نأيهم ... بنو أبى طلحة لا تصرف[8]

يمر ساقيهم عليهم بها ... وكل ساق لهم يعرف

---

(١) يعدو بى: يسرع بى. والهزم: اسم فرس له. (٢) الذمار: ما يجب على الرجل أن يحميه.
(٣) الذمة: العهد هنا.
(٤) المهامة: جمع مهمة، وهو القفر. والمدلهمة: الشديدة السواد. (٥) جمة: كثيرة.
(٦) أرحب هلا: كلمة تزجر بها الخيل. (٧) الجحفل: الكثير العظيم.
(٨) حى: فعل ماضى مبنى للمجهول، وهو خبر يراد به إنشاء الدعاء. والنأى: البعد. ولا تصرف: معناه لا ترد، يريد أن هذه التحية لا يردها أحد.

لا جارهم يشكو ولا ضـيفهم ... من دونه بـاب لهـم يصرف[١]

وقال عبد الله بن الزبعرى يوم أحد:

قتلنا ابن جحش فاغتبطنا بقتله ... وحـمزة فى فرسانه وابن قوقل[٢]

وأفلتنا منهم رجال فأسرعوا ... فليتهم عاجـوا ولم نتعجل[٣]

أقاموا لنا حتى تعض سيوفنا ... سـراتهم وكـلنا غير عـزّل[٤]

وحتى يكون القتل فينا وفيهم ... ويلقوا صبوحاشره غير منجلى[٥]

قال ابن هشام: وقوله: « وكلنا» وقوله: « ويلقوا صبوحا»: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب:

أسائلة أصحاب أحد مخافة ... بنات أبى من أعجم وخبير[٦]

فقال الخبير إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ماكنا نرجى ونرتجى ... لحمزة يوم الحشر خير مصير

فوالله لا أنساك ماهبت الصبا ... بكاء وحزنا محضرى ومسيرى[٧]

على أسد الله الذى كان مدرها ... يذود عن الإسلام كل كفور[٨]

فياليت شلوى عند ذاك وأعظمى ... لدى أضبع تعتادنى ونسور[٩]

أقول وقد أعلى النعى عشيرتى ... جزى الله خيرًا من أخ ونصير[١٠]

بكاء وحزنا محضرى ومسيرى

---

(١) يصرف: يصوت، والصريف: الصوت. ومعنى قوله: ولا ضيفهم من دونه باب لهم يصرف: أنهم لا يقفلون بابهم عن الضيف فيمسع له صوت.

(٢) اغتبطنا: فرحنا.

(٣) عاجوا: عطفوا وأقاموا.

(٤) سراتهم: خيارهم . وعزل: لا سلاح معهم.

(٥) غير منجلى: غير منكشف.

(٦) الأعجم: هو الذى لا يفصح عما فى نفسه، وأرادت ههنا الذى لا علم عنده ولهذا قابلته بالخبير.

(٧) الصبا: الريح الشرقية. ومحضرى ومسيرى: أى وقت حضورى وغيبتى.

(٨) المدرة: الذى يدافع عن القوم بلسانه وسيفه. ويزود كل كفور: معناه يدفعه عن قومه ويمنعه عن الوصول إليهم.

(٩) الشلو: البقية. وأضبع: جمع ضبع وهو ضرب من السباع. ونسور: جمع نسر وهو الطائر المعروف. وتعتادنى: تعود إلى مرة بعد مرة وتتعاهدنى.

(١٠) النعى: النوح والبكاء، والمعنى: .رفعت عشيرتى أصواتها بالنوح والبكاء.

قال ابن إسحاق: وقالت نعم، امرأة شماس بن عثمان، تبكى شماسا، وقد أصيب يوم أحد:

ياعيت جودى بفيض غير إبساس ... على كــريم مــن الفتيان إباس[1]
صعــب البديهة ميمون نقيبته ... حمـال ألويــة ركــاب أفراس[2]
أقول لما أتى الناعـــى له جزعا ... أودى الجواد وأودى المطعم الكاسى[3]
وقلت لما خــلت منه مجالسه ... لابعد الله عنا قــرب شماس[4]

فأجابها أخوها، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع، يعزيها، فقال:

إقنى حــياءك فى سِــتر وفى كرم ... فإنما كان شــماس من الناس[5]
لاتقتلى النفس إذ حــانت منيته ... فى طاعة الله يوم الروع والباس[6]
قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى ... فــذاق يومئذ من كــأس شماس

وقالت هند بنت عتبة، حين انصرف المشركون عن أحد:

رجعت وفى نفسى بلابل جمة ... وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى[7]
من أصحاب بدر من قريش وغيرهم ... بنى هاشم منهم ومن أهل يثرب
ولكننى قد نلت شيئا ولم يكن ... كما كنت أرجو فى مسيرى ومركبى

قال ابن هشام: وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها:

وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى

وبعضهم ينكرها لهند، والله أعلم

---

(١) الابساس فى الأصل: مسح درع الناقة والقول لها بس بس ليدر اللبن، فالابساس فيه تكلف وغير الابساس: أى بغير تكلف. والاباس: الشديد.

(٢) البديهة: أول الأمر والرأى. وميمون نقيبته: أى مسعود الفأل. والألوية: جمع لواء، وهو العلم.

(٣) الناعى: الذى يأتى بخبر الميت. وأودى: هلك. والمطعم اسم فاعل من أطعم. والكاسى: اسم فاعل من كسا، تريد أنه كريم يطعم الضيفان يكسو الفقراء.

(٤) خلت منه مجالسه: كناية عن أنه مات.

(٥) اقنى حياءك: يريد حافظى عليه ولا تخرجى عنه. وليكن مدخر عندك بمنزلة القنية.

(٦) حانت: دنت وجاء وقتها. والمنية: الموت. والروع: الفزع. والباس: الشجاعة.

(٧) البلابل: الأحزان. وجمة: أى كثيرة.

ذكر يوم الرجيع[١]
فى سنة ثلاث

مقتل خبيب وأصحابه: قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى، قال: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة، قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة[٢].

قال ابن هشام: عضل والقارة، من الهوَنْ بن خزيمة بن مدركة.

قال ابن هشام: ويقال: الهُون، بضم الهاء.

قال ابن إسحاق: فقالوا: يارسول الله، إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ نفرا ستة[٣] من أصحابه، وهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى، حليف حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن البكير الليثى، حليف بنى عدى بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، أخو بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس: وخُبيب بن عدى، أخو بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدثنة بن معاوية أخو بنى بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج؛ وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

وأمَّر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبى مرثد الغنوى فخرج مع القوم. حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لهذيل بناحية الحجاز، على صدور الهدأة[٤] غدروا بهم، فاستصرخوا[٥] عليهم هذيلا، فلم يرع القوم، وهم فى رحالهم، إلا الرجال

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٣٧٩) والرجيع بفتح الراء وكسر الجيم هو فى الأصل اسم للروث. سمى بذلك لاستحالته والمراد هنا اسم موضع من بلاد هذيل كانت الوقعة بالقرب منه فسميت به» ا.هـ.

(٢) قال الحافظ فى « الفتح» (٧/ ٣٧٩) عضل بفتح المهملة ثم المعجمة بعدها لام: بطن من بنى الهول بن خزيمة من مدركة بن إلياس بن مضر ينسبون إلى عضل بن الديش بن محكم، وأما القارة فالبقاف وتخفيف الراء بطن من الهول أيضاً ينسبون إلى الديش المذكور، وقال ابن دريد: القارة أكمة سوداء فيها حجارة كأنهم نزلوا عندها فسموا بها، ويضرب بهم المثل فى إصابة الرمى وقال الشاعر:
وقد أنصف القارة من رماها» اهـ.

(٣) قال الحافظ «وجزم ابن سعد بأنهم كانوا عشرة وساق أسماء الستة المذكورين وزاد معتب بن عبيد قال: وهو أخو عبد الله بن طارق لأمه، وكذا سمى موسى بن عقبة السبعة المذكورين لكن قال: معتب بن عوف، قلت: فلعل الثلاثة الآخرين كانوا أتباعاً لهم فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم. انظر«الفتح»(٧/ ٣٨٠).

(٤) الهدأة: موضع بين عسفان ومكة.

(٥) استصرخوا عليهم هذيلاً: استعانوا بهذيل ليعينوهم عليهم.

بأيديهم السيوف، قد غشوهم؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم: إنا والله مانريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

فأما مرثد بن أبى مرثد. وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا فقال عاصم بن ثابت:

ماعلتي وأنا جلد نابل ... والقوس فيها وتر عنابل[1]
تزل عن صفحتها المعابل ... الموت حق والحياة باطل[2]
وكل ماحم الإله نازل ... بالمرء والمرء إليه آئل[3]
إن لم أقاتلكم فأمى هابل[4]

قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضا:

أبو سليمان وريش المقعد ... وضالة مثل الجحيم الموقد[5]
إذا النواجي افترشت لم أرعد ... ومجنأ من جلد ثور أجرد[6]
ومؤمن بما على محمد

وقال عاصم بن ثابت أيضا:

أبو سليمان ومثلى رامى ... وكان قومى معشراً كراما

وكان عاصم بن ثابت يكنى: أبا سليمان ثم قاتل القوم حتى قتل وقتل صاحباه.

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه، ليبيعوه من سلافة بنت سعد ابن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد: لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر، فمنعه الدبر[7]، فلما حالت بينه وبينهم قالوا: دعوه يمسى

---

(١) النابل: صاحب النبل. وعنابل: غليظ شديد. (٢) المعابل: جمع معبلة وهو نصل عريض.
(٣) حم الآلة: قدره. . وآئل: صائر.
(٤) هابل: فاقد وثاكل. تقول هبلته أمه أى ثكلته وفقدته، يدعو على نفسه بالموت إن لم يقتالهم.
(٥) ريش: جمع ريشة. والمقعد: لقب رجل كان يريش النال. والضالة: شجرة تصنع منها القسى والسهام. وأراد ههنا القوس.
(٦) التواحى: جمع ناحية، وأراد من افترش النواحى عمرانها وكثرة من فيها. ولم أرعد: معناه لم أخف ولم أفزع. ومجنأ: المراد به الترس الذى لا حديد به. والأجرد: الأملس.
(٧) الدبر: اسم لجماعة النحل.

فتذهب عنه، فنأخذه فبعث الله الوادى، فاحتمل عاصما، فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبدا، تنجسا؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: حين بلغه أن الدبر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبدا فى حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه فى حياته.

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى، وعبد الله بن طارق، فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة فأعطوا بأيديهم، فأسروهم، ثم خرجوا إلى مكة، ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران[1]، ثم أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره، رحمه الله، بالظهران[2]؛ وأما خبيب ابن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة.

قال ابن هشام: فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة.

قال ابن إسحاق: فابتاع خبيبا حجير بن أبى إهاب التميمى، حليف بنى نوفل، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه فقتله بأبيه.

قال ابن هشام: الحارث بن عامر، خال أبى إهاب، وإبو إهاب، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم؛ ويقال: أحد بنى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، من بنى تميم.

قال ابن إسحاق: وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، أمية بن خلف، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له، يقال له نسطاس، إلى التنعيم، وأخرجوه من الحرام ليقتلوه واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يازيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه، وأنك فى أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنى جالس فى أهلى. قال؛ يقول أبو سفيان: ما رأيت فى الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً؛ ثم قتله نسطاس، يرحمه الله.

وأما خبيب بن عدى، فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح، أنه حدث عن ماوية،

---

(١) القران: الحبل الذى يربط به الأسير وأصل تسميته بذلك؛ لأن الأسرى كانوا يقرنون بعضهم إلى بعض فى حبل واحد.

(٢) الظهران: اسم واد قريب من مكة.

مولاة حجير بن أبى إهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان خبيب عندى، حبس فى بيتى، فلقد اطلعت عليه يوما، وإن فى يده لقطفا[1] من عنب، مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم فى أرض الله عنبا يؤكل.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح جميعا أنها قالت: قال لى حين حضره القتل: ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل، قالت: فأعطيت غلاما من الحى الموسى؛ فقلت: ادخل بها على هذا الرجل البيت، قالت: فوالله ماهو إلا أن ولى الغلام بها إليه؛ فقلت: ماذا صنعت؟ أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام، فيكون رجلا برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك، ماخافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى، ثم خلى سبيله.

قال ابن هشام: ويقال: إن الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: قال عاصم: قال: ثم خرجوا بخبيب، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم[2] ليصلبوه، قال لهم: إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة. قال: فكان خبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين. قال: ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه، قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً[3]، ولا تغادر منهم أحدا.[4] ثم قتلوه رحمه الله.

فكان معاوية بن أبى سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان، فلقد رأيته يلقينى إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب، وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دعى عليه، فاضطجع لجنبه زالت عنه.

قال ابن إسحاق: حدثن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث، قال سمعته يقول: ما أنا والله قتلت خبيبا، لأنى كنت أصغر من ذلك، ولكن أبا ميسرة، أخا بنى عبد الدار، أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة، ثم طعنه بها حتى قتله.

---

(١) القطف: العنقود.
(٢) موضع خارج مكة فى الحل.
(٣) بدداً: أى أهلكهم فرقة بعد فرقة.
(٤) رواه بنحوه البخارى(٧/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) كتاب المغازى، باب: غزوة الرجيع.

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أصحابنا، قال: كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام، فكانت تصيبه غشية، وهو بين ظهرى القوم فذكر ذلك لعمر بن الخطاب، وقيل: إن الرجل مصاب، فسأله عمر فى قدمة قدمها عليه، فقال: ياسعيد، ما هذا الذى يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين مابى من بأس، ولكنى كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل، وسمعت دعوته، فوالله ماخطرت على قلبى وأنا فى مجلس إلا غشى على، فزادته عند عمر خيرا.

قال ابن هشام: أقام خبيب فى أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم، ثم قتلوه.

مانزل فى سرية الرجيع من القرآن: قال ابن إسحاق: وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية، كما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

قال: قال ابن عباس: لما أصيبت السرية التى كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا لا هم قعدوا فى أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذى أصابهم فقال سبحانه[1]: ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا**﴾: أى لما يظهر من الإسلام بلسانه، ﴿**ويشهد الله على مافى قلبه**﴾، وهو مخالف لما يقول بلسانه، ﴿**وهو ألد الخصام**﴾: أى ذو جدال إذا كلمك وراجعك.

قال ابن هشام: الألد: الذى يشغب، فتشتد خصومته، وجمعه: لد، وفى كتاب الله عز وجل: ﴿ **وتنذر به قوما لدا**﴾[2]. وقال المهلهل بن ربيعة التغلبى، واسمه امرؤ القيس، ويقال: عدى بن ربيعة:

إن تحت الأحـــجار حـــداً ولينــا وخـــصيما ألـــــد ذا معـــــلاق[3]

ويروى« ذا مغلاق» فيما قال ابن هشام. وهذا البيت فى قصيدة له، وهو الألندد.

قال الطرماح بن حكيم الطائى يصف الحرباء:

---

(١) البقرة: ٢٠٤ـ ٢٠٧. (٢) مريم: ٩٧.

(٣) حداً: معناه حدة وهى الشدة، يريد أنه شديد قاس حديد القلب على أعدائه، ولين هادئ وادع الخلق على أوليائه. والألد: الشديد.

يوفى على جذم الجذول كأنه	خصم أبر على الخصوم ألندد[1]

وهذا البيت فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: قال تعالى: ﴿ **وإذا تولى** ﴾: أى خرج من عندك ﴿ **سعى فى الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد** ﴾ أى لا يحب عمله ولا يرضاه. ﴿ **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله، والله رءوف بالعباد** ﴾: أى قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله والقيام بحقه، حتى هلكوا على ذلك، يعنى تلك السرية.

قال ابن هشام: يشرى نفسه: يبيع نفسه؛ وشروا: باعوا.. قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى:

وشريت برداً ليتنى	من بعد برد كنتُ هامة[2]

برد: غلام له باعه. وهذا البيت فى قصيدة له. وشرى أيضا: اشترى.

قال الشاعر:

فقلت لها لا تجزعى أم مالك	على ابنيك إن عبد لئيم شراهما

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل فى ذلك من الشعر، قول خبيب بن عدى، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه.

وقال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا	قبائلهم واستجمعوا كل مجمع[3]

وكلهم مبدى العداوة جاهد	علىّ لأنى فى وثاق بمضيع[4]

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم	وقربت من جذع طويل ممنع

---

(١) يوفى: يشرف. والجذم: الأصل أو القطعة من الشىء. والجذول: جمع جذل، وهو الأصل. وأبر: ظهر عليهم.

(٢) الهامة: الطائر الذى تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح بقوله: اسقونى حتى يؤخذ له بثأره، وأراد ليته كان قد مات قبل أن يبيع برداً، وهذا كناية عن شدة تعلقه به وجزعه على فراقه وحزنه لمغادرته.

(٣) ألبوا: معناه جمعوا. ومجمع: مكان الاجتماع.

(٤) مبدى العداوة: مظهرها. وجاهد: مجتهد فى إيذائه. والوثاق: ما يربط به الأسير.

إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى ... وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى[١]
فذا العرش، صبرنى على مايراد بى ... فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمعى[٢]
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع[٣]
وقد خيرونى الكفر والموت دونه ... وقد هملت عيناى من غير مجزع[٤]
ومابى حذار الموت، إنى لميت ... ولكن حذارى جحيم نار ملفع[٥]
فوالله ما أرجو إذا مت مسلما ... على أى جنب كان فى الله مصرعى[٦]
فلست بمبد للعدو تخشعا ... ولا جزعا إنى إلى الله مرجعى[٧]

وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا:

مابال عينك لا ترقا مدامعها ... وسحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق[٨]
على خبيب فتى الفتيان قد علموا ... لا فشل حين تلقاه ولا نزق[٩]
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة ... وجنة الخلد عند الحور فى الرفق
ماذا تقولون إن قال النبى لكم ... حين الملائكة الأبرار فى الأفق
فيم قتلتم شهيد الله فى رجل ... طاغ قد أوعث فى البلدان والرُّفق[١٠]

قال ابن إسحاق: ويروى: الطرق. وتركنا مابقى منها، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى خبيبًا:

ياعين جودى بدمع منك منسكب ... بكى خبيبا مع الفتيان لم يؤب[١١]
صقرا توسط فى الأنصار منصبه ... سمح السجية محضا غير مؤتشب[١٢]

---

(١) أرصد: أعد وهيأ. والأحزاب: الجماعات. ومصرعى: المكان الذى أقتل فيه.
(٢) بضعوا: قطعوا. وياس: معناه يئس.
(٣) الأوصال: المفاصل أو مجتمع العظام. والشلو: البقية. والممزع: المقطع.
(٤) هملت عيناى: سال دمعها. والمجزع: بمعنى الجزع وهو الخوف.
(٥) الجحم: الملتهب المتقد. والملفع: المشتمل ومنه تلفع بثوبه إذا اشتمل عليه.
(٦) يروى فى مكان صدر هذا البيت قوله: «ولست أبالى حين أقتل مسلماً» وارجو فى هذا الموضع بمعنى أخاف.
(٧) تخشعاً: تذللاً. ومرجعى: مصدر ميمى بمعنى الرجوع.
(٨) لا ترقا: أصله لا ترقأ فسهل الهمزة، وتقول: رقأ الدمع يرقأ إذا انقطع. وسحا: مصدر بمعنى الصب. واللؤلؤ: كبار الجوهر. والقلق: المضطرب.
(٩) الفشل: الضعيف القوة الجبان. والنزق: السيء الخلق.
(١٠) أوعث: اشتد فساده. (١١) منسكب: سائل. ولم يؤب: لم يعد ولم يرجع.
(١٢) سمح: سهل لين. والسجية: الطبيعة والخلق. والمحض: الخالص، وأراد خلوص نسبه من الشوائب. وغير مؤتشب: أى غير مختلط.

قد هاج عينى على علات عبرتها ... إذ قيل نُص إلى جذع من الخشب[١]

يأيها الراكب الغادى لطيته ... أبلغ لديك وعيداً ليس بالكذب[٢]

بنى كهيبة أن الحرب قد لقحت ... محلوبها الصاب إذ تمرى لمحتلب[٣]

فيها أسُود بنى النجار تقدمهم ... شهب الأسنةفى معصوصب لجب[٤]

قال ابن هشام: وهذه القصيدة مثل التى قبلها، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان، وقد تركنا أشياء قالها حسان فى أمر خبيب لما ذكرتُ.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا:

لو كان فى الدار قرم ماجد بطل ... ألوى من القوم صقر خاله أنس[٥]

إذن وجدت خبيبا مجلسا فسحا ... ولم يشد عليك السجن والحـــرس

ولم تسقك إلى التنعيم زعنفة ... من القبائل منهم من نفت عدس[٦]

دلوك غدرا وهم فيها أولو خُلف ... وأنت ضيم لها فى الدار محتبس[٧]

قال ابن هشام: أنس: الأصم السلمى: خال مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، وقوله: «كم نفت عدس» يعنى حجير بن أبى إهاب: ويقال الأعشى بن زرارة بن النباش الأسدى وكان حليفا لبنى نوفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: وكان الذين أجلبوا على خبيب فى قتله حين قتل من قريش: عكرمة بن أبى جهل، وسعيد بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود، والأخنس بن شريق الثقفى، حليف بنى زهرة، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمى، حليف بنى أمية بن عبد شمس، وأمية بن أبى عتبة، وبنو الحضرمى.

وقال حسان أيضا يهجو هذيلا فيما صنعوا بخبيب بن عدى:

---

(١) علات: مشتقات. والعبرة: الدمعة. ونص: رفع.

(٢) الطية: ما انطوت عليه نيتك من الجهة التى تريد أن تتوجه إليها. والوعيد: التهديد.

(٣) بنو كهيبة: اسم لمن يُسب ويعبر به عن السفلة من الناس. وأصل كهيبة من الكهبة وهى الغبرة. ولقحت الحرب: ازداد شرها وعضم أمرها. ومحلوبها: أى اللبن الذى يحلب منها. والصاب: العلقم. وتمرى: تمسح أضراعها لتحلب، شبه الحرب بناقة قد صارت لاقحاً ثم مضى فى البيت كله على هذا التشبية.

(٤) المعصوصب: الجيش الكثير. واللجب: الكثير الأصوات.

(٥) أصل القرم: الفحل من الإبل، وأراد منه ههنا الرجل السيد. والماجد: الشريف. والبطل: الشجاع. وألوى: شديد الخصومة.

(٦) الزعنفة: الأتباع الذين لا شرف لهم، وهم الذين ينتمون إلى القبائل من غير أن يكونوا من صليبتها. وأصل الزعنفة أطراف الحيوان. وعدس: قبيلة من تميم.

(٧) دلوك: معناه غروك. وأنت ضيم: الضيم الذل والقهر والغلبة.

أبلغ بنى عمرو بأن أخاهم ... شراه امروء قد كان للغدر لازما[1]
شراه زهير بن الأغر وجامع ... وكانا جميعا يركبان المحارما[2]
أجرتم فلما أن أجرتم غدرتم ... وكنتم بأكتاف الرجيع لها ذما[3]
فليت خبيبا لم تخنه أمانة ... وليت خبيبا كان بالقوم عالما

قال ابن هشام: زهير بن الأغر وجامع: الهذليان اللذان باعا خبيبا.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا:

إن سرك الغدر صرفا لا مزاج له ... فأت الرجيع فسل عن دار لحيان[4]
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم ... فالكلب والقرد والإنسان مثلان
لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم ... وكان ذا شرف فيهم وذا شان

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصارى قوله:

لو ينطق التيس يوما قال يخطبهم ... وكان ذا شرف فيهم وذا شأن

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب[5]
سالوا رسولهم ما ليس معطيهم ... حتى الممات، وكانوا سُبة العرب
ولن ترى لهذيل داعيا أبداً ... يدعو لمكرمة عن منزل الحرب[6]
لقد أرادوا خلال الفحش ويحهم ... وأن يحلوا حراما كان فى الكتب[7]

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا:

---

(١) بنى عمرو: يريد بهم بنى عمرو بن عوف قوم خبيب، وأخاهم: أراد به خبيباً. وشراه: باعه وهو من الأضداد.
(٢) المحارم: جمع محرم وهو الأمر المحظور إتيانه.
(٣) لها ذما: أراد به الشجعان. يغيرهم بأنهم خرجوا يقضهم وقضيضهم على جماعة قليلة العدد قد أجاروا فأمنوا لهم فتشاجعوا عليهم.
(٤) صرفاً: خالصاً من كل شيء. والرجيع: اسم مكان. ولحيان: هو ابن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر.
(٥) سالت: أراد سألت، فخفف الهمزة بقلبها ألفاً. وأراد بقوله: «سالت رسول الله فاحشة» التنديد بهذيل؛ لأنها حين أرادت الإسلام طلبت من رسول الله ﷺ أن يحل لها الزنى، فهو يعيرهم بذلك.
(٦) الحرب ـ بفتح الحاء والراء ـ السلب.
(٧) الخلال: الخصال.

لعمرى لقد شانت هذيل بن مدرك ... أحاديث كانت فى خبيب وعاصم(١)

أحاديث لحيان صلوا بقبيحها ... ولحيان جرامون شر الجرائم(٢)

أناس هم من قومهم فى صميمهم ... بمنزلة الزمعان دبر القوادم(٣)

هُم غدروا يوم الرجيع وأسلمت ... أمانتهم ذا عفة ومكارم

رسول رسول الله غدراً ولم تكن ... هذيل توقى منكرات المحارم

فسوف يرون النصر يوما عليهم ... بقتل الذى تحميه دون الحرائم(٤)

أبابيل دبر شمس دون لحمه ... حمت لحم شهَّاد عظام الملاحم(٥)

لعل هذيلا أن يروا بمصابه ... مصارع قتلى أو مقاما لماتم(٦)

ونوقع فيهم وقعة ذات صولة ... يوافى بها الركبان أهل المواسم(٧)

بأمر رسول الله إن رسوله ... رأى رأى ذى حزم بلحيان عالم

قُبيلة ليس الوفاء يهمهم ... وإن ظُلموا لم يدفعوا كف ظالم(٨)

إذا الناس حلوا بالقضاء رأيتهم ... بمجرى مسيل الماء بين المخارم(٩)

محلهم دار البوار ورأيهم ... إذا نابهم أمر كرأى البهائم(١٠)

وقال حسان بن ثابت يهجو هذيلا:

لحى الله لحيانا فليست دماؤهم ... لنا من قتيلى غدرة بوفاء(١١)

همو قتلوا يوم الرجيع ابن حرة ... أخا ثقة فى وده وصفاء

---

(١) شانت: قبحت وعابت، وكانت شيناً لهم وعاراً عليهم.

(٢) صلوا بقبيحها: أى أصابهم شرها. وجرامون: كاسبون، والجرائم: جمع جريمة، وهى الذنب والإثم.

(٣) صميم القوم: خالصهم فى نسبه. والزمعان: جمع زمع وهو الشعر الذى يكون فوق الرسغ من الدابة وغيرها. ودبر: أى خلف. والقوادم: يعنى بها اليدين، لأنها تقدم الرجلين، يقول: إن بنى لحيان وإن كانوا من صميم هذيل ولبابها وخالص نسبها إذا قيسوا بغيرهم كانوا بمنزلة هذا الشعر حقارة، وكانوا متخلفين لا يتقدمون.

(٤) بقتل الذى تحميه - إلخ البيتين، أراد به عاصم بن أبى الأقلح الذى حمته الدبر، ودون الحرائم: أى دون أن يمسه أحد.

(٥) أبابيل: الجماعات. والدبر: اسم لجماعة النحل. والشمس: المدافعة. والملاحم: جمع ملحمة وهى المكان الذى يلتحم فيه الفريقان المتحاربان.

(٦) الماتم: جماعة النساء يجتمعن فى الخير أو فى الشر، ولكن المراد هنا اجتماعهن فى مناحة.

(٧) صولة: شدة. ويوافى: يجىء. والركبان: جماعة ركاب الإبل. والمواسم: جمع موسم الحج وغيره

(٨) قبيلة: هو بالتصغير، فالقاف مضمومة والباء مفتوحة والياء مشددة يريد أنهم لا أخلاق لهم فلا هم أوفياء ولا هم شجعان، فإن وعدوا لم يفوا وإن يظلمهم أحد لا يدافعوا عن أنفسهم.

(٩) المخارم: مسايل الماء التى تخرمها السيل، أى يقطعها.

(١٠) البوار: الهلاك. ونابهم أمر: نزل بهم.

(١١) لحى الله: أضعفهم وأضرهم. قتيلى غدرة: يريد من قتلوهم غدراً وهم عاصم ومرثد وخالد بن البكير. ووفاء: يريد مكافأة، يريد أنهم لو قتلوا بهؤلاء الثلاثة لم يف قتلهم جميعاً بثأر هؤلاء.

فلو قتلوا يوم الرجيع بأسرهم بذى الدبر ماكانوا له بكفاء[١]
قتيل حمته الدبر بين بيوتهم لدى أهل كفر ظاهر وجفاء
فقد قتلت لحيان أكرم منهم وباعوا خبيبا ويلهم بلفاء[٢]
فأف للحيان على كل حالة على ذكرهم فى الذكر كل عفاء[٣]
قبيلة باللؤم والغدر تغترى فلم تمس يخفى لؤمها بخفاء[٤]
فلو قتلوا لم توف منه دماؤهم بلى إن قتل القاتليه شفائى
فإلا أمت أذعر هذيلا بغارة كغادى الجهام المغتدى بإفاء[٥]
بأمر رسول الله والأمر أمره يبيت للحيان الخنا بفناء
يصبح قوما بالرجيع كأنهم جداء شتاء بتن غير دفاء[٦]

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا:

فلا والله ما تدرى هذيل أصاف ماء زمزم أم مشوب[٧]
ولا لهم إذا اعتمروا وحجوا من الحجرين والمسعى نصيب[٨]
ولكن الرجيع لهم محل به اللؤم المبين والعيوب
كأنهم لدى الكَنَّاتِ أصلا تيوس بالحجاز لها نبيب[٩]
هم غروا بذمتهم خبيبا فبئس العهد عهدهم الكذوب

قال ابن هشام: آخرها بيتا عن أبى زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا وأصحابه:

---

(١) بذى الدبر: هو عاصم بن ثابت الذى جمع الله حوله النحل فلم يمكنهم من حز رأسه ليأخذوه ليبيعوه من امرأة وهى سلافة بنت سعد، كانت نذرت أن تشرب فى قحف رأسه الخمر. وهو هاهنا يقول: إنهم جميعاً لا يفى قتلهم بثأر أحد الثلاثة.

(٢) اللفاء: الشى القليل الحقير اليسير، وهو التراب أيضاً.

(٣) أف: كلمة تقال عند التألم من الشىء، وعند تعذره. والعفاء: التغير والدروس.

(٤) تغترى: يغرى بعضهم بعضاً.

(٥) أوعر هذيلاً: يريد أخيفهم وأفزعهم. والغادى: المبكر الذى يأتى غدوة. والجهام: السحاب القليل. والإيفاء: الغنيمة.

(٦) جداء: جمع جدى، وهو ولد المعز. ودفاء: من الدفء.

(٧) مشوب: مخلوط.

(٨) الحجرين: يريد الكعبة وهو واحد وإنما ثناه؛ لأنه قصده مع ما حوله. والمسعى: هو ما بين الصفا والمروة.

(٩) الكنات: جمع كنة. وهو شىء يلصق بالبيت يكن به: أى يستتر. وأصلاً: جمع أصيل، وهو وقت العشى. والنبيب: صوت التيس.

صلى الإله على الذين تتابعوا ... يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا[1]
رأس السرية مرثد وأميرهم ... وابن البكير إمامهم وخبيب
وابن لطارق وابن دثنة منهم ... وافاه ثم حمامه المكتوب[2]
والعاصم المقتول عند رجيعهم ... كسب المعالى إنه لكسوب[3]
منع المقادة أن ينالوا ظهره ... حتى يجالد إنه لنجيب[4]

قال ابن هشام: ويروى: حتى يجدل إنه لنجيب.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

حديث بئر معونة

فى صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة ـ وولى تلك الحجة المشركون والمحرم ـ ثم بعث رسول الله ﷺ أصحاب بئر معونة فى صفر، على رأس أربعة أشهر من أحد.

وكان من حديثهم، كما حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وغيره من أهل العلم، قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة[5] على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه ﷺ، ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يامحمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: إنى أخشى عليهم أهل نجد،

(١) أثيبوا: أثابهم الله.

(٢) ابن لطارق: هو عبد الله بن طارق حليف بنى ظفر. وابن دثنة: أراد زيد بن الدثنة. ووافاه: جاءه. وثم: أى هناك. والحمام: الموت.

(٣) العاصم: أراد به عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح. وكسوب: صيغة مبالغة.

(٤) المقادة: المذلة والانقياد إلى أعدائه. ويجالد: يضارب ويقاتل بالسيف.

(٥) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وإنما سمى ملاعب الأسنة يوم سوبان. ويوم سوبان هذا كان يوماً من أيام جبلة وهى أيام كانت بين قيس وتميم. وجبلة اسم لهضبة عالية، وكان سبب تسمية عامر ملاعب الأسنة فى يوم سوبان أن أخاه طفيل بن مالك (وهو الذى يلقب فارس قرزل) كان قد أسلمه فى هذا اليوم وفر، فقال فى ذلك بعض الشعراء:

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً. يلاعب أطراف الوشيج المزعزع فسمى ملاعب الرماح وملاعب الأسنة. انظر«الروض» (٣/ ٢٣٨).

قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو، أخا بنى ساعدة، المعنق[1] ليموت فى أربعين رجلا[2] من أصحابه، من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان أخو بنى عدى بن النجار، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى؛ وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق، فى رجال مسلمين من خيار المسلمين.

فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم، كلا البلدين منها قريب، وهى إلى حرة بنى سليم أقرب.

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بنى عامر، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر[3] أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجوازاً، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم من عصية ورعل وذكوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم فى رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلا كعب بن زيد، أخا بنى دينار ابن النجار، فإنهم تركوه وبه رمق، فارتث[4] من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً، رحمه الله.

وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى، ورجل من الأنصار، أحد بنى عمرو بن عوف.

قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح.

قال ابن إسحاق: فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأنا، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم فى دمائهم، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الأنصارى لعمرو بن أمية: ماترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فنخبره الخبر، فقال الأنصارى: لكنى ماكنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، وماكنت لتخبرنى عنه الرجال، ثم قاتل القوم حتى

(١) المعنق: اسم فاعل من أعنق، إذا سار العنق، وهو السير السريع، وإنما لقب المنذر بذلك؛ وذلك لأنه أسرع للشهادة.

(٢) الصحيح أنهم كانوا سبعين رجلاً كما وقع فى حديث أنس بن مالك الذى رواه البخارى (٧/ ٣٨٥). ومسلم (١٥٢٢).

(٣) لن نخفر: لن ننقض عهده.

(٤) ارتث: أى رفع من بين القتلى وفيه رمق.

قتل؛ وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضر، أطلقه عامر بن الطفيل، وجز ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

فخرج عمرو بن أمية، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة[1]، أقبل رجلان من بنى عامر.

قال ابن هشام: ثم من بنى كلاب، وذكر أبو عمر المدنى أنهما من بنى سليم.

قال ابن إسحاق: حتى نزلا معه فى ظل هو فيه. وكان مع العامريين عقد من رسول الله ﷺ وجوار، لم يعلم به عمرو بن أمية، وقد سألهما حين نزلا، ممن أنتما؟ فقالا: من بنى عامر، فأمهلهما، حتى إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة[2] من بنى عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر؛ قال رسول الله ﷺ: لقد قتلت قتيلين، لأدينهما!

ثم قال رسول الله ﷺ: هذا عمل أبى براء، قد كنت لهذا كارها متخوفا. فبلغ ذلك أبا براء، فشق عليه إخفار عامر إياه، وماأصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة.

قال ابن إسحاق: فحدثنى هشام بن عروة، عن أبيه: أن عامر بن الطفيل كان يقول: من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض، حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة[3].

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى بعض بنى جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر، قال - وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - قال فكان يقول: إن مما دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فزت والله! فقلت فى نفسى: مافاز! ألست قد قتلت الرجل؟! قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: الشهادة، فقلت: فاز لعمرو الله[4].

---

(١) وكان قريب من المدينة. (٢) من الثأر.

(٣) قال البخارى: وعن أبى أسامة قال: قال هشام بن عروة فأخبرنى أبى قال: لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمرى، قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، (٧/ ٣٨٩ فتح).

(٤) روى البخارى (٧/ ٣٨٦) عن أنس رضى الله عنه يقول: (لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة، قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال: فزت ورب الكعبة.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يحرض بنى براء على عامر بن الطفيل:

بنى أم البنين ألـــم يـــرعكم وأنتم مـــن ذوائـــب أهـــل نجد[1]
تهكم عامـــر بأبـــى بـــراء ليخفره ومـــا خـــطأ كعمـــد[2]
ألا أبلـــغ ربيعـــة ذا المســـاعى فما أحـــدثت فى الحـــدثان بعدى[3]
أبوك أبو الحـــروب أبـــو بـــراء وخـــالك ماجـــد حكم بن سعد

قال ابن هشام: حكم بن سعد: من القين بن جسر، وأم البنين: بنت عمرو بن ربيعة بن عامر، بن صعصعة، وهى أم أبى براء.

قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل؛ فطعنه بالرمح، فوقع فى فخذه، فأشواه[4]، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبى براء، إن أمت فدمى لعمى، فلا يتبعن به، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أتى إلى.

وقال أنس بن عباس السلمى، وكان خال طعيمة بن عدى بن نوفل، وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى:

تركت ابن ورقاء الخـــزاعى نـــاويا بمعترك تســـفى عليـــه الأعاصر[5]
ذكرت أبا الـــريان لمـــا وأيقنت أنـــى عنـــد ذلـــك ثائر[6]

وأبو الريان: طعيمة بن عدى.

وقال عبد الله بن رواحة يبكى نافع بن بديل بن ورقاء:

رحم الله نـــافع بن بديل رحـــمة المبتغـــى ثواب الجهاد
صابر صـــادق وفـــى إذا مـــا أكثر القـــوم قـــال قـــول السداد

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة، ويخص المنذر بن عمرو:

علـــى قتـــلى مـــعونة فاستهلى بدمع العين ســـحا غيـــر نـــزر[7]

---

(١) بنو أم البنين: هم أبو براء وأخوته.
(٢) التهكم: الاستهزاء. ليخفره: لينقض عهده.
(٣) المساعى: جمع مسعاة، وهى السعى فى طلب المجد والمكارم.
(٤) أشواه: أخطأ مقتله.
(٥) تسفى: تثير عليه الغبار. والأعاصر: الرياح التى يكون معها غبار.
(٦) ثائر: معناه آخذ بثأره.
(٧) استهلى: أسبلى دموعك. والسح: الصب الكثير. والنزر: القليل.

علـى خيل الرسـول غداة لاقوا منايا‌هـم ولاقتهـم بقـدر
أصابهـم الفناء بـعـقد قـوم تخـون عقـد حبلهم بـغدر[١]
فيـا لهفـي لمنـذر إذ تولـى وأعنـق فـي منيته بصـبر[٢]
وكائن قـد أصيب غـداة ذاكـم من أبيـض ماجـد مـن سر عمرو[٣]

قال ابن هشام: أنشدني آخرها بيتا أبو زيد الأنصاري. وأنشدني لكعب بن مالك في يوم بئر معونة، يعير بني جعفر بن كلاب:

تركتم جـاركم لبنـي سُليـم مخـافة حـربهم عـجـزاً وهونا[٤]
فلـو حـبلا تنـاول مـن عقيل لمـد بحـبلها حـبلا متينا[٥]
أو القرطـاء مـا إن أسـلموه وقدمـا ما وفـوا إذ لاتفونـا[٦]

قال ابن هشام: القرطاء: قبيلة من هوازن، ويروى «من نفيل» مكان «من عقيل»، وهو الصحيح: لأن القرطاء من نفيل قريب.

****

أمر إجلاء بني النضير
في سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، كما حدثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل علي مثل حاله هذه ـ ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ـ فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقى عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي، رضوان الله عليهم.

(١) تخون: انتقص وهو مبني للمجهول.
(٢) أعنق: أسرع.
(٣) من سر عمرو: السر: الخالص.
(٤) الهون: الهوان والذلة.
(٥) الحبل: العهد والذمة. والمتين: الشديد الفتل.
(٦) القرطاء: بطون من العرب من بني كلاب وهم قرط وقُريط وقَريط.

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث[1] النبى ﷺ أصحابه، قاموا فى طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه: فقال: رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ، حتى انتهوا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: ثم سار بالناس حتى نزل بهم.

قال ابن هشام: وذلك فى شهر ربيع الأول، فحاصرهم ست ليال، ونزل تحريم الخمر.

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه فى الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يامحمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟

وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج، منهم عدو الله عبد الله بن أبى ابن سلول ووديعة ومالك بن أبى قوقل، وسويد وداعر، قد بعثوا إلى بنى النضير: أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله فى قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة[2]، ففعل. فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف[3] بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به. فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر: سلام بن أبى الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وحيى بن أخطب. فلما نزلوها دان لهم أهلها[4].

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث: أنهم استقلوا بالنساء والأموال، معهم الدفوف والمزامير، والقيان[5] يعزفن[6] خلفهم، وإن فيهم لأم عمرو

---

(١) أى لما وجدوا أنه أطال اللبث وهم فى انتظاره عند بنى النضير، واللبث: الإقامة.

(٢) إلا الحلقة: أى السلاح كله، وقيل خاص بالدروع.

(٣) نجاف بابه: هى العتبة التى بأعلى الباب.

(٤) دان لهم أهلها: أى أطاعوهم وخضعوا لهم.

(٥) القيان: جمع قينة وهى الجارية إذا كانت مغنية.

(٦) يعزفن: أى يضربن بالدفوف.

صاحبة عروة بن الورد العبسى، التى ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساء بنى غفار، بزهاء[1] وفخر ما رئى مثله من حى من الناس فى زمانهم.

وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله ﷺ.

ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، أبو كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها.

قال ابن إسحاق - وقد حدثنى بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: ألم تر مالقيت من ابن عمك، وماهم به من شأنى؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جُعلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون.

مانزل فى بنى النضير من القرآن: ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته وماسلط عليهم به رسول الله ﷺ، وما عمل به فيهم، فقال تعالى[2]: **﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا،وقذف فى قلوبهم الرعب، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين﴾**، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها **﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾** وكان لهم من الله نقمة، **﴿لعذبهم فى الدنيا﴾**: أى بالسيف، **﴿ ولهم فى الآخرة عذاب النار﴾** مع ذلك. **﴿ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها﴾** واللينة: ماخالف العجوة من النخل **﴿ فبإذن الله﴾**: أى فبأمر الله قطعت، لم يكن فساداً، ولكن كان نقمة من الله **﴿ وليخزى الفاسقين﴾**.

قال ابن هشام: اللينة: من الألوان، وهى ما لم تكن برنية ولا عجوة من النخل، فيما حدثنا أبو عبيدة. قال ذو الرمة:

كأن قتودى فوقها عش طائر ... على لينة سوقاء تهفو جنوبها[3]

وهذا البيت فى قصيدة له.

---

(١) الزهاء: الزهو والتكبر والإعجاب.

(٢) سورة الحشر: ابتداء من آية ٢.

(٣) القتود: جمع قتد وهو الرحل مع أدواته. وسوقاء: غليظة السوق. وتهفو: تهتز وتضطرب. وجنوبها: نواحيها.

﴿وما أفاء الله على رسوله منهم﴾ - قال ابن إسحاق: يعنى من بنى النضير - **﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء، والله على كل شىء قدير﴾**: أى له خاصة.

قال ابن عشام: أو جفتم: حركتم وأتعبتم فى السير. قال تميم بن أبىّ بن مقبل أحد بنى عامر بن صعصعة:

مذاويد بالبيض الحديث صقالها ... عن الركب أحيانا إذا الركب أو جفوا[1]

وهذا البيت فى قصيدة له، وهو الوجيف. وقال أبو زبيد الطائى، واسمه حرملة ابن المنذر:

مسنفات كأنهن قنا الهنـ ... ـد لطول الوجيف جدب المرود[2]

وهذا البيت فى قصيدة له:

قال ابن هشام: السناف: البطان[3]. والوجيف: وجيف القلب والكبد، وهو الضربان.

قال قيس بن الخطيم الظفرى:

إنا وإن قدَّموا التى علموا ... أكبادنا من ورائهم تجف

وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول﴾ - قال ابن إسحاق: مايوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول - **﴿ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كيلا يكون دولة بين الأغنياء منك، وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** يقول: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين، على ماوضعه الله عليه.

ثم قال تعالى: **﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾** يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه، ومن كان على مثل أمرهم **﴿يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾**: يعنى بنى

---

(١) مذاويد: جمع مذواد، وهو الكثير الدفاع عن قومه. والبيض: السيوف. والحديث صقالها: القريب عهدها بالصقل.

(٢) مسنفات: مشدودات بالسناف وهو الحزام. والجدب: المكان الذى لا نبات به. والمرود: اسم مفعول من قولهم: راد المكان يروده، إذا طلب فيه المرعى، ومنه الرائد، وهو الذى يسبق قومه ليعرف لهم أمكنة الرعى. والوجيف: ضرب من السير.

(٣) البطان: حزام منسوج.

النضير، إلى قوله : ﴿**كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم، ولهم عذاب أليم**﴾: يعنى بنى قينقاع، ثم القصة. إلى قوله: ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر، فلما كفر قال إنى برىء منك، إنى أخاف الله رب العالمين، فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها، وذلك جزاء الظالمين**﴾.

ماقيل فى بنى النضير من الشعر: وكان مما قيل فى بنى النضير من الشعر قول ابن لقيم العبسى، ويقال: قاله قيس بن بحر بن طريف. قال ابن هشام: قيس بن بحر الأشجعى - فقال:

أهلى فداء لامـرىء غير مـالك ... أحـل اليهـود بالحشى المزنم[(١)]
يقيلون فى جـمر الغضاة وبدلوا ... أهيضب غـودى بالودى المكمم[(٢)]
فإن يـك ظنى صـادقا بمحـمد ... تروا خـيله بـين الصَّلا ويَرَمْرَمَ[(٣)]
يـؤم بهـا عـمرو بن بُهثة إنهـم ... عـدو ومـا حى صديق كمجرم[(٤)]
عليهن أبطال مساعير فى الوغى ... يهزون أطـراف الوشـيج المقـوم[(٥)]
وكـل رقيق الشـفرتين مهنـد ... توورثـن مـن أزمان عاد وجرهم[(٦)]
فمن مبلـغ عنـى قريشا رسـالة ... فهـل بعدهم فى المجد من متكرم
بأن أخـاكم فاعلمن محـمداً ... تليد النـدى بين الحـجون وزمـزم[(٧)]
فدينوا له بالحق تجـسم أمـوركم ... وتسـموا من الدنيا إلى كل معظم[(٨)]
نبى تـلاقتـه مـن الله رحـمة ... ولا تسـألوه أمـر غـيب مرجـم[(٩)]
فقد كان فى بـدر لعمرى عبرة ... لكـم ياقريشـا والقليـب الملمم[(١٠)]
غداة أتى فـى الخـزرجية عـامداً ... إليكـم مطيعـا للعظـيم المكـرم

---

(١) الحشى: صغار الإبل. والمزنم: الصغير

(٢) الغضاة: نوع من الشجر وهو أشد الأشجار لهيباً وأقواها ناراً. والأهيضب: تصغير أهضب وهو المكان المرتفع. وعودى: اسم مكان. الودى: صغار النخل. والمكمم: الذى خرج طلعه.

(٣) الصلا ويرمرم: موضعان. (٤) يؤم: يقصد. وعمرو بن بهثة: بطن من غطفان.

(٥) مساعير: جمع مسعر وهو اسم فاعل من قولهم: سعر الحرب. والوشيج: الرماح.

(٦) عاد وجرهم: من القبائل القديمة، يريد أن سيوفهم وأداة حربهم مما توارثوا كبراً عن كابر، فهى مما تعودت جز الرقاب.

(٧) تليد الندى: قديمه. والندى: التكرم. والحجون: موضع بمكة. وزمزم: بئر البيت الحرام.

(٨) دينوا له: أطيعوه واخضعوا لما يدعوكم إليه. وتجسم أموركم: تعظم.

(٩) المرجم: المظنون الذى لا تستيقنه النفس ولا يطمئن إليه العقل.

(١٠) الملمم: المجموع، وأراد الذى جمع فيه القتلى.

معانا بروح القدس ينكى عدوه ... رسولا من الرحمن حقا بمعلم[1]

رسولا من الرحمن يتلو كتابه ... فلما أنار الحق لم يتلعثم[2]

أرى أمره يزداد فى كل موطن ... علواً لأمر حمه الله محكم[3]

قال ابن هشام: عمرو بن بهثة، من غطفان وقوله« بالحسى المزنم»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال على بن أبى طالب: يذكر إجلاء بنى النضير، وقتل كعب ابن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين غير على بن أبى طالب، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى:

عرفت ومن يعتدل يعرف ... وأيقنت حقا ولم أصدف[4]

عن الكلم المحكم الآى من ... لدى الله ذى الرأفة الأرأف

رسائل تدرس فى المؤمنين ... بهن اصطفى أحمد المصطفى

فأصبح أحمد فينا عزيزاً ... عزيز المقامة والموقف[5]

فيأيها الموعدوه سفاها ... ولم يأت جوراً ولم يعنف[6]

ألستم تخافون أدنى العذاب ... وما آمنُ الله كالأخوف

وأن تصرعوا تحت أسيافه ... كمصرع كعب أبى الأشرف

غداة رأى اللهُ طغيانه ... وأعرض كالجمل الأجنف[7]

فأنزل جبريل فى قتله ... بوحى إلى عبده ملطف

فدس الرسول رسولا له ... بأبيض ذى هبة مرهف[8]

فباتت عيون له معولات ... متى يُنع كعب لها تذرف[9]

وقلن لأحمد ذرنا قليلا ... فإنا من النوح لم نشتف

---

(١) روح القدس: جبريل عليه السلام. وينكى عدوه: يبالغ فى ضرره. والمعلم: الموضع المرتفع المشرف.

(٢) لم يتلعثم: لم يتردد ولم يتأخر.

(٣) حمه الله: قدره وهيأ أسبابه.

(٤) لم أصدف: لم أعرض.

(٥) المقامة: موضع الإقامة. والموقف: مكان الوقوف.

(٦) الموعدوه: الذين يتوعدونه ويتهددونه. والسفاه: الضلال. ولم يعنف: لم يأت بالعنف..

(٧) الأجنف: المائل إلى جهة.

(٨) بأبيض: أراد به سيفاً. والهبة: الاهتزاز. والمرهف: المحدد القاطع.

(٩) معولات: باكيات مع ارتفاع صوت. وينع: يذكر خبر موته. وتذرف: تسيل الدموع.

فخلاهم ثم قال اظعنوا ... دحورا على رغم الآنُف[١]

وأجلى النضير إلى غربة ... وكانوا بدار ذوى زخرف[٢]

إلى أذرعات ردافى وهم ... على كل ذى دبر أعجف[٣]

فأجابه سماك اليهودى، فقال:

إن تفخروا فهو فخر لكم ... بمقتل كعب أبى الأشرف

غداة غدوتم على حتفه ... ولم يأت غدراً ولم يُخلف

فعلَّ الليالى وصرف الدهور ... يدين من العادل المنصف[٤]

بقتل النضير وأحلافها ... وعقر النخيل ولم تُقطف[٥]

فإن لا أمت نأتكم بالقنا ... وكل حسام معا مرهف[٦]

بكف كمى به يحتمى ... متى يلق قرنا له يتلف[٧]

مع القوم صخر وأشياعه ... إذا غاور القوم لم يضعف[٨]

كليث بترج حمى غيله ... أخى غابة هاصر أجوف[٩]

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف:

لقد خزيت بغدرتها الحبور ... كذاك الدهر ذو صرف يدور[١٠]

وذلك أنهم كفروا برب ... عزيز أمره أمر كبير

وقد أوتوا معا فهما وعلما ... وجاءهم من الله النذير

نذير صادق أدى كتابا ... وآيات مبينة تُنير

فقالوا ما أتيت بأمر صدق ... وأنت بمنكر منا جدير[١١]

---

(١) اظعنوا: ارتحلوا. والدحور: الذل والهوان. وعلى رغم الأنف: يريد على المذلة والاستهانة بهم. والآنف: جمع آنف، وتقول: أرغم الله أنف فلان، أى أذله.

(٢) غربة: عنى بها الاغتراب.

(٣) أذرعات: موضع بالشام.

(٤) أراد بالعادل المنصف النبى ﷺ، وإنما وصفه بذلك وهو لا يعتقده تهكماً.

(٥) أحلافها: جمع حلف وأراد به الحليف. ولم تقطف: أراد لم تقطف ثمرتها.

(٦) الحسام: السيف القاطع. والمرهف: المحدد.

(٧) الكمى: الشجاع. القرن: الذى يقاوم الرجل فى القتال. ويتلف: يفسد، يريد أنه يقتل كل من يلقاه.

(٨) صخر: هو أبو سفيان بن حرب. وغادر القوم: يريد حاربهم واشترك معهم كل يغير على صاحبه، وأراد أنه شجاع لا يجبن عند القتال.

(٩) ترج: جبل بالحجاز. والغيل: أجمة الأسد. والأجوف: عظيم الجوف.

(١٠) الحبور: جمع حبر وهو العالم.

(١١) جدير: أى حقيق وخليق، تقول: هو جدير بكذا، إذا كان خليقاً به مستحقاً له.

فقال بلى لقد أديت حقا ... يصدقنى به الفهم الخبير

فمن يتبعه يُهد لكل رشد ... ومن يكفر به يجز الكفور

فلما أشربوا غدرا وكفراً ... وحاد بهم عن الحق النفور[1]

أرى اللهُ النبى برأى صدق ... وكان الله يحكم لا يجور

فأيده وسلطه عليهم ... وكان نصيره نعم النصير

فغودر منهم كعب صريعا ... فذلت بعد مصرعه النضير

على الكفين ثم وقد علته ... بأيدينا مشهرة ذكور[2]

بأمر محمد إذ دس ليلا ... إلى كعب أخا كعب يسير

فما كره فأنزله بمكر ... ومحمود أخو ثقة جسور

فتلك بنو النضير بدار سوء ... أبارهم بما اجترموا المبير[3]

غداة أتاهم فى الزحف رهوا ... رسول الله وهو بهم بصير[4]

وغسان الحماة موازروه ... على الأعداء وهو لهم وزير[5]

فقال السِّلم ويحكم فصدوا ... وحالف أمرهم كذب وزور[6]

فذاقوا غب أمرهم وبالا ... لكل ثلاثة منهم بعير[7]

وأجلوا عامدين لقينقاع ... وغودر منهم نخل ودور[8]

فأجابه سماك اليهودى، فقال:

أرقت وضافنى هم كبير ... بليل غيرُه ليل قصير[9]

أرى الأحبار تنكره جميعا ... وكلهم له علم خبير

وكانوا الدارسين لكل علم ... به التوراة تنطق والزبور

قلتم سيد الأحبار كعبا ... وقدما كان يأمن من يجير

تدلى نحو محمود أخيه ... ومحمودٌ سريرته الفجور

---

(١) حاد بهم: أى مال بهم وجعلهم يعدلون عن الحق.

(٢) مشهرة ذكور: أراد بها السيوف المشهورة التى شهرها أصحابها.

(٣) أبارهم: أهلكهم. واجترموا: اكتسبوا. والمبير: المهلك.

(٤) الزحف: أراد به الجيش الزاحف عليهم. ورهواً: بفتح الراء المشى فى سكون ومهل. وبصير: أى عليم خبير.

(٥) الحماة: جمع حام. ووزير: بمعنى الملجأ والمعين.

(٦) السلم: الصلح. وويحكم: دعاء عليهم. وحالف: صاحب، يريد أن الكذب والزور كانا مصاحبين لهم فلم يعرفوا الرشد فى أمرهم.

(٧) غب أمرهم: عاقبة أمرهم. والوبال: النكال.

(٨) عامدين: قاصدين. وقينقاع: قبيلة من اليهود. وغودر: ترك.

(٩) أرقت: سهرت وامتنعت من النوم. وضافنى: نزل بى وزارنى.

فغادره كأن دما نجيعا ... يسيل على مدارعه عبير[١]

فقد وأبيكم وأبي جميعا ... أصيبت إذ أصيب به النضير

فإن نسلم لكم نترك رجالا ... بكعب حولهم طير تدور[٢]

كأنهم عتائر يوم عيد ... تذبح وهي ليس لها نكير[٣]

ببيض لا تليق لهن عظما ... صوافي الحد أكثرها ذكور[٤]

كما لاقيتمُ من بأس صخر ... بأُحد حيث ليس لكم نصير[٥]

وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير:

لو أن أهل الدار لم يتصدعوا ... رأيت خلال الدار ملهى وملعبا[٦]

فإنك عمري هل أريك ظعائنا ... سلكن على ركن الشطاة فتيأبا[٧]

عليهن عين من ظباء تبالة ... أوانس يصبين الحليم المجربا[٨]

إذا جاء باغي الخير قلن فجاءة ... له يرجوه كالدنانير مرحبا

وأهلا فلا ممنوع خير طلبته ... ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنبا[٩]

فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم ... سلام ولا مولى حيي بن أخطبا[١٠]

فأجابه خوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف فقال:

تبكي على قتلى يهود وقد ترى ... من الشجو لو تبكي أحب وأقربا[١١]

فهلاً على قتلى ببطن أرينق ... بكيت ولم تعول من الشجو مسهبا[١٢]

إذا السلم دارت في صديق رددتها ... وفي الدين صداداًوفي الحرب ثعلبا[١٣]

عمدت إلى قدر لقومك تبتغي ... لهم شبها كيما تعز وتغلبا

فإنك لما أن كلفت تمدحا ... لمن كان عيبا مدحه وتكذبا

رحلت بأمر كنت أهلا لمثله ... ولم تلف فيهم قائلا لك مرحبا

---

(١) الدم النجيع: الطرى. والمدارع: ملابس من صوف. والعبير: طيب الزعفران.

(٢) حولهم طير تدور، هذه كناية عن قتلهم؛ وذلك لأن الطير تحوم حول القتلى.

(٣) عتائر: جمع عتيرة وهى الذبيحة. (٤) لا تليق: لا تبقى.

(٥) صخر: هو أبو سفيان بن حرب.

(٦) لم يتصدعوا: لم يتفرقوا. وخلال الدار: بين أجزائها. وملهى وملعبا. أراد مكان لهو ولعب.

(٧) الظعائن: النساء فى الهوادج. والشطاة وتيأب: موضعان.

(٨) العين: جمع عيناء وهى الواسعة العين. وتبالة: اسم موضع. ويصبين: يدعون إلى الصبوة وترك التعقل. والمجرب: الذى قد جرب الأمور وعرك الدهر.

(٩) تؤنب: تلام. (١٠) المولى هنا: الحليف والصاحب. (١١) الشجو: الحزن والأسى.

(١٢) أرينق: اسم موضع. ولم تعول: أى لم ترفع صوتك بالبكاء والمسهب: المتغير الوجه.

(١٣) السلم: الصلح. والصداد: صيغة مبالغة من الصد، وهو الذى يمنع الناس عن الدين الحق، وأراد من قوله: وفى الحرب ثعلباً أنه كثير الروغان لاثبات له فيها.

فهلا إلى قــــوم ملـوك مدحتهم تبنوا من العـــز المؤثــل منصبا(١)
إلى معـشر صاروا ملوكا وكُرموا ولم يلف فيهم طالب العرف مجدبا(٢)
أولئك أحرى من يهــود بمدحة تراهم وفيهم عــزة المجـد تُرتبا(٣)

فأجابه عباس بن مرداس السلمى، فقال:

هجوت صريح الكاهنين وفيكم لهم نعم كانت من الدهر ترتبا(٤)
أولئك أحرى لو بكيت عليهم وقومك لو أدوا من الحق موجبا
من الشكر إن الشكر خير مغبة وأوفق فعلا للذى كان أصوبا(٥)
فكنت كمن أمسى يقطع رأسه ليبلغ عزا كان فيه مركبا
فبك نبى هارون واذكر فعالهم وقلهم للجوع إذ كنت مجدبا(٦)
أخوات أذر الدمع بالدمع وأبكهم وأعرض عن المكروه منهم ونكبا(٧)
فإنك لولاقيتهم فى ديارهم لألفيت عما قد تقول مُنكبا
سراع إلى العليا كرام لدى الوغى يقال لباغى الخير أهلا ومرحبا

فأجابه كعب بن مالك، أو عبد الله بن رواحة فيما قال ابن هشام، فقال:

لعمرى لقد حكت رحى الحرب بعدما أطارت لؤيا قبل شـرقا ومـغربا
بقيــة آل الكــاهنين وعـــزها فعاد ذليــلا بعـد ما كـــان أغـلبا(٨)
فطاح ســلام وابن سعية عنوة وقيــد ذليلا للمنايا ابن أخطبا(٩)
وأجلب يبغى العز والذل يبتغى خلاف يديه ماجنى حين أجلبا(١٠)
كتارك سهل الأرض والحزن همة وقد كان ذا فى الباس أكدى وأصعبا(١١)
وشأس وعـزال وقــــد صليا بها وما غُيبا عـــن ذاك فيمـن تغيبا

---

(١) المؤثل: القديم. والمنصب: المنزلة من الشرف والحسب.
(٢) المجدب: اسم فاعل من أجدب، إذا صار ذا جدب وقحط وقلة خير.
(٣) ترتب: ثابت والتاء الأولى زائدة.
(٤) الصريخ: الخالص النسب. والكاهنين: قبيلان من يهود المدينة وهما يزعمان أنهما من ولد هارون عليه السلام.
(٥) مغبة الشيء: عاقبته. وإن الشكر خير مغبة: أى أنه خير فيما يستقبل بعد، يريد أن عواقبه خير العواقب.
(٦) بكٍّ - بتشديد الكاف - مثل أبك. وبنى هارون: هما الكاهنان اللذان ذكرهما فى أول كلمته. والمجدب: الذى أصابه الجدب والقحط، يريد أنهم كانوا كرماء.
(٧) أذر الدمع: اسكبه واسترخصه على هؤلاء. ونكبا: فعل أمر ومعنى نكب: عرج عنهم ولا تقدم عليهم ولا تقرب منهم.
(٨) آل الكاهنين: قد مضى تفسير ذلك فى قصيدة العباس بن مرداس. وعاد: صار. والأغلب: الشديد.
(٩) طاح: هلك وذهب. وعنوة: معناه القهر والذلة. وقيد: مبنى للمجهول من قاد.
(١٠) أجلب: معناه جمع وصاح.
(١١) سهل الأرض: ما انبسط منها. وحزن الأرض: ما علا وارتفع منها والأكدى: الذى لم يبلغ حاجته.

وعوف بن سلمى وابن عوف كلاهما ... وكعب رئيس القوم حـــان وخيبا[١]
فبعـــدا وســـــحقا للنضير ومثلها ... إن اعقب فتح أو إن الله أعقبا[٢]

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدنى: ثم غزا رسول الله ﷺ بعد بنى النضير بنى المصطلق.

وسأذكر حديثهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه.

*****

غزوة ذات الرقاع
فى سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى، ثم غزا نجداً، يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى؛ ويقال: عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتى نزل نخلا[٣]، وهى غزوة ذات الرقاع.

قال ابن هشام: وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع، لأنهم رقعوا فيها راياتهم، ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع[٤].

قال ابن إسحاق: فلقى بها عظيما من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس.

صلاة الخوف: قال ابن هشام: حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى ـ وكان يكنى: أبا عبيدة ـ قال: حدثنا يونس بن عبيد، عن الحسن بن أبى الحسن، عن جابر ابن عبد الله فى صلاة الخوف، قال: صلى رسول الله بطائفة ثم سلم، وطائفة مقبلون

(١) حان: هلك. وخيبا: خيب الله سعيه. (٢) إن الله أعقبا، يريد إن جاء الله تعالى بالفتح.
(٣) نخل: موضع بنجد
(٤) وسبب تسميتها بهذا الاسم ما رواه البخارى (٧/ ٤١٧ فتح) عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: «خرجنا مع النبى ﷺ فى غزاة، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقب قدماى وسقطت أظفارى فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، فحدّث أبو موسى بهذا ثم كره ذلك، فقال: ما كنت أصنع بأن أذكره كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه».

على العدو قال: فجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين، ثم سلم.[١]

قال ابن هشام: وحدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا أيوب، عن أبى الزبير، عن جابر قال: صفنا رسول الله ﷺ صفين، فركع بنا جميعا، ثم سجد رسول الله ﷺ، وسجد الصف الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ثم تأخر الصف الأول، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبى ﷺ بهم جميعا، ثم سجد النبى ﷺ وسجد الذين يلونه معه؛ فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون بأنفسهم. فركع النبى ﷺ بهم جميعا، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين.[٢]

قال ابن هشام: حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى، قال: حدثنا أيوب عن نافع، عن ابن عمر، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلى عدوهم، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم، ثم يتأخرون فيكونون مما يلى العدو، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة، ويسجد بهم، ثم تصلى كل طائفة بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة.[٣]

قال ابن إسحاق: وحدثنى عمرو بن عبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله: أن رجلا من بنى محارب، يقال له: غورث، قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيف رسول الله ﷺ فى حجره، فقال: يامحمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم - وكان محلى بفضة، فيما قال ابن هشام - قال: فأخذه فاستله، ثم جعل يهزه، ويهم فيكبته الله؟؛ ثم قال: يامحمد، أما تخافنى؟ قال: لا، وما أخاف منك؟ قال: أما تخافى وفى يدى السيف؟ قال: لا، يمنعنى الله منك، ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ، فرده عليه. قال: فأنزل الله: **﴿ يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم، فكف أيديهم عنكم، واتقوا الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾**»[٤].

---

(١) إسناده حسن. ورواه مسلم فى «صلاة الخوف» عن جابر رضى الله عنه قال: أقبلنا على رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع.... ثم نودي بالصلاة، فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان» ورواه البخارى فى كتاب المغازى «فى غزوة ذات الرقاع» ولم يصل سنده به.

(٢) إسناده حسن. (٣) إسناده صحيح.

(٤) اسناده ضعيف. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٢/ ٥٥٨)من طريق ابن إسحاق. قلت: وروى البخارى (٧/ ٤٢٦)=

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان: أنها إنما أنزلت فى عمرو بن جحاش، أخى بنى النضير وماهمّ به، فالله أعلم أى ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وحدثنى وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جمل لى ضعيف؛ فلما قفل[1] رسول الله ﷺ، قال جعلت الرفاق تمضى، وجعلت أتخلف، حتى أدركنى رسول الله ﷺ، فقال. مالك ياجابر؟ قال: قلت: يارسول الله، أبطأ بى جملى هذا قال أنخه قال: فأنخته؛ وأناخ رسول الله ﷺ، ثم قال: أعطنى هذه العصا من يدك، أو قطع لى عصا من شجرة، قال: ففعلت. قال: فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات، ثم قال: اركب، فركبت، فخرج، والذى بعثه بالحق، يواهق[2] ناقته مواهقة.

قال: وتحدثت مع رسول الله، فقال لى: أتبيعنى جملك هذا ياجابر؟ قال: قلت: يارسول الله، بل أهبه لك، قال: لا، ولكن بعنيه، قال: قلت: فسمنيه يارسول الله، قال: قد أخذته بدرهم؛ قال: قلت: لا، إذن، تغبنى يارسول الله! قال: فبدرهمين؛ قال: قلت: لا، قال: فلم يزل يرفع لى رسول الله ﷺ فى ثمنه حتى بلغ الأوقية قال: فقلت أفقد رضيت يارسول الله؟ قال؟ نعم؛ قلت: فهو لك؛ قال: قد أخذته قال: ثم قال: ياجابر، هل تزوجت بعد؟ قال: قلت: نعم يارسول الله، قال: أثيبا أم بكراً؟ قال: قلت: لا، بل ثيبًا، قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك! قال. قلت: يارسول الله، إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رءوسهن، وتقوم عليهن؛ قال أصبت إن شاء الله، أما إنا لو قد جئنا

= عن جابر «أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس فى العضاة يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرة معلق بها سيفه، قال جابر: فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه، فإذا عنده أعرابى جالس، فقالَ رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وفى يده صلتاً، فقال لى: من يمنعك منى؟ قلت الله فها هو ذا جالس. ثم يعاقبه رسول الله ﷺ.
وروى البخارى تعليقاً (٧/٤٢٦) عن جابر قال: «كنا مع النبى ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبى ﷺ فجاء رجل من المشركين، وسيف النبى ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه فقال له: تخافنى؟ فقال له: لا. قال: فمن يمنعك منى؟ قال: الله. فتهدده أصحاب النبى ﷺ وأقيمت الصلاة فصلى ركعتين، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين فكان النبى ﷺ أربع وللقوم ركعتان». وقال مسدد عن أبى عوانة عن أبى بشر «اسم الرجل غورث بن الحارث» وقال الحافظ ابن حجر: هذه الرواية وصلها مسلم عن أبى بكر ابن أبى شيبة عن عفان عنه بتمامه.

(١) قفل: رجع. (٢) المواهقة: المسابقة فى المشى والسرعة.

صرارًا[1] أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا، فنفضت نمارقها[2] قال: قلت: والله يارسول الله مالنا من نمارق؛ قال: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا. قال: فلما جئنا صرارا أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم؛ فلما مسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا؛ قال: فحدثت المرأة الحديث، وماقال لى رسول الله ﷺ؛ قالت: فدونك، فسمع وطاعة - قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ؛ قال: ثم جلست فى المسجد قريبا منه؛ قال: وخرج رسول الله ﷺ؛ فرأى الجمل؛ فقال: ماهذا؛ قالوا: يارسول الله هذا جمل جاء به جابر، ؛ قال: فأين جابر؟ قال: فدعيت له؛ قال: فقال: يابن أخى خذ برأس جملك، فهو لك، ودعا بلالا، فقال له: اذهب بجابر، فأعطه أوقية. قال: فذهبت معه فأعطانى أوقيه، وزادنى شيئاً يسيرا قال: فوالله مازال ينمى عندى، ويُرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا يعنى يوم الحرة.[3]

قال ابن إسحاق: وحدثنى عمى[4] صدقة بن يسار، عن عقيل بن جابر، عن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين؛ فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلا، أتى زوجها وكان غائبا، فلما أخبر الخبر حلف لاينتهى حتى يهريق فى أصحاب محمد ﷺ، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلا، فقال: من رجل يكلؤنا[5] ليلنا هذه؟ قال: فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يارسول الله، قال: فكونا بفم الشعب قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادى، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب، قال الأنصارى للمهاجرى أى الليل تحب أن أكفيكه: أوله أم آخره؟ قال: بل اكفنى أوله، قال: فاضطجع

(١) حرار: اسم موضع. (٢) النمارق: جمع نمرقة وهى الوسادة الصغيرة.
(٣) إسناده صحيح.
(٤) ليس عمه وإنما هو لقب لقبه به احتراماً له، وصدقة بن يسار وهو الجزرى، ثقة كما فى التقريب (١/ ٣٦٦).
(٥) يكلؤنا: يحرسنا.

المهاجرى فنام، وقام الأنصارى يصلى، قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم[1]. قال: فرمى بسهم، فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائما، قال: ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه. قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت[2]، قال: فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به، فهرب قال: ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهببتنى أول مارماك؟ قال: كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع على الرمى ركعت فأذنتك، وايم الله، لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفدها.[3]

قال ابن هشام: ويقال: أنفذها.

قال ابن إسحاق: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا.

****

غزوة بدر الآخرة

فى شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج فى شعبان إلى بدر، لميعاد أبى سفيان، حتى نزله.

قال ابن هشام واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الأنصارى.

قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبوسفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة، من ناحية الظهران، وبعض الناس يقول: قد بلغ عسفان، ثم بداله فى الرجوع، فقال: يامعشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإنى راجع، فارجعوا، فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق.

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مخشى بن عمرو

(١) الربيئة: الطليعة الذى يحرس للقوم. (٢) أثبت: جرحت جراحة بالغة
(٣) إسناده ضعيف، ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٥٥٨) من طريق ابن إسحاق.

الضمرى، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان، فقال: يامحمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم، يا أخا بنى ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ماكان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك، قال: لا والله يامحمد، ما لنا بذلك منك من حاجة.

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان فمر به معبد بن أبى معبد الخزاعى، فقال، وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوى به.[١]

قــد نفرت مــن رفقتــى محمد ... وعجوة مــن يثـرب كالعنـجـد[٢]
تهوى علــى دين أبيهـا الأتلـد ... قد جعلت مـاء قـديد موعـدى[٣]
وماء ضبحنان لهـا ضـحــى الغــد[٤]

وقال عبد الله بن رواحة فى ذلك ـ قال ابن هشام؛ أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك:

وعدنا أبا سفيان بــدراً فلم نجد ... لميعاده صـدقا ومــا كــان وافيا
فأقســم لـــو وافيتنـا فلـقيتنا ... لأبـت ذميما وافتقدت المـــواليا[٥]
تركنا به أوصال عتبة وابنه ... وعمــراً أبـا جـهل تركناه ثاويا[٦]
عصيتم رســول الله أف لدينكـم ... وأمركم السيىء الـذى كان غاويا[٧]
فإنى وإن عنفتمونـــى لقائل ... فدى لرســول الله أهلــى وماليا[٨]
أطعناه لـــم نعدلـــه فينا بغيره ... شهابا لنا فــى ظلمة الليل هاديا[٩]

وقال حسان بن ثابت فى ذلك:

دعوا فلجات الشأم قد حـال دونها ... جــلاد كأفواه المخـاض الأوارك[١٠]
بأيدى رجـال هاجـروا نحو ربهم ... وأنصاره حـــقا وأيـدى المـلائك

---

(١) تهوى به: أى تسرع به.
(٢) العجوة: ضرب من التمر. ويثرب: مدينة الرسول ﷺ. والعنجد: حب الزبيب، والمراد تشبيه العجوة بالزبيب فى اللون.
(٣) تهوى: تسرع. ودين أبيه: عادته ودأبه. والأتلد: القديم. وقديد: اسم موضع.
(٤) ضجنان: مكان قريب من مكة.
(٥) افتقدت: فقدت. والموالى: جمع مولى، وله معان كثيرة، منها ابن العم، ومنها الناصر والمعين، وكلا هذين يصلح ههنا.
(٦) الثاوى: المقيم.
(٧) أف: كلمة تقال عند استقباح الشىء أو عند تعذره.
(٨) عنفتمونى: لمتمونى.
(٩) لم نعدله: يريد لم نعدل به، أى لم نجعله مع غيره سواء.
(١٠) الفلجات: الأودية. والمخاض: النوق الحوامل. والأوراك: جمع آركة وهى التى رعت الأراك.

إذا سلكت للغور من بطن عالج — فقولا لها ليس الطريق هنالك[1]

أقمنا على الرس النزوع ثمانيا — بأرعن جرار عريض المبارك[2]

بكل كميت جوزه نصف خلقه — وقب طوال مشرفات الحوارك[3]

ترى العرفج العامى تذرى أصوله — مناسم أخفاف المطى الرواتك[4]

فإن نلق فى تطوافنا والتماسنا — فرات بن حيان يكن وَهْنَ هالك[5]

وإن تلق قيس بن امرىء القيس بعده — يُزد فى سواد لونه لون حالك[6]

فأبلغ أبا سفيان عنى رسالة — فإنك من غر الرجال الصعالك[7]

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال:

أحسان إنا يابن آكلة الفغا — وجدك نغتال الخروق كذلك[8]

خرجنا وماتنجو اليعافير بيننا — ولو وألت منا بشد مُدارك[9]

إذا ما انبعثنا من مناخ حسبته — مد من أهل الموسم المتعارك[10]

أقمت على الرس النزوع تريدنا — وتتركنا فى النخل عند المدارك[11]

على الزرع تمشى خيلنا وركابنا — فما وطئت ألصقنه بالدكادك[12]

أقمنا ثلاثا بين سلع وفارع — بجرد الجياد والمطى الرواتك[13]

---

(١) الغور: المنخفض من الأرض. وعالج: اسم مكان فيه رمل كثير.

(٢) الرس: البئر. والنزوع: سهلة الماء. والأرعن: المضطرب وأراد به جيشاً، وسماه أرعن لكثرته، وقيل: إنما قيل للجيش أرعن على تشبيه برعن الجبل، ورعن الجبل: الأنف العظيم منه الذى تراه متقدماً. والجرار: الذى له أتباع كثيرة. عريض المبارك: أراد به أيضاً وصفه بالكثرة، يريد أنه يأخذ لمبركه مساحة عظيمة.

(٣) الكميت: الفرس لونها بين الأحمر والأسود ويطلق على المذكر والمؤنث، وأراد به هنا البعران وإنما قلنا ذلك لعطفه عليه الخيل بعد ذلك. وجوزه: أراد بطنه. وخلقه: أراد به جسمه، يقول إن بطن الجمل نصف جسمه كله. والقب: جمع أقب وهو الضامر. ومشرفات: مرتفعات. والحوارك: جمع حارك وهو أعلى الكتفين من الفرس.

(٤) العرفج: نبات. والعامى: الذى مضى عليه عام. وتذرى أصوله: أى تقلعها وتطرحها. والمناسم: جمع منسم وهو طرف خف البعير. والرواتك: جمع راتكة وهى المسرعة.

(٥) يكن وهن هالك: الوهن الضعيف، أراد أنه يهلك ضعفاً وجبناً ولا يقدر على التعرض لهم.

(٦) قيس بن امرىء القيس: هو العجلى الذى كان يجير عير قريش.

(٧) الغر: جمع أغر وهو الأبيض. والصعالك: جمع صعلوك وهو الفقير الذى لا مال له.

(٨) الفغا: نوع من التمر. ونغتال: نقطع. والخروق: الصحراوات الواسعة.

(٩) اليعافير: أولاد الضباء. ووألت: اعتصمت ولجأت. والشد: الجرى. والمدارك: الجرى المتتابع، يريد أنهم ملؤوا السهل والجبل لكثرتهم فليس هناك مكان تهرب إليه اليعافير.

(١٠) المدمن: ما تركه الراكب وتركوا فيه آثارهم. والموسم: المكان الذى تجتمع فيه العرب. والمتعارك: الذى يزدحم فيه الناس.

(١١) الرس النزوع: البئر السهلة الماء. والمحارك: الأماكن القريبة.

(١٢) الدكادك: جمع دكداك وهو الرمل اللين. (١٣) سلع و فارع: جبلان. والرواتك: المسرعة.

حسبتم جـلاد القوم عند قبابهم ... كمأخـذكم بالعـين أرطال آنك[1]
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها ... على نحو قول المعصم المتماسك[2]
سعدتم بها وغيركم كان أهلها ... فوارس مـن أبناء فهر بن مالك
فإنك لا فى هجرة إن ذكرتها ... ولا حرمات الدين أنت بناسك[3]

قال ابن هشام؛ بقيت منها أبيات تركناها، لقبح اختلاف قوافيها. وأنشدنى أبو زيد الأنصارى هذا البيت:

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

والبيت الذى بعده لحسان بن ثابت فى قوله:

دعوا فلجات الشأم قد حال دونها

وأنشدنى له فيها بيته« فأبلغ أبا سفيان».

غزوة دومة الجندل[4]

فى شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام من مقدم رسول الله ﷺ بها أشهرا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل

قال ابن هشام: فى شهر ربيع الأول، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقية سنته.

غزوة الخندق

فى شوال سنة خمس

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد بن إسحاق المطلبى، قال: ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس.

اليهود تحزب الأحزاب: فحدثنى يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن

---

(١) جلاد القوم: مجالدتهم إياكم. والعين: الدر. والآنك: القزدير. (٢) المعصم: المستمسك بالشىء.

(٣) الناسك: المتبع لمعالم الدين وشرائعه.

(٤) دومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشر ليلة، وسميت بدُومى بن إسماعيل عليه السلام لأنه نزلها«الروض الأنف»(٣/ ٢٧٦).

الزبير، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القرظى، والزهرى، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبى بكر، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدث ما لايحدث به بعض قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود، منهم: سلام بن أبى الحقيق النضرى، وحيى بن أحطب النضرى، وكنانة بن أبى الحقيق النضرى، وهوذة بن قيس الوائلى، وأبو عمار الوائلى، فى نفر من بنى النضير، ونفر من بنى وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله - فقالت لهم قريش: يامعشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بماأصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا، أولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾: أى النبوة، ﴿**فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما، فمنهم من آمن به، ومنهم من صد عنه، وكفى بجهنم سعيرا**﴾[1].

قال: فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه، من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتحدوا له. ثم خرج أولئك النفر من يهود، جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريش قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

خروج الأحزاب: قال ابن إسحاق: فخرجت قريش، وقائدها أبو سفيان ابن حرب: وخرجت غطفان، وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، فى بنى فزارة؛ والحارث بن عوف بن حارثة المرى، فى بنى مرة؛ ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع.

حفر الخندق: فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيبا للمسلمين فى الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين فى

(١) النساء: ٥١-٥٥.

عملهم ذلك رجالا من المنافقين وجعلوا يورون[1] بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ، ولا إذن. وجعل الرجل من المسلمين إذ نابته النائبة، من الحاجة التى لابد له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه فى اللحوق بحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ماكان فيه من عمله، رغبة فى الخير، واحتسابا له.

مانزل من القرآن فى حق العاملين فى الخندق: فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين: **﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم، واستغفر لهم الله، إن الله غفور رحيم﴾**[2] فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة فى الخير، والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

ثم قال تعالى، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبى ﷺ: **﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة، أو يصيبهم عذاب أليم﴾**[3].

قال ابن هشام: اللواذ: الاستتار بالشىء عند الهرب، قال حسان بن ثابت:

وقــــريش تفــــر منا لـــــواذاً ... أن يقيموا وخــفت منها الحـــلوم

وهذا البيت فى قصيدة له، قد ذكرتها فى أشعار يوم أحد.

﴿ألا إن لله مافى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾.

قال ابن إسحاق؛ من صدق أو كذب.

﴿ويوم يرجعون إليه فينبئهم بماعملوا، والله بكل شىء عليم﴾[4].

المسلمون يرتجزون وهم يعملون: قال ابن إسحاق: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له جُعيل، سماه رسول الله ﷺ: عمراً، فقالوا:

ســماه من بعــد جــعيل عــمرا ... وكــان للبائــس يومــا ظهــرا[5]

(١) يورون: يستترون. (٢) النور: ٦٢. (٣) النور: ٦٣.
(٤) النور: ٦٤. (٥) البائس: الفقير. والظهر: القوة والمعونة.

فإذا مروا بـ«عمرا» قال رسول الله ﷺ: عمراً، وإذا مروا ؛بـ «ظهراً» قال رسول الله ﷺ: ظهرا.

معجزات ظهرت فى حفر الخندق: قال ابن إسحاق: وكان فى حفر الخندق[1] أحاديث بلغتنى، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله ﷺ، وتحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون.

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبدالله كان يحدث: أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية[2] فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء، فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية؛ فيقول من حضرها: فوالذى بعثه بالحق نبيا، لانهالت[3] حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة.[4]

قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن مينا أنه حدث: أن ابنة لبشير بن سعد، أخت النعمان بن بشير، ، قالت: دعتنى أمى عمرة بنت رواحة، فأعطتنى حفنة[5] من تمر فى ثوبى، ثم قالت: أى بنية، اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما، قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبى وخالى؛ فقال: تعالى يابنية، ماهذا معك؟ قالت: فقلت : يارسول الله، هذا تمر، بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد، وخالى عبد الله بن رواحة يتغديانه؛ قال: هاتيه؛ قالت: فصببته فى كفى رسول الله ﷺ، فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ فى أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء فاجتمع الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن مينا، عن جابر بن عبد الله، قال: عملنا مع رسول الله ﷺ فى الخندق، فكانت عندى شويهة، غير جد سمينة. قال فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ؛ قال: فأمرت امرأتى، فطحنت لنا شيئا من شعير، فصنعت لنا منه خبزاً، وذبحت تلك الشاة، فشويناها لرسول الله ﷺ قال: فلما

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «فأما تسميتها بالخندق فلأجل الخندق الذى حفر حول المدينة بأمر النبى ﷺ، وكان الذى أشار بذلك سلمان، فيما ذكر أصحاب المغازى، منهم أبو معشر قال: قال سلمان للنبى ﷺ: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر النبى ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه «فتح ٧/ ٣٩٢» .

(٢) الكدية: الصخرة العظيمة. (٣) انهالت: تفتتت وسقطت. والكثيب: ما تكرس من الرمل.

(٤) رواه البخارى بنحوه (٧/ ٣٩٥) كتاب المغازى، باب: غزوة الخندق.

(٥) الحفنة: مقدار ملء الكف.

أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق ـ قال: وكنا نعمل فيه نهارنا، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ـ قال: قلت: يارسول الله، إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير، فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى، وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله ﷺ وحده. قال: فلما أن قلت له ذلك؛ قال: نعم، ثم أمر صارخا فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله؛ قال: قلت إنا لله وإنا إليه راجعون! قال: فأقبل رسول الله ﷺ، وأقبل الناس معه؛ قال فجلس وأخرجناها إليه. قال: فبرك وسمى الله، ثم أكل، وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس، حتى صدر أهل الخندق عنها.[1]

قال ابن إسحاق: وحُدثت عن سلمان الفارسى، أنه قال: ضربت فى ناحية من الخندق، فغلظت على صخرة؛ ورسول الله ﷺ قريب منى؛ فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىّ، نزل فأخذ المعول من يدى، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة؛ قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى قال: قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله! ماهذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أوقد رأيت ذلك ياسلمان؟ قال: قلت نعم؛ قال: أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن؛ وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب؛ وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق.

قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول ـ حين فتحت هذه الأمصار، فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده ـ افتتحوا مابدا لكم، فوالذى نفس أبى هريرة بيده، مافتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك.

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجرف وزغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نقمى، إلى جانب أحد. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[2]، فى ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم.

قال: ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

(١) إسناده صحيح. وروى البخارى نحوه (٧/ ٣٩٥، ٣٩٦).

(٢) سلع: جبل بالمدينة.

قال ابن إسحاق: وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام[1].

حيى بن أخطب يحرض كعب بن أسد: قال وخرج عدو الله حُيى بن أخطب النضرى، حتى أتى كعب بن أسد القرظى، صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده؛ فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حيى: ويحك ياكعب افتح لى: قال: ويحك ياحيى، إنك امرؤ مشئوم، وإنى قد عاهدت محمداً، فلست بناقض مابينى وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدق؛ قال ويحك افتح لى أكلمك: قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت الحصن دونى إلا تخوفت عن جشيشتك[2] أن آكل معك منها؛ فأحفظ[3] الرجل، ففتح له؛ فقال: ويحك ياكعب، جئتك بعز الدهر وببحر طام[4]، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد، قد عاهدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. قال: فقال له كعب: جئتنى والله بذل الدهر، وبجهام[5] قد هراق ماءه، فهو يرعد ويبرق، ليس فيه شىء، ويحك ياحيى: فدعنى وما أنا عليه، فإنى لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب[6]. حتى سمح له، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقا: لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمداً، أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد ابن معاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن دليم، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة، أخو بنى الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير، أخو بنى عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقا فألحنوا لى لحنا

(١) الآطام: هى الحصون. (٢) الجشيشة: طعام يصنع من البر المطحون خشناً مع اللحم والتمر.
(٣) احفظ الرجل: أغضبه وأثار حفيظته.
(٤) البحر الطامى: المرتفع الكثير الماء، وأراد تشبيه عدد القوم فى كثرته بالبحر؛ لأنه يغطى جوانبه كلها.
(٥) الجهام: السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه، وهراق: صب، يريد أنه خال من المطر.
(٦) الذروة والغارب: أعلى ظهر البعير، وإذا نفر البعير وشرد من صاحبه واستعصى عليه أخذ يمسح بيده على أعلى ظهره حتى يسكن ويطمئن إليه ويستأنس به فيجعل الخطام على رأسه، أراد أنه لم يزل يخادعه كما يخادع البعير إذا كان نافراً.

أعرفه[1]، ولا تفتوا فى أعضاد[2] الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فأجهروا به للناس. قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلا فيه حدة؛ فقال له سعد ابن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة، أى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يامعشر المسلمين.

قال وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير، أخو بنى عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

لم يكن معتب منافقا: قال ابن هشام: وأخبرنى من أثق به من أهل العلم: أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين، واحتج بأنه من أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وحتى قال أوس بن قيظى، أحد بنى حارثة بن الحارث: يارسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك عن ملأ من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة، قريبا من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيَّا[3] بالنبل والحصار.

قال ابن هشام ويقال الرمْيا.

محاولة الصلح مع غطفان: فلما اشتد على الناس البلاء، بعث رسول الله ﷺ، كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن شهاب الزهرى، إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف ابن أبى حارثة المرى، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه. فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المراوضة فى ذلك. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فذكر لهما، واستشارهما فيه؛ فقالا

(١) فالحنوا لى لحناً: أن يخالف ظاهر الكلام معناه. (٢) يقال: فت فى عضده، إذا ضعفه وأوهنه.
(٣) الرميا: أى الرمى.

له: يارسول الله، أمراً تحبه فنصنعه، أم شيئا أمرك الله به، لا بد لنا من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم[1] من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكهتم إلى أمر ما؛ فقال له سعد بن معاذ: يارسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لانعبد الله ولانعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى[2] أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصيحفة، فمحا مافيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، وعدوهم مجاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو ابن عبد ود بن أبى قيس، أخو بنى عامر بن لؤى.

ـ قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبى قيس ـ

قال ابن إسحاق: وعكرمة بن أبى جهل، وهبيرة بن أبى وهب المخزوميان. وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس، أخو بنى محارب بن فهر، تلبسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مروا بمنازل بنى كنانة، فقالوا: تهيئوا يابنى كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم ثم أقبلوا تعنق[3] بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ماكانت العرب تكيدها.

سلمان يشير إلى حفر الخندق: قال ابن هشام: يقال: إن سلمان الفارسى أشار به على رسول الله ﷺ.

وحدثنى بعض أهل العلم: أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان منا؛ وقالت الأنصار: وسلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت.[4]

---

(١) كالبوكم: اشتدوا عليكم.

(٢) إلا قرى أو بيعاً. القرى: الطعام الذى يقدم للضيف، يريد أن هؤلاء لم يكونوا ليطمعوا أن يذوقوا تمر المدينة إلا بأحد سببين: إكرامهم إذا نزلوا بنا ضيوفاً، أو شراؤهم منا، فأما أن يأكلوه عن إتاوة يجب علينا أداؤها إليهم فذلك ما لم يكن ومالا نرضي به أبداً، ولم يكن رسول الله ﷺ بأقل حماسة منه، ولكنه أراد أن يرى رأى أهل المدينة حتى يطمئن إلى رضاهم عن المجالدة والاستبسال فى الدفاع حتى آخر رمق ﷺ فما كان أحكمه !! وما كان أسد رأيه!!

(٣) تعنق: تسرع.

(٤) رواه ابن سعد فى «الطبقات(٤/ ١/ ٥٩) والحاكم(٣/ ٥٩٨) وقال الذهبى: سنده ضعيف أهـ وقال الهيثمى فى=

على يقتل ابن عمر بن عبد ود: قال ابن إسحاق: ثم تيمموا[1] مكانا ضيقا من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع، وخرج على بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلما[2] ليُرى مكانه فلما وقف هو وخيله، قال: من يبارز؟ فبرز له على بن أبى طالب. فقال له: ياعمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له، : أجل؛ قال له على: فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام؛ قال: لا حاجة لى بذلك، ؛ قال فإنى أدعوك إلى النزال؛ فقال له: لم يابن أخى؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له على: لكنى والله أحب أن أقتلك؛ فحمى عمرو[3] عند ذلك فاقتحم عن فرسه، فعفره، وضرب وجهه، ثم أقبل على علىّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله على رضى الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة.

قال ابن إسحاق: وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك:

نصر الحـجارة مـن سـفاهة رأيـه ... ونـصرت رب محـمد بصـوابى[4]
فصددت حـين تـركته متجدلا ... كالجـذع بـين دكـادك وروابى[5]
وعففت عن أثوابـه ولـو أننـى ... كنـت المقـطر بَزَّنـى أثوابـى[6]
لا تحـسبن الله خـاذل دينـه ... ونبيـه يـامعشر الأحـزاب

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلى بن أبى طالب.

هجاء حسان لعكرمة: قال ابن إسحاق: وألقى عكرمة بن أبى جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو؛ فقال حسان بن ثابت فى ذلك:

= «مجمع الزوائد» (٦/ ١٣٠) ورواه الطبرانى وفيه كثير بن عبد الله المزنى وقد ضعفه الجمهور. أهـ والحديث ضعفه الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٣٢٧٢) وقال: وقد صح موقوفاً على على رضى الله عنه.

(١) تيمموا: قصدوا. (٢) معلماً: له علامة يُعرف بها. (٣) حمى عمرو: غضب واشتد غضبه.

(٤) الحجارة: الأنصاب التى كانت تعبدها قريش، يقول: إنه جاء يحاربنا انتصاراً لما هو عليه من السفاهة وفساد الرأى، ونحن خرجنا له دفاعاً عن الحق والصواب.

(٥) متجدلا: لاصقاً واقعاً على الجدالة. والجذع: أراد به جذع النخلة. والدكادك: الرمال اللينة. والروابى: ما ارتفع وعلا من الأرض.

(٦) المقطر: الذى وقع على قطره وهو جنبه. وبزنى: سلبنى.

فـــر وألقـــى لـنـا رمـحـــه | لعـلك عكـــــرم لـــــم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم | ما إن تحـــــور عن المعدل[١]
ولـــم تلقـــى ظـهرك مستأنسا | كـــأن قفـــاك قفـا فُـــرعل

قال ابن هشام: الفرعل: صغير الضباع، وهذه الأبيات له.

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبنى قريظة: حم لا يُنصرون.

استشهاد سعد بن معاذ: قال ابن إسحاق: وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن ابن سهل الأنصارى، أخو بنى حارثة: أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة. قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب: فمر سعد وعليه درع له مقلصة[٢]، وقد خرجت منها ذراعه كلها، وفى يده حربته يرفل بها ويقول:

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل | لا بـأس بالموت إذا حـان الأجل[٣]

قال فقالت له أمه: الحق: أى ابنى، فقد والله أخرت؛ قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ[٤] مماهى؛ قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرُمى سعد بن معاذ بسهم، فقطع منه الأكحل[٥]، رماه كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، حبان بن قيس بن العرقة، أحد بنى عامر بن لؤى، فلما أصابه، قال: خذها منى وأنا ابن العرقة؛ فقال له سعد: عرق الله وجهك فى النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها، فإنه لاقوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة.[٦]

---

(١) الظليم: ولد النعام وهو مضرب المثل فى العدو. وتحور: ترجع. والمعدل: العدول، وأراد أنه لا يفكر فى الرجوع عما اعتزمه من الفرار عن الحرب، يريد أنه فرَّ على عزيمة الا يعود وإنما يكون ذلك؛ لأنه شهد من أعدائه صلابة واستبسالاً وهذا ما يريده.

(٢) مقلصة: أى قصيرة قد ارتفعت عن مكانها الذى ينب.

(٣) لبث: فعل أمر من التلبيث، وهو المكث والانتظار. وجمل: اسم رجل. والهيجا: الحرب. وحان: جاء حينه ووقته.

(٤) أسبغ: أكمل وأخفى، والدرع السابغة الكاملة التى تستر صاحبها.

(٥) الأكحل: عرق فى الذراع.

(٦) رجاله ثقات. ورواه أحمد (٦/ ١٤١) من طريق يزيد عن محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص... بنحوه أطول مما هنا. وهذا سند حسن فى الشواهد.

قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أمامة الجشمى، حليف بنى مخزوم.

وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعرا لعكرمة بن أبى جهل:

أعكرم هلاء لمتنى إذ تقول لى ... فداك بآطام المدينة خالد
ألست الذى ألزمت سعداً مُرِشة ... لها بين أثناء المرافق عاند[1]
قضى نحبه منها سُعيد فأعولت ... عليه الشمط والعذارى النواهد[2]
وأنت الذى دافعت عنه وقد دعا ... عبيدة جمعا منهم إذ يكابد
على حين ماهم جائر عن طريقه ... وآخر مرعوب عن القصد قاصد[3]

قال ابن هشام: ويقال: إن الذى رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان.

حديث حسان فى وقعة الخندق: قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع، حصن حسان بن ثابت. قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان. قالت صفية؛ فمر بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة، وقطعت مابينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون فى نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت قالت: فقلت: ياحسان، إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن، وإنى والله ما آمنه . . أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله؛ قال: يغفر الله لك يابنة عبد المطلب، والله عرفت ما أنا بصاحب هذا: قالت: فلما قال لى ذلك، ولم أر عنده شيئا، احتجزت[4] ثم أخذت عمودا[5]، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت: فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن، فقلت: ياحسان، أنزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل، قال: مالى بسلبه من حاجة يابنة عبد المطلب.[6]

---

(١) مرشه: اسم فاعل من أرشى، أى أصابته فأطارت رشاش الدم منه. والعاند: العرق الذى لا ينقطع منه الدم.
(٢) قضى نحبه: أى أجله، يريد مات. وسعيد: هو سعد بن معاذ وقد صغره ليستقيم له الوزن. وكأنه أراد تحقيره. وأعولت: بكت بأصوات مرتفعة. واشمط: جمع شمطاء، وهى المرأة التى خالط الشيب شعرها. والعذارى: جمع عذراء، وهى البكر من النساء. والنواهد: جمع ناهد، وهى التى نهد ثديها أى ارتفع وظهر.
(٣) المرعوب: الذى أصابه الرعب وهو الفزع والخوف. (٤) احتجزت: معناه شددت وسطى.
(٥) العمود ههنا: أحد أعمدة البيت التى يقام عليها.
(٦) إسناده ضعيف، للانقطاع بين عباد بن عبد الله بن الزبير وصفية بنت عبد المطلب.

خداع نعيم للمشركين: قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه، فيما وصف الله من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفد بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله، إنى قد أسلمت، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت؛ فقال رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة[1] فخرج نعيم ابن مسعود حتى أتى بنى قريظة، وكان لهم نديما فى الجاهلية، فقال: يابنى قريظة، قد عرفتم ودى إياكم، وخاصة مابينى وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم؛ فقال لهم: إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، والبلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة[2] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولاطاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه، فقالوا: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج أتى قريشا، فقال لأبى سفسان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه، نصحا لكم فاكتموا عنى، فقالوا: نفعل: قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على مافعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يامعشر غطفان، إنكم أصلى وعشيرتى، وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهمونى؛ قالوا: صدقت، ماأنت عندنا بمتهم: قال: فاكتموا

---

(١) حديث الحرب خدعة. رواه البخارى(٦/ ١٥٨) ومسلم(٤٤٥٨)وأحمد(١/ ٨١، ٩٠، ١١٣، ١٢٦، ١٣١، ١٣٤، ٢/ ٣١٢، ٣١٤، ٣/ ٢٢٤، ٢٩٧، ٣٨٠، ٦/ ٣٨٧) وأبو داود(٢٦٣٦) والترمذى(١٦٧٥) والدارمى(١٣) والنسائى فى«الكبرى» كما فى«تحفة الأشراف»(٢/ ٢٥٣).

(٢) النهزة: الفرصة.

عنى؛ قالوا: نفعل، فما أمرك؟، ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم ماحذرهم.

ما أنزل الله بالمشركين: فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل، فى نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر[1]، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا، ونفرغ مما بيننا وبينه؛ فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نفعل فيه شيئا، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا، فأصابه مالم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب[2]، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا[3] إلى بلادكم وتتركونا، والرجل فى بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، مايريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لانقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم،[4] وتطرح أبنيتهم.

استخبار ماحل بالمشركين: قال فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، ومافرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم، لينظر مافعل القوم ليلا.

قال ابن إسحاق: فحدثنى يزيد زياد، عن محمد بن كعب القرظى، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان؛ يا أبا عبدالله، أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم، يابن أخى؛ قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد؛ قال: فقال: والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا قال: فقال حذيفة: يابن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ هويا من الليل[5]، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم

---

(١) يعنى بالخف: الإبل. والحافر: الخيل. (٢) ضرَّستكم الحرب: نالت منكم. (٣) تنشمروا: ترجعوا.
(٤) تكفأ قدورهم: تقلبها وتميلها. وتطرح أبنيتهم: أراد أخبيتهم وبيوتهم. (٥) هويا من الليل: جزءاً منه.

يرجع - يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة؟ فما قام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد؛ فلما لم يقم أحد، دعانى رسول الله ﷺ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى؛ فقال ياحذيفة اذهب فادخل مع القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولاتحدثن شيئا حتى تأتينا قال: فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقو لهم قدرا ولا نارا ولا بناء. فقام أبو سفيان. فقال: يامعشر قريش: لينظر امرؤ من جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى، فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان.

أبو سفيان ينادى بالرحيل: ثم قال أبو سفيان: يامعشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف[1]، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدة الريح ماترون، ماتطمئن لنا قدر، ولاتقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإنى مرتحل؛ ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلى «أن لا تحدث شيئا حتى تأتينى»، ثم شئت، لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى فى مرط[2] لبعض نسائه، مراجل.

قال ابن هشام: المراجل: ضرب من وشى اليمن.

فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه، وطرح على طرف المرط، ثم ركع وسجد، وإنى لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

الرجوع من الخندق: قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمين، ووضعوا السلاح.

******

غزوة بنى قريظة فى سنة خمس

جبريل يأتى بحرب بنى قريظة: فلما كانت الظهر، أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدثنى الزهرى، معتجرا[3] بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحالة، عليها

(١) الكراع: الخيل. والخف: الإبل.   (٢) المرط: الكساء.
(٣) الاعتجار: أن يتعمم الرجل دون أن يضع من عمامته شيئاً تحت لحيته.

قطيفة من ديباج، فقال: أوقد وضعت السلاح يارسول الله ؟ قال: نعم؛ فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، ومارجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله عز وجل يأمرك يامحمد بالمسير إلى بنى قريظة، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم.

فأمر رسول الله ﷺ مؤذنا، فأذن فى الناس، من كان سامعا مطيعا، فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة.[1]

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

على يبلغ الرسول ما سمعه من بنى قريظة: قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ على بن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة، وابتدرها الناس. فسار على بن أبى طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقى رسول الله بالطريق، فقال: يارسول الله، لاعليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث؛ قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لى أذى؟ قال: نعم يارسول الله؛ قال: لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: ياأبا القاسم، ماكنت جهولا.

جبريل فى صورة دحية الكلبى: ومر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصورين[2] قبل أن يصل إلى بنى قريظة، فقال: هل مر بكم أحد؟ قالوا: يارسول الله، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبى[3]، على بغلة بيضاء عليها رحالة[4]، عليها قطيفة ديباج. فقال رسول الله ﷺ: ذلك جبريل، بعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب فى قلوبهم.

ولما أتى رسول الله ﷺ بنى قريظة: نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، يقال لها بئر أنا.

قال ابن هشام: بئر أنى.

قال ابن إسحاق: وتلاحق به الناس، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: لا يصلين أحد العصر إلا ببنى قريظة، فشغلهم ما لم يكن منه بد فى حربهم، وأبو أن يصلوا، لقول رسول الله ﷺ: حتى

---

(١) روى البخارى نحوه(٢/ ٤٣٦) ومسلم(٤٥٢١).
(٢) الصورين : اسم موضع قريب من المدينة.
(٣) ودحية بن خليفة الكلبى هو أحد صحابة النبى ﷺ وكان حسن الوجه. وكان جبريل عليه السلام يأتى النبى ﷺ فى صورته. كما روى ذلك ابن عمر فى «المسند» (٢/ ١٠٧) بسند صحيح.
(٤) الرحالة: السرج.

تأتوا بنى قريظة فصلوا العصر بها، بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك فى كتابه، ولاعنفهم به رسول الله ﷺ. حدثنى بهذا الحديث أبى إسحاق بن يسار، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصارى[١].

الحصار: قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله فى قلوبهم الرعب.

وقد كان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه.

كعب بن أسد ينصح قومه: فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يامعشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ماترون، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا، فخذوا أيها شئتم؛ قالوا: وماهى؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لانفارق حكم التوراة أبدا، ولانستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم على هذه، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف[٢]، لم نترك وراءنا ثقلا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه، وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء؛ قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم على هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة؛ قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما.

قصة أبى لبابة: قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، أخا بنى عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس، لنستشيره فى أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم؛ فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش[٣] إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه، فرقّ لهم، وقالوا له: يا أبا لبابة! أترى أن ننزل على

---

(١) رواه الطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٥٨١-٥٨٢) من طريق ابن إسحاق وانظر: «فتح البارى» (٧/ ٤٠٨- ٤١٠).
(٢) مصلتين السيوف: مجردين لها، وقد أخرجناها من أغمادها.
(٣) تقول: جهش الرجل بالبكاء، إذا تهيأ له وبدأ فيه.

حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح. قال أبو لبابة: فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ﷺ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله، ﷺ حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ ماصنعت، وعاهد الله: أن لا أطأ بنى قريظة أبدا ولا أرى بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا.

قال ابن هشام: وأنزل الله تعالى فى أبى لبابة، فيما قال سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عبد الله بن أبى قتادة: **﴿يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾**(١).

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: أما إنه لو جاءنى لاستغفرت له، فأما إذا قد فعل مافعل، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.

قال ابن إسحاق: فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط: أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السحر، وهو فى بيت أم سلمة، فقالت أم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك. قالت: فقلت: مم تضحك يارسول الله؟ أضحك الله سنك؛ قال: تيب على أبى لبابة؛ قالت: قلت: أفلا أبشره يارسول الله! قال: بلى، إن شئت. قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده؛ فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه.

قال ابن هشام: أقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال، تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة، فتحله للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع، فيما حدثنى بعض أهل العلم، والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل: **﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾**(٢).

إسلام بعض بنى هدل: قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بنى هدل، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ.

---

(١) الأنفال: ٢٧.
(٢) التوبة: ١٠٢.

قصة عمرو بن سعدى: وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى، فمر بحرس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة؛ فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سعدى ـ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبداً ـ فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه؛ فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة[1] فيمن أوثق من بنى قريظة، حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رمته ملقاة، ولا يدرى أين ذهب؛ فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة، والله أعلم أى ذلك كان.

تحكيم سعد فى أمر بنى قريظة: قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يارسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ماقد علمت ـ وقد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أُبىٍّ بن سلول، فوهبهم له ـ فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى؛ قال رسول الله ﷺ: فذاك إلى سعد بن معاذ وكان رسول الله ﷺ قد جعل بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رفيدة، فى مسجده، كانت تداوى الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله ﷺ فى بنى قريظة، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلا جسيما جميلا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو، أحسن فى مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد أنى لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بنى قريظة، قبل أن يصل

---

(١) الرمة: الحبل البالى.

إليهم سعد، عن كلمته التى سمع منه. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم[١] - فأما المهاجرين من قريش، فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار؛ وأما الأنصار، فيقولون: قد عم بها رسول الله ﷺ - فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم؛ فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم: وعلى من هاهنا؟ فى الناحية التى فيها رسول الله ﷺ، وهو مُعرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له؛ فقال رسول الله ﷺ نعم؛ قال سعد: فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثى، قال: قال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[٢].

قال ابن هشام: حدثنى بعض من أثق به من أهل العلم: أن على بن أبى طالب صاح وهم محاصروا بنى قريظة: ياكتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ماذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم؛ فقالوا: يامحمد، ننزل على حكم سعد بن معاذ.

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة فى دار بنت الحارث، امرأة من بنى النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التى هى سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالا[٣]، وفيهم عدو الله حيى بن أخطب، وكعب بن أسد، رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة

(١) هكذا الحديث فى «صحيح البخارى» (٧/ ٤١١) وكثير من الناس يحرف الحديث عن لفظه الصحيح فيرونه بلفظ: «قوموا لسيدكم» ويستدلون بهذا اللفظ المحرف على جو ز القيام للغير إذا قدم عليه وهذا القيام قد نهى عنه النبى ﷺ فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار» وقال أنس بن مالك رضي الله عنه ما كان فى الدنيا شخص أحب إليهم (يعنى الصحابة) رؤية من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما كانوا يعلمون من كراهيته لذلك» رواه أحمد والترمذى بسند صحيح. وأما قول النبى ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» فإنما قصد قوموا إلى سيدكم فأعينوه لأنه كانا مصاباً فى أكحله. كما روت عائشة رضى الله عنها كما فى «المسند» بسند صحيح «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه» وشتان بين القيامين!!.

(٢) رجاله ثقات: ورواه البخارى (٦/ ١٦٥) ومسلم (١٧٦٨) وأحمد (٣/ ٢٢) كلهم من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبى أمامة سهل بن حنيف عن أبى سعيد الخدرى بنحوه. والأرقعة: السموات.

(٣) أرسالاً: أى طائفة بعد طائفة.

وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا: ياكعب، ماتراه يصنع بنا؟ قال؟ أفى كل موطن لاتعقلون؟ ألا ترون الداعى لاينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ.

وأتى بحيى بن أخطب عدو الله، وعليه حله له فقَّاحية[1] - قال ابن هشام: فقاحية: ضرب من الوشى - قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة[2] لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ، قال: أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك، ولكنه من يَخذل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه.

فقال جبل بن جوال الثعلبى

لعمرك مـا لام ابن أخـطب نفسه ... ولكنـه من يخـذل الله يخـذل

لجاهد حـتى أبلـغ النفس عذرها ... وقـلقل يبغـى العـز كل مقلقل[3]

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة[4]، قالت: والله لعندى تحدث معى، وتضحك ظهرا وبطنا، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها فى السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك؛ ما لك؟ قالت: أقتل؛ قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته؛ قالت: فانطلق بها، فضرب عنقها: فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عجبا منها، طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل[5].

قال ابن هشام: وهى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته.

قصة الزبير بن باطا: قال ابن إسحاق: وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس، كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى، أتى الزبير بن باطا القرظى، وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية. ذكر لى بعض ولد

(١) فقَّاحيه: أى تضرب إلى الحمرة. (٢) الأنملة: طرف الأصبع. وقد يسمى الأصبع كله أنملة.

(٣) قلقل: تحرك.

(٤) ذكر بعض شرّاح السيرة أن هذه المرأة هى امرأة الحسن القرظى وكانت قد ألقت رحى على رجل من المسلمين من أطم من الآطام فقتلته. (٥) إسناده صحيح.

الزبير أنه كان منَّ عليه يوم بعاث، أخذه فجز ناصيته، ثم خلى سبيله ـ فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبدالرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلى مثلك؛ قال: إنى قد أردت أن أجزيك بيدك عندى؛ قال: إن الكريم يجزى الكريم؛ ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه قد كانت للزبير على منة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لى دمه؛ فقال رسول الله ﷺ: هو لك؛ فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد وهب لى دمك، فهو لك؛ قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ قال: فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، هب لى امرأته وولده؛ قال: هم لك، قال: فأتاه فقال: قد وهب لى رسول الله ﷺ أهلك وولدك، فهم لك قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ماله؛ قال: هو لك. فأتاه ثابت فقال: قد أعطانى رسول الله ﷺ مالك، فهو لك؛ قال: أى ثابت، ما فعل الذى كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحى، كعب بن أسد؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل سيد الحاضر والبادى حيي بن أخطب؟ قال: قتل؛ قال؛ فما فعل مقدمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا فررنا، عزال بن سموأل؟ قال: قُتل؛ قال: فما فعل المجلسان؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة؛ قال: ذهبوا قتلوا؟ قال: فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح[1] حتى ألقى الأحبة. فقدمه ثابت فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله «ألقى الأحبة» قال: يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا.

قال ابن هشام: قبلة دلو ناضح. قال زهير بن أبى سلمى فى «قبلة»:

وقابل يتغنى كلما قدرت ... على العراقى يداه قائما دفقا[2]

وهذا البيت فى قصيدة له.

قال ابن هشام: ويروى: وقابل يتلقى، يعنى قابل الدلو يتناول.

عطية القرظى ورفاعه بن سموأل: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم.

(١) الناضح: الجمل الذى يُستخرج عليه الماء من البئر. وأراد بقوله فتلة دلو ناضح: مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا خرجت فيصبها فى الحوض يفتلها ويردها إلى موضعها.

(٢) القابل: الذى يتقبل الدلو من المستقى. والعراقى: هو العود الذى يكون فى الدلو. ودفقاً: صب.

قال ابن إسحاق: وحدثنى شعبة بن الحجاج، عن عبد الملك بن عمير، عن عطية القرظى، قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم، وكنت غلاما، فوجدونى لم أنبت، فخلوا سبيلى(١).

قال ابن إسحاق: وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة أخو بنى عدى بن النجار: أن سلمى بنت قيس، أم المنذر، أخت سليط ابن أخت سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، قد صلت معه القبلتين، وبايعته بيعة النساء - سألته رفاعة بن سموأل القرظى، وكان رجلا قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت يا نبى الله، بأبى أنت وأمى، هب لى رفاعة، فإنه قد زعم أنه سيصلى ، ويأكل لحم الجمل؛ قال: فوهبه لها، فاستحيته(٢).

تقسيم الفىء: قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعلم فى ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال، وأخرج منها الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل من ليس له فرس، سهم. وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسا، وكان أول فىء وقعت فيه السُّهمان، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة فى المغازى.

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل سبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا.

إسلام ريحانة: قال: وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفى عنها وهى فى ملكه(٣)، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب؛ فقالت: يا رسول الله، بل تتركنى فى ملكك، فهو أخف على وعليك، فتركها. وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام، وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ، ووجد فى نفسه لذلك من أمرها. فبينا هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه؛ فقال: إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرنى بإسلام

(١) إسناده صحيح. وعطية القرظى لا يعرف له غير هذا الحديث كما قال الحافظ المزى فى «تهذيب الكمال» (٢٠/ ١٥٧).

(٢) إسناده ضعيف. أيوب بن عبد الرحمن لم يرو عن أم المنذر.

(٣) روى البيهقى فى «دلائل النبوة» (٧/ ٢٣٤) عن المعتمر بن سليمان عن أبيه أن رسول الله ﷺ مرض لاثنين وعشرين ليلة من صفر، وبدأه وجعه عند وليدة له، يقال لها ريحانة، كانت من سبى اليهود» وهذا إسناده مرسل.

ريحانة؛ فجاءه فقال يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة، فسره ذلك من أمرها.

ما نزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة: قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق، وأمر بنى قريظة من القرآن، القصة فى الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق[1]: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيرا﴾**. والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: **﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا﴾**. فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان. يقول الله تبارك وتعالى: **﴿هنا لك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا، وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾** لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال. **﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾** لقول أوس بن قيظى ومن كان على رأيه من قومه **﴿ولو دُخلت عليهم من أقطارها﴾**: أى المدينة.

قال ابن هشام: الأقطار: الجوانب؛ وواحدها: قطر، وهى الأقتار، وواحدها: قتر.
قال الفرزدق:

كم من غنى فتح الإله لهم به ... والخيل مقعية على الأقطار[2]

ويروى: «على الأقتار». وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿ثم سئلوا الفتنة﴾: أى الرجوع إلى الشرك **﴿لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا. ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار، وكان عهد الله مسئولا﴾**، فهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم، ثم قال تعالى: **﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل، وإذا لا تمتعون إلا قليلا. قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا، أو أراد بكم رحمة، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا. قد يعلم الله المعوقين منكم﴾**: أى أهل النفاق **﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا، ولايأتون البأس إلا قليلا﴾**: أى إلا دفعا وتعذيرا

(١) الأحزاب: ابتداء من آية ٩.
(٢) يعنى أن الخيل قاعده على أجنابها.

﴿أشحة عليكم﴾: أى للضغن الذى فى أنفسهم **﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك، تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت﴾**: أى إعظاما له وفرقا منه **﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾**: أى فى القول بما لا تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده.

قال ابن هشام: سلقوكم: بالغوا فيكم بالكلام، فأحرقوكم وآذوكم. تقول العرب: خطيب سلاق، وخطيب مسلق ومسلاق. قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

فيهـــم المجـــد والسماحـــة   والنجـــدة فيهم والخـاطب السلاق

وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ قريش وغطفان **﴿وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾**.

ثم أقبل على المؤمنين فقال: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾**: أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء

يختبرهم به، فقال: **﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾**: أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء، وتصديقا للحق، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه﴾**: أى فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد.

قال ابن هشام قضى نحبه: مات، والنحب: النفس، فيما أخبرنى أبو عبيدة. وجمعه: نحوب. قال ذو الرمة:

عشية فـــر الحـــــارثيون بعدمـــا   قـضى نحبه فى ملتقى الخيل هوْبر

وهذا البيت فى قصيدة له. وهوبر: من بنى الحارث بن كعب، أراد: يزيد بن هوبر. والنحب أيضا: النذر. قال جرير بن الخطفى:

بطخـفة جـــالدنا الملوك وخـيلنا   عشية بسـطام جـــرين على نحـب[1]

يقول: على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته، وهذا البيت فى قصيدة له.

---

(١) طخفة: اسم جبل. وعشية بسطام: أى العشية التى قتل فيه بسطام بن قيس.

وبسطام: بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى، وهو ابن ذى الجدين. حدثنى أبو عبيدة: أنه كان فارس ربيعة بن نزار: وطخفة: موضع بطريق البصرة.

والنحب: الخطار، وهو: الرهان. قال الفرزدق:

وإذ نحبت كلب على الناس أيُّنا ... على النحب أعطى للجزيل وأفضل

والنحب: البكاء. ومنه قولهم ينتحب. والنحب: الحاجة والهمة؛ تقول: ما لى عندهم نحب. قال مالك بن نويرة اليربوعى:

وما لى نحب عندهم غير أننى ... تلمست ما تبغى من الشُّدُن الشجر[1]

وقال نَهار بن توسعة، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن على ابن بكر بن وائل.

قال ابن هشام: هؤلاء موالى بنى حنيفة:

ونجى يوسف الثقفى ركض ... دراك بعد ما وقع اللواء[2]

ولو أدركته لقضين نحبا ... به ولكل مخطأة وقاء

والنحب. أيضا: السير الخفيف المرّ.

قال ابن إسحاق: ﴿**ومنهم من ينتظر**﴾: أى ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله تعالى: ﴿**وما بدلوا تبديلا**﴾: أى ما شكوا وما ترددوا فى دينهم، وما استبدلوا به غيره. ﴿**ليجزى الله الصادقين بصدقهم، ويعذب المنافقين إن شاء، أو يتوب عليهم، إن الله كان غفورا رحيما. ورد الله الذين كفروا بغيظهم**﴾: أى قريشا وغطفان ﴿**لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا. وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب**: أى بنى قريظة ﴿**من صياصيهم**﴾ والصياصى: الحصون والآطام التى كانوا فيها.

قال ابن هشام: قال سحيم عبد بنى الحسحاس؛ وبنو الحسحاس من بنى أسد بن خزيمة:

وأصبحت النيران صرعى وأصبحت ... نساء تميم يبتدرون الصياصيا

وهذا البيت فى قصيدة له. والصياصى: القرون. قال النابغة الجعدى:

وسادة رهطى حتى بقيـ ... ـت فردا كصيصية الأعضب[3]

---

(١) الشدن: إبل منسوبة إلى شدن، وهو موضع باليمن. والشجر: هى التى فى أعينها حمرة.

(٢) الركض: الجرى. ودراك: أى متتابع.

(٣) الأعضب: المكسور القرن.

يقول: أصاب الموت سادة رهطى. وهذا البيت فى قصيدة له. وقال أبوداود الإيادى.

فذعرنا سحم الصياصى بأيديـــــــ ـهن نضح من الكحيل وقـــار[1]

وهذا البيت فى قصيدة له. والصياصى أيضا: الشوك الذى للنساجين، فيما أخبرنى أبو عبيدة. وأنشدنى لدريد بن الصمة الجشمى، جُشم بن معاوية ابن بكر بن هوازن:

نظـــرت إليـــه والرمـــاح تنوشـه كـــوقع الصياصى فى النسيج الممدد[2]

وهذا البيت فى قصيدة له. والصياصى أيضا: التى تكون فى أرجل الديكة ناتئة كأنها القرون الصغار، والصياصى أيضا: الأصول، أخبرنى أبو عبيدة أن العرب تقول: جذ الله صيصيته: أى أصله.

قال ابن إسحاق: **﴿وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا»**: أى قتل الرجال، وسبى الذرارى والنساء، **«وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها﴾**: يعنى خيبر **﴿وكان الله على كل شىء قديرا﴾**.

إكرام سعد فى موته: قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد ابن معاذ جرحه، فمات منه شهيدا.

قال ابن إسحاق: حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى، قال: حدثنى من شئت من رجال قومى: أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجرا بعمامة من إستبرق، فقال: يا محمد، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش؟ قال: فقام رسول الله ﷺ سريعا يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات[3].

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: أقبلت عائشة قافلة من مكة، ومعها أسيد بن حضير، فلقيه موت امرأة له، فحزن عليها بعض الحزن، فقالت له عائشة: يغفر الله لك يا أبا يحيى، أتحزن على امرأة وقد أصبت بابن عمك، وقد اهتز له العرش[4].

قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى، قال: كان سعد رجلا

---

(١) ذعرنا: أفزعنا وأخفنا. والسحم: السود. والصياصى: القرون، وعنى بسحم الصياصى الوعول التى فى الجبال. والنضح: اللطخ والكحيل: القطران. والقار: الزفت.

(٢) تنوشه: تتناوله وتقع فيه.

(٣) فى سنده جهالة.

(٤) إسناده صحيح.

بادنا، فلما حمله الناس وجدوا له خفة، فقال رجال من المنافقين: والله إن كان لبادنا، وما حملنا من جنازة أخف منه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إن له حملة غيركم، والذى نفسى بيده، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتز له العرش[1].

قال ابن إسحاق: وحدثنى معاذ بن رفاعة، عن محمد بن عبد الرحمن ابن عمرو ابن الجموح، عن جابر بن عبد الله، قال: لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ، سبح رسول الله ﷺ، فسبح الناس معه، ثم كبر فكبر الناس معه؛ فقالوا: يا رسول الله، مم سبحت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره، حتى فرجه الله عنه[2].

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قول عائشة: قال رسول الله ﷺ: **«إن للقبر لضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ»**[3].

قال ابن إسحاق: ولسعد يقول رجل من الأنصار:

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو

وقالت أم سعد، حين احتمل نعشه وهى تبكيه - قال ابن هشام - وهى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج:

ويل أم سعد سعدا صرامة وحدا
وسُؤددا ومجدا وفارسا مُعدا
سُد به مسدا يقد هاما قدا

يقول رسول الله ﷺ: كل نائحة تكذب، إلا نائحة سعد بن معاذ[4].

الشهداء يوم الخندق: قال ابن إسحاق: ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر.

من بنى عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو، وعبد الله بن سهل، ثلاثة نفر.

ومن بنى جشم بن الخزرج، ثم من بنى سلة: الطفيل بن النعمان، وثعلبة بن غنيمة. رجلان.

---

(١) ضعيف للجهالة والإرسال.

(٢) إسناده حسن. ورواه أحمد (٣/ ٣٦٠، ٣٧٧)

(٣) رواه أحمد (٦/ ٥٥، ٩٨) وإسناده صحيح.

(٤) رواه ابن سعد (٣/ ٢/ ٨٠٧) وإسناده حسن

ومن بنى النجار، ثم من بنى دينار: كعب بن زيد، أصابه سهم غرب، فقتله.

قال ابن هشام: سهم غُرب وسهمٌ غربٌ، بإضافة وغير إضافة، وهو الذى لا يعرف من أين جاء ولا من أين من رمى به.

قتلى المشركين: وقتل من المشركين ثلاثة نفر.

من بنى عبد الدار بن قصى: منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار، أصابه سهم، فمات منه بمكة.

قال ابن هشام: هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق.

قال ابن إسحاق: ومن بنى مخزوم بن يقظة: نوفل بن عبد الله بن المغيرة، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، وكان اقتحم الخندق، فتورط فيه، فقتل، فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا فى جسده ولا بثمنه، فخلى بينهم وبينه.

قال ابن هشام: أعطوا رسول الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم، فيما بلغنى عن الزهرى.

قال ابن إسحاق: ومن بنى عامر بن لؤى، ثم من بنى مالك بن حسل: عمرو بن عبد ود، قتله على بن أبى طالب رضوان الله عليه.

قال ابن هشام: وحدثنى الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهرى أنه قال: قتل على بن أبى طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو.

قال ابن هشام: ويقال عمرو بن عبد ود، ويقال: عمرو بن عبد.

الشهداء يوم بنى قريظة: قال ابن إسحاق: واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين، ثم من بنى الحارث بن الخزرج: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، طرحت عليه رحى، فشدخته شدخا شديدا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: إن له لأجر شهيدين

ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان، أخو بنى أسد بن خزيمة، ورسول ﷺ محاصر بنى قريظة، فدفن فى مقبرة بنى قريظة التى يدفنون فيها اليوم، وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام.

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق، قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى: لن

تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم. فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذى يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة.

****

ما قيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

قال ضرار بن الخطاب بن مرداس، أخو بنى محارب بن فهر، فى يوم الخندق:

ومشفقة تظن بنا الظنونا ... وقد قدنا عرندسة طحونا[1]
كأن زهاءها أحد إذا ما ... بدت أركانه للناظرينا[2]
ترى الأبدان فيها مسبغات ... على الأبطال واليلب الحصينا[3]
وجردا كالقداح مسومات ... نؤم بها الغواة الخاطئينا[4]
كأنهم إذا صالوا وصلنا ... بباب الخندقين مصافحونا[5]
أناس لا ترى فيهم رشيدا ... وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحجرناهم شهرا كريتا ... وكنا فوقهم كالقاهرينا[6]
نراوحهم ونغدو كل يوم ... عليهم فى السلاح مدججينا[7]
بأيدينا صوارم مرهفات ... نقد بها المفارق والشئونا[8]
كأن وميضهن معربات ... إذا لاحت بأيدى مصلتينا[9]
وميض عقيقة لمعت بليل ... ترى فيها العقائق مستبينا[10]
فلولا خندق كانوا لديه ... لدمرنا عليهم أجمعينا[11]

---

(١) العرندسة: الشديدة القوة، وأراد بها كتيبة من الجيش. والطحون: التى تطحن كل ما مرت به.
(٢) زهاءها: تقدير عددها. وأحد: اسم جبل. وبدت: ظهرت.
(٣) الأبدان: الدروع. ومسبغات: ضافيات كاملات. واليلب: الترسة ويقال هى: الدروق. والحصين: الذى يتحصن به لابسه.
(٤) الجرد: جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر. والقداح: جمع قدح وهو السهم. والمسومات: المرسلة على العدو للإغارة. ونؤم: نقصد.
(٥) المصافحة: أخذ الرجل بيد الرجل عند السلام عليه.
(٦) احجرناهم: حصرناهم. وشهراً كريتاً: يعنى كاملاً تاماً. (٧) المدجج: الكامل السلاح.
(٨) الصوارم: السيوف القاطعة. والمرهفات: المحددات. ونقد: نقطع. والمفارق: جمع مفرق، وهو حيث يتفرق الشعر أعلى الرأس. والشؤون: مجمع العظام فى أعلى الرأس أيضاً.
(٩) الوميض: اللمعان. والمصلت: الذى جرد سيفه من غمده.
(١٠) العقيقة: السحابة التى تشق عن البرق. والعقائق فى آخر البيت جمع عقيقة، وهى فى الأصل الشاة، ويمكن أنه أرادها هنا أو أراد بها خصومه على أنه شبههم فى ضعفهم عنده بالشياه، ومستبينا: جمع مستبى، إذا أسره.
(١١) لدمرنا عليهم: يريد أهلكناهم.

ولكن حال دونهم وكانوا … به من خوفنا متعوذينا[١]
فإن نرحل فإنا قد تركنا … لدى أبياتكم سعدا رهينا[٢]
إذا جن الظلام سمعت نوحى … على سعد يرجِّعن الحنينا[٣]
وسوف نزوركم عما قريب … كما زرناكم متوازرينا[٤]
بجمع من كنانة غير عزل … كأسد الغاب قد حمت العرينا[٥]

فأجابه كعب بن مالك، أخو بنى سلمة، فقال:

وسائلة تُسائل ما لقينا … ولو شهدت رأتنا صابرينا
صبرنا لا نرى لله عدلا … على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبى وزير صدق … به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشرا ظلموا وعقوا … وكانوا بالعداوة مرصدينا[٦]
نعاجلهم إذا نهضوا إلينا … بضرب يُعجل المتسرعينا
ترانا فى فضافض سابغات … كغدران الملا متسربلينا[٧]
وفى أيماننا بيض خفاف … بها نشفى مراح الشاغبينا[٨]
بباب الخندقين كأن أسدا … شوابكهن يحمين العرينا[٩]
فوارسنا إذا بكروا وراحوا … على الأعداء شوسا معلمينا[١٠]
لننصر أحمداً ولله حتى … نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا … وأحزاب أتوا متحزبينا:
بأن الله ليس له شريك … وأن الله مولى المؤمنينا

---

(١) متعوذينا: لاجئين ومتحصنين.

(٢) يريد سعد بن معاذ رضى الله عنه، فقد كان رهن البيت؛ لأنه قد كان أصيب بسهم على ما مضى ذكره.

(٣) جن الظلام: ستر كل شىء. والنوحى: جماعة النساء النائحات ويرجعن: يرددن ويكررن. والحنين: أراد به البكاء والنوح.

(٤) متوازرينا: متعاونين متساندين

(٥) العزل: جمع أعزل وهو الذى لا سلاح له. والغاب: جمع غابة وهى موضع الأسد. والعرين: موضع الأسد أيضاً.

(٦) المرصدين: جمع مرصد. وهو اسم فاعل من قولهم: أرصد للأمر إذا أعد له عدته وأخذ له أسبابه.

(٧) فضافض: أى فى الدروع. وسابغات: كاملة تامة. والعذران: جمع عذير، والملا: المتسع من الأرض. ومتسربلين: لابسين للدروع.

(٨) المراح: النشاط. والشاغبينا: الذين ديدنهم الشغبى وتهييج الشر وتأريث العداوات.

(٩) الشوابك: التى يتشبث بها فلا يفلت. والعرين: مكان الأسد.

(١٠) فوارس: جمع فارس. والشوس: جمع أشوس وهو الذى ينظر نظر المتكبر بمؤخر عينه. والمعلم: الذى جعل لنفسه علامة يعرفه الناس بها ليشتهر فى الحرب.

فإما تقتلوا سعدا سفاها	فإن الله خير القادرينا[1]
سيدخله جنانا طيبات	تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريدا	بغيظكم خزايا خائبينا[2]
خزايا لم تنالوا ثم خيرا	وكدتم أن تكونوا دامرينا[3]
بريح عاصف هبت عليكم	فكنتم تحتها متكمهينا[4]

وقال عبد الله بن الزبعرى السهمى، يوم الخندق:

حتى الديار محا معارف رسمها	طول البلى وتراوح الأحقاب[5]
فكأنما كتب اليهود رسومها	إلا الكنيف ومعقد الأطناب[6]
قفرا كأنك لم تكن تلهو بها	فى نعمة بأوانس أتراب[7]
فاترك تذكر ما مضى من عيشة	ومحلة خَلَق المقام يباب[8]
واذكر بلاء معاشر واشكرهم	ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب	فى ذى غياطل جحفل جبجاب[9]
يدع الحزون مناهجا معلومة	فى كل نشر ظاهر وشعاب[10]
فيها الجياد شوازب مجنوبة	قب البطون لواحق الأقراب[11]
من كل سلهبة وأجرد سلهب	كالسيد بادر غفلة الرقاب[12]
جيش عيينة قاصد بلوائه	فيه وصخر قائد الأحزاب

(١) السفاه: الضلال.

(٢) الفل: القوم المنهزمون. والشريد: الطريد النافر من الخوف والفزع. والخزايا: جمع خزيان وهو وصف من الخزى.

(٣) دامرين: هالكين.

(٤) واصف: شديد. والمتكمه: الأعمى الذى لا يبصر.

(٥) الأحقاب: جمع حقب، وهو الدهر.

(٦) الكنيف: أراد به الحظيرة التى تصنع للإبل. والأطناب: جمع طنب وهو الذى تشد به الأخبية وبيوت العرب، وأراد بمعقدها: الأوتاد التى تربط فيها.

(٧) قفراً: موحشة خالية ليس به أحد. والأتراب: جمع ترب وهو الذى يماثلك فى السن، يريد أن هذه الأوانس متفقات فى الأسنان.

(٨) خلق المقام: أراد أن محل الإقامة منها خال من كل من يقيم به. واليباب: القفر.

(٩) ذى غياطل: أراد به جيشاً كبير العدد. والغياطل: جمع غيطلة وهى الصوت . والجحفل: الجيش الكبير. والجبجاب: الكثير أيضاً.

(١٠) يدع: يترك. والحزون: جمع حزن وهو ما ارتفع وعلا من الأرض. والمناهج: جمع منهج وهو الطريق الواضح البين. والنشر: المرتفع من الأرض أيضاً. والشعاب: جمع شعب وهو المنخفض بين جبلين، وهذا تأكيد لوصف الجيش بالكثرة؛ لأنه لكثرة عدده يترك أثراً فى الحزون باقياً يستدل به على الطريق.

(١١) الشوازب: هى الضامرة. ومجنوبة: مقودة. وقب: جمع أقب وهو الضامر البطن. ولواحق الأقراب: يريد ضامرة أيضاً. والأقراب: جمع قرب وهو الخاصرة وما يليها.

(١٢) السلهبة: الطويلة. والسيد: الذئب.

قرمـــان كالبـــدرين أصبـــح فيهـــما ... غيث الـفقير ومـعقـــل الـــهراب[1]

حتـــى إذا وردوا المدينـــــة وارتـــدوا ... للموت كـــل مجـــرب قـضـــاب[2]

شهـــرا وعشـــرا قاهـــرين محـمدا ... وصحابه فـــى الحرب خير صحاب

نادوا برحـــلتهم صبيحـــة قاتـــــم ... كـــدنا نـكـــون بهـــا مـــع الخياب

لولا الخـــنادق غـادروا من جمعهم ... قتلـــى لطـــير سـغب وذئـــــاب[3]

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى، فقال:

هل رســـم دارســـة المقـــام يبـاب ... متكـــلم لمحـــــاور بجـــــواب[4]

قفر عفا رهـــم السحـاب رســـومه ... وهبـــوب كـــل مطلـــة مربـــاب[5]

ولقـــد رأيت بها الحـــلول يزينهم ... بيـــض الوجـــوه ثواقب الأحساب[6]

فدع الـــديار وذكـــر كـــل خـــريدة ... بيضاء آنســـة الحـــديث كـــعاب[7]

واشـــك الهموم إلى الإله وما ترى ... من معشر ظـــلموا الرسول غضاب

ســـاروا بأجـــمعهم إليـــه وألبـــوا ... أهـــل القـــرى وبـــوادى الأعراب[8]

جيـــش عيينـــة وابن حـــرب فيـــهم ... متخـــمطون بحـــلبة الأحـــزاب[9]

حتـــى إذا وردوا المـــدينة وارتجـــوا ... قتلـــى الرسـول ومغنم الأسلاب[10]

وعـــدوا عـــلينا قـــادرين بـأيدهم ... رُدوا بغيظهم عـــلـــى الأعـــقـاب[11]

بهبـــوب معصـــفة تفـــرق جـــمعهم ... وجـــنـــود ربـــك سـيد الأربـــاب[12]

فكفـــى الإلـــه المـــؤمنين قتالهـــم ... وأثابهـم فـــى الأجـــر خـير ثواب

من بعـــد ما قنطـــوا ففرق جمعهم ... تنزيل نصـر مـــليكنا الوهـــــاب[13]

---

(١) قرمان: فحلان سيدان. والمعقل: الملجأ والملاذ. والهراب: جمع هارب.

(٢) ارتدوا: أراد تقلدوا. وكل مجرب: أراد قد جرب. قضاب: قطاع.

(٣) سغب: جمع ساغب وهو الجائع.

(٤) دراسة المقام: قد عفا محل الإقامة منها. واليباب: القفر. والمحاور: الذى يراجعك الكلام ويتحدث معك

(٥) عفا: غير. والرهم: هو المطر الدائم. والرسوم: جمع رسم وهو الأثر. مطلة: أى جاءت السماء بالطل وهو الضعيف من المطر. ومرباب: دائمة ثابتة.

(٦) الحلول: البيوت المجتمعة. والثواقب: المشرقة.

(٧) الخريدة: المرأة الناعمة. وقيل هى البكر وقيل هى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت. والكعاب: التى نهدثديها فى أول ما نهد.

(٨) ساروا بأجمعهم إليه وألبوا: أى جمعوا. وأهل القرى وبوادى الأعراب: أراد بهم ضعاف الناس الذين تضعف عقولهم عن إدراك الحقائق ويقعون تحت تأثير المتشككين.

(٩) عيينة: أراد به عيينة بن حصن الفزارى، وابن حرب: أراد به أبا سفيان وهما من قواد المشركين فى حرب الخندق. ومتخمطون: أى مختلطون. والحلبة: جماعة الخيل التى تعد للسباق.

(١٠) الأسلاب: هى ما يأخذه المحارب من قرنه إذا قتله.

(١١) الأيد: القوة.

(١٢) المعصفة: الريح الشديدة التى تعصف بكل شىء.

(١٣) قنطوا: يأسوا.

وأقر عين محمد وصحابه ... وأذل كل مكذب مرتاب

عاتي الفؤاد موقع ذي ريبة ... في الكفر ليس بطاهر الأثواب[1]

علق الشقاء بقلبه ففؤاده ... في الكفر آخر هذه الأحقاب

وأجابه كعب بن مالك أيضا، فقال:

أبقى لنا حدث الحروب بقية ... من خير نحلة ربنا الوهاب[2]

بيضاء مشرقة الذرى ومعاطنا ... حم الجذوع غزيرة الأحلاب[3]

كاللوب يبذل جمها وحفيلها ... للجار وابن العم والمنتاب[4]

ونزائعا مثل السراح نمى ... علف الشعير وجزة المقضاب[5]

عرى الشوى منها وأردف نحضها ... جرد المتون وسائر الآراب[6]

قودا تراح إلى الصياح إذ غدت ... فعل الضراء تراح للكلاب[7]

وتحوط سائمة الديار وتارة ... تردى العدا وتئوب بالأسلاب[8]

حوش الوحوش مطارة عند الوغى ... عبس اللقاء مبينة الإنجاب[9]

علفت على دعة فصارت بدنا ... دخس البضيع خفيفة الأقصاب[10]

يغدون بالزغف المضاعف شكة ... وبمترصات في الثقاف صياب[11]

صوارم نزع الصياقل غلبها ... وبكل أروع ماجد الأنساب[12]

يصل اليمين بمارن متقارب ... وكانت وقيعته إلى خباب[13]

وأغر أزرق في القناة كأنه ... في طُخية الظلماء ضوء شهاب[14]

---

(١) عاتي الفؤاد: قاس شديد القسوة. وموقع: هوالذى أصابته البلايا.

(٢) النحلة: العطاء.

(٣) الذرى: الأعالى. المعاطن: مبارك الإبل حول الماء. الجذوع: الأعناق. والأحلاب: ما يحلب منه.

(٤) الموب: الأراضى ذات الحجارة السود. وجمها: ما اجتمع من لبنها. والمنتاب: القاصد.

(٥) النزائع: الخيل العربية المنزوعة من أرضها إلى أرض أخرى. السراح: الذئاب. وجزة المقضاب: ما يقطع لها من النبات.

(٦) الشوى: القوائم. والنحض: اللحم. وجرد: الأملس. والمتون: الظهور. والآراب: الأعضاء.

(٧) قود: طوال. تراح: تنشط. والضراء: الكلاب المعلمة. والكلاب: جمع كالب وهو صاحب الكلاب الذى يصيد بها.

(٨) السائمة: الماشية المرسلة فى المرعى. وتردى: تهلك. وتؤوب: ترجع.

(٩) حوش الوحوش: أى أنها تنفرها. ومطارة: مستخفة. والوغى: الحرب. وعبس: شديدة. والإنجاب: الكرم.

(١٠) البدن: جمع بادن وهو السمين. والدخس: الكثيرة اللحم. والبضيع: اللحم المستطيل. والأقصاب: الأمعاء.

(١١) الزغف: ما لان من الدروع. والمضاعف شكة: أى نسجه وحلقه. والمترصات: أراد بها الرماح المحكمة القوية. وصياب: صائبة.

(١٢) الصوارم: السيوف القاطعة. وغلبها: صدأها. والأروع: الذى يروعك بكماله وجماله. والماجد: الشريف.

(١٣) المارن: الرمح اللين. ووقيعته: صنعته. وخباب: عبد صانع للسيوف.

(١٤) اغر أزرق: يريد به سنانا. والطخية: شدة السواد. وطخاء القلب: ظلمته.

وكتيبـــة ينفـــى القـــران قتيرها ... وتـرد حـــد قـــواحذ النشـــاب[١]
جـأوى ململـمة كـــأن رمـــاحها ... فى كـل مـــجمعة ضــريمة غاب[٢]
يأوى إلـــى ظـــل اللـــواء كأنه ... فى صعـــدة الخـــطى فـىء عقاب[٣]
أعيت أبـــا كـــــرب وأعيـت تبعا ... وأبت بســـالتها علـــى الأعـــراب[٤]
ومواعظ مـــن ربنـــا نهـــدى بها ... بلـسان أزهـــر طيـب الأثـــواب[٥]
عُرضت علينـــا فاشتهينا ذكـــرها ... من بعـد ماعرضت على الأحزاب
حكما يراها المجرمون بزعمهم ... حرجـــا ويفهمـــها ذوو الألباب[٦]
جاءت سخينة كـــى تغالب ربها ... فليغلـــبن مغالـــــب الغــــلاب[٧]

قال ابن هشام: حدثنى من أثق به، قال: حدثنى عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال كعب بن مالك:

جاءت سخينة كـــى تغالـــب ربها ... فليغلـــبن مغالـــــب الغـــــلاب

قال رسول الله ﷺ: لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق:

من ســـره ضـــرب يمعمع بعضه ... بعضـا كمعـمعـة الأبـــاء المحـرق[٨]
فلتأت مأســـدة تُســـن سيوفها ... بين المذاذ وبين جـــزع الخـــندق[٩]

---

(١) القران: تقارن النبل. والقتير ههنا: مسامير حلق الدروع.
(٢) الجأوى: التى يخالط سوادها حمرة. ململة: مجتمعة. الضريمة: الملتهبة.
(٣) الصعدة: القناة المستقيمة. الخطى: الرمح. الفىء: الظل. العقاب: طائر جارح قوى المخالب أعقف المنقار حاد البصر يطلق على المذكر والمؤنث.
(٤) أبو كرب وتبع: من ملوك اليمن. وبسالتها: شدتها وكراهيتها.
(٥) الأزهر: الأبيض. وطيب الأثواب: كناية عن العفاف والطهر وأراد به النبى ﷺ.
(٦) الحرج ههنا: الحرام. والألباب: العقول.
(٧) سخينة: هذا لقب نبزت به قريش فى الجاهلية، قال السهيلى: «ذكروا أن قصياً كان إذا ذبحت أو نحرت نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خريزة وهو لحم يطبخ ببر، فيطعمه الناس، فسميت قريش بها سخينة، وقيل: إن العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلهز وهو الوبر والدم، وتأكل قريش الخريرة والفتة فنفست عليهم ذلك، فلقبوهم سخينة، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره و رسول الله ﷺ منهم، ولتركه أدباً مع النبى ﷺ، إذ كان قرشياً، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ما قاله الهوازنى فى قريش.
يا شدة ما شددنا غير كاذبة ... على سخينة لو لا الله والحرم.
فقال: ما زاد هذا على أن استثنى، ولم يكره سماع التلقيب بسخينة، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشىء يكره» انظر: «الروض الأنف» (٣/ ٣٠٠).
(٨) المعمعة: صوت إلتهاب النار وحريقها. والأباء: الأغصان الملتفة.
(٩) المأسدة: المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب. والمذاذ: مكان حفر الخندق. والجزع: جانب الوادى.

دربوا بضـرب المعلمين وأسلموا مهجـات أنفسهم لـرب المشرق[1]

فى عصبة نصـر الإلـه نبيه بهـم وكـان بعبـده ذا مرفـق

فى كـل سـابغة تخط فضولها كالنهى هبـت ريحه المترقـرق[2]

بيضـاء محـكمة كـأن قتيرها حدق الجنادب ذات شك موثق[3]

جـدلاء يحفزها نجـاد مهنـد صافى الحـديدة صـارم ذى رونق[4]

تلكم مـع التقـوى تكون لباسنا يـوم الهيـاج وكـل ساعة مصدق

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قُدما ونلحـقها إذا لـم نلحـق

فترى الجماجم ضاحـيا هاماتها بَلهْ الأكـف كأنـها لـم تخلق[5]

نلقى العـدو بقحـمة ملمومة تنفى الجموع كقصد رأس المشرق[6]

ونعـد للأعـداء كـل مقلص وَرْد ومحجـول القـوائم أبلـق[7]

تردى بفرسـان كـأن كماتهم عَنـد الهياج أسـود طـل ملثق[8]

صُدق يعاطـون الكمـاة حتوفهم تحـت العماية بالوشـيج المزهق[9]

أمـر الإلـه بربطـها لعـدوه فى الحـرب إن الله خيـر موفق

لتكون غـيظا للعـدو وحُيطا للـدار إن دلفـت خيـول النُّزَّق[10]

ويعيننا الله العـزيز بقـوة منه وصـدق الصبر ساعـة نلتقى

ونطـيع أمـر نبينا ونجـيبه وإذا دعـا لكريهـة لـم نُسبق

ومتى ينـاد إلى الشـدائـد نأتها ومتـى نر الحـومات فيها نعنق[11]

---

(١) المعلمون: الذين يعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يعرفون بها. والمهجات: جمع مهجة وهى النفس.

(٢) تخط فضولها: أى ينجر على الأرض ما فضل منها. والنهى: الغدير من الماء. والمترقرق: الذى تصفقه الريح فيجىء ويذهب.

(٣) القتير: مسامير حلق الدروع. والجنادب: جماعة الجراد. والشك: النسج وإحكام السرد.

(٤) الجدلاء: الدرع المحكمة النسيج. ويحفزها: يرفعها ويشمرها. والنجاد: حمائل السيف. والمهند: السيف. والصارم: القاطع. والرونق: اللمعان.

(٥) الجماجم: جمع جمجمة وهى عظام الرأس. وضاحياً: بارزاً للشمس.

(٦) القحمة: الكتيبة. والملمومة: المجتمعة. والمشرق ههنا: اسم جبل.

(٧) كل مقلص: أراد فرساً خفيفاً مشمراً. والورد من الخيل: ماكان بين الكميت والأشقر. والمحجول: الذى فى قوائمه بياض يخالف سائر لونه.

(٨) تردى: تسرع. والضمير المستتر يعود إلى الخيل. والكماة: الشجعان. والهياج: الحرب. والطل: الضعيف من المطر. والملثق: الذى يبل.

(٩) صدق: هو من أوصاف الكماة، ومعناه أنهم يصدقون عند القتال. والحتوف: جمع حتف وهو الموت. والعماية: السحابة التى تنعقد من الغبار الذى تثيره سنابك الخيل. والوشيج: الرماح. والمزهق: الذى يذهب النفوس ويهلكها.

(١٠) حيطاً: جمع حائط. ودلفت: سارت ومشت، وأراد إن قربت من ديارهم. والنزق: جمع نازق وهو الغاضب السيئ الخلق.

(١١) الحومات: جمع حومة، وهى موضع القتال. ونعنق: نسرع.

من يتبـــع قـــــول النبـــى فإنـــه … فينا مطلع الأمـــر حـــقّ مـصدق[1]
فبـــــذاك ينصــــرنا ويظهـــر عـــزنا … ويصيبنا مـــن نيـل ذاك بمــــرفق[2]
إن الـــــذين يكـــــذبون محـــمداً … كفـــروا وضلـــوا عن سبيل المتّقى

قال ابن هشام أنشدنى بيته: تلكـــم مع التقوى تكـــون لباسنا
وبيـتـه: مـــــن يتـــــع قـــــــول النبـــى
أبو زيد وأنشدنى: تنفى الجموع كرأس قدس المشرق

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق:

لقد علـــم الأحـــزاب حين تألبوا … علينـــا ورامـــوا ديننا مـــا نوادع[3]
أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت … وخـــندف لـم يـدروا بما هو واقع[4]
يذودوننا عـــــن ديننــا ونذودهم … عن الكـفر والرحـــمن راء وسامع[5]
إذا غايظونا فـــى مقـــام أعاننـــا … علـــى غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حـــفظ الله فينـــا وفضله … علينا ومن لـــم يحـفظ الله ضائع
هدانا لـــدين الحـــق واختـاره لنـــا … ولله فـــــوق الصانعـــين صـــنائع

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له.
قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق.

ألا أبلـــــغ قريشـــا أن سلعـــا … ومـــا بين العــريض إلى الصماد[6]
نواضـــح فـــى الحـــروب مدربات … وخـــوص ثقبت من عهـــد عاد[7]
رواكد يزخـــــر المــــــرار فيها … فليـــست بالجـــمام ولا الثـمـاد[8]

---

(١) حق مصدق: أى مصدقاً حقاً.
(٢) المرفق: هو الرفق وهو اللطف وما يستعان به.
(٣) تألبوا: تجمعوا. وما نوادع: هو من الموادعة وهى الصلح والمهادنة.
(٤) أضاميم: جماعات انضم بعضها إلى بعض. وأصفقت: اجتمعت وتوافقت على الأمر.
(٥) يذودوننا: يدفعوننا، يريد أنهم إنما يدفعوننا عن الحق الذى هو ديننا ونحن إنما ندفعهم عن الباطل الذى هو الكفر، والله تعالى يرى أعمالنا وأعمالهم ويسمع منا ومنهم وهو يجازى كل فريق منا بما يستحقه.
(٦) سلع: اسم جبل بالمدينة. والعريض: واد بالمدينة. والصماد: جمع صمد وهو المرتفع من الأرض.
(٧) النواضح: الإبل التى يستقى عليها الماء. والخوص: الآبار الضيقة. وثقبت: حفرت، وأراد بعهد عاد قدمها.
(٨) الرواكد: الثابتة الدائمة. ويزخر: يعلو ويرتفع. والمرار: نهر. والجمام: الآبار كثيرة الماء. والثماد: الماء القليل.

كـــأن الـغاب والـبردى فيهـا ... أجـــش إذا تبقـــع للحـصاد[1]

ولـم نجـعل ثـجـارتنا اشتراء الـ ... حـمير لأرض دوس أو مـــراد[2]

بـلاد لـــم تثـــر إلا لكيـــما ... نجـالد إن نشــطتم للجـــلاد[3]

أثرنا ســـكة الأنبـــاط فيــــها ... فلـم تـــر مثلهـــا جـلهات واد[4]

قصرنا كـــل ذى حـــضر وطـول ... عــلى الغايـــات مقــتدر جواد[5]

أجــيبونا إلى مـــا نجـــتديكم ... من القـــول المبـــين والـــسداد[6]

وإلا فاصبروا لجـــلاد يــــوم ... لكــم منا إلـــى شـطر المــذاد[7]

نصبحكم بكـل أخـــى حروب ... وكـــل مطـهم سلـس القياد[8]

وكل طمـــرة خفق حشاها ... تـــدف دفيـــف صــفراء الجراد[9]

وكـــل مقلـــص الآراب نهد ... تميم الخلق من أخـــر وهـــادى[10]

خيـــول لا تـضـــاع إذا أضيعت ... خيول الناس فى السنة الجماد[11]

ينازعـــن الأعـــنة مصـــغيات ... إذا نادى إلى الفزع المنادى[12]

إذا قـــالت لنـــا الـنذر استعدوا ... توكلـــنا علـــى رب العـــباد[13]

وقلنـــا لـــن يفـــرج مـــا لقينا ... سوى ضرب القوانس والجهاد[14]

---

(١) البردى: شىء ينبت فى البرك تصنع منه الحصر. وأجش: المرتفع الصوت. وتبقع: صار فيه بقع علامة النضج.

(٢) دوس ومراد: قبيلتان. (٣) تثر: تحرث. ونجالد: نحارب:

(٤) السكة: الصف من الخيل. والأنباط: قوم من العجم. والجلهات: جمع جلهة وهى ما استقبلك من الوادى إذا نظرت إليه من الجانب الآخر.

(٥) الحضر: الجرى، وأراد بكل ذى حضر الخيل. والطول: الفضل والقدرة. والغايات: جمع غاية، وهى حيث ينتهى طلق الفرس.

(٦) نجتديكم: نسألكم. والقول المبين: الواضح. والسداد: الصواب.

(٧) الشطر: الناحية. والمذاد: حيث حفر الخندق بالمدينة.

(٨) المطهم: الفرس التام الخلق. وسلس القياد: لا يتأبى على راكبه.

(٩) الطمرة: الفرس الخفيفة. وخفق حشاها: مضطرب. والدفيف: المشى الخفيف. وصفراء الجراد: هى التى ألقت بيضها فهى خفيفة فى طيرانها. .

(١٠) المقلص: الشديد. والآراب: قطع اللحم. والنهد: الغليظ. والهادى: العنق، وأراد أنه تام الخلق من أوله إلى آخره.

(١١) السنة الجماد: سنة القحط والجدب، يريد أنهم لا يضيعون هذه الخيل بترك علفها مع تكالب الزمن واشتداد القحط فهم بها معنيين، لذلك فهى قوية تامة الخلق.

(١٢) الأعنة: جمع عنان، وهو لجام الدابة، ومنازعة الجياد لجمها وهو من أمارة نشاطها. ومصغيات: مستمعات. والفزع: أراد به الصريخ إلى الحرب، يريد أن هذه الجياد قد تعودت سماع صوت الداعى إلى الحرب ، فهى تجيب كلما نادى عليها بذلك.

(١٣) النذر: جمع نذير، وهو الذى يخبرك بما فيه خوف وشر.

(١٤) القوانس: أعالى بيض الحديد.

فلم تر عصبة فيمن لقينا ... من الأقوام من قار وبادى[1]
أشد بسالة منا إذا ما ... أردناه وألين فى الوداد[2]
إذا ما نحن أشرجنا عليها ... جياد الجدل فى الأرب الشداد[3]
قذفنا فى السوابغ كل صقر ... كريم غير معتلث الزناد[4]
أشم كأنه أسد عبوس ... غداة بدا ببطن الجزع غادى[5]
يغشى هامة البطل المذكى ... صبى السيف مسترخى النجاد[6]
لنظهر دينك اللهم إنا ... بكفك فاهدنا سبل الرشاد

قال ابن هشام بيته:

قصرنا كل ذى حضر وطول

والبيت الذى يتلوه، والبيت الثالث منه، والبيت الرابع منه، وبيته:

أشم كأنه أسد عبوس

والبيت الذى يتلوه، عن أبى زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق: وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح، يبكى عمرو بن عبدود، ويذكر قتل على بن أبى طالب إياه:

عمرو بن عبد كان أول فارس ... جزع المذاد وكان فارس يليل[7]
سمح الخلائق ماجد ذو مرة ... يبغى القتال بشكة لم ينكل[8]
ولقد علمتم حين ولوا عنكم ... أن ابن عبد فيهم لم يعجل
حتى تكنفه الكماة وكلهم ... يبغى مقاتله وليس بمؤتلى[9]

---

(١) قار: أراد به من كان من أهل القرى. والبادى: من كان من أهل البادية.

(٢) البسالة: الشجاعة، يريد أنهم فى الحروب أبسل الناس، وفى السلم ألين الناس خلقاً.

(٣) أشرجنا: ربطنا. والجدل: جمع جدلاء، وهى الدروع المحكمة النسج. والأرب: جمع أربة وهى العقدة..

(٤) السوابغ: جمع سابغة، وهى الدروع التامة. والزناد المعتلث: هو الذى إذا قدح لم يور ناراً، ويقال: هو الذى يقطع من شجرة لا يدرى أيورى ناراً أم لا يورى.

(٥) أشم: هو الذى به شم وأصله ارتفاع قصبة الأنف. وعند العرب أن ذلك من دلائل العزة. وبدا: ظهر. والجزع: جانب الوادى.

(٦) المذكى: الذى بلغ الغاية فى القوة. وصبى السيف: وسطه. وذبابه: طرفه. والنجاد: حمائل السيوف، ومعنى أنه مسترخى الحمائل أنه طويلها وذلك كناية عن طول قامته، والعرب تمدَح بذلك.

(٧) جزع: قطع. والمذاد: مكان بالمدينة حيث بنى الخندق. ويليل: وادى بدر وكان عمرو بن ود حفر موقعة بدر ولم يشهد أحداً.

(٨) المرة: الشدة والقوة. والشكة: السلاح. ولم ينكل: لم يرجع ولم يتأخر من هيبة أو خوف.

(٩) تكنفه: أحاط به والتفوا حوله. والكماة: الشجعان. والمقاتل: جمع مقتل وهو مكان القتل. وليس بمؤتل: أى ليس بمقصر، يريد أنهم التفوا حوله يريدون قتله وليس فيهم إلا حريص على ذلك.

ولقد تكنفت الأسنـــة فارسا ... بجنوب سلع غير نكس أميل(١)
تسل النزال على فارس غالب ... بجنوب سلع، لينه لم ينزل(٢)
فإذهب على فما ظفرت بمثله ... فخراً ولا لاقيت مثل المعضل(٣)
نفسى الفداء لفارس من غالب ... لاقى حمام الموت لم يتحلحل(٤)
أعنى الذى جزع المذاد بمهره ... طلبا لثأر معاشر لم يخذل(٥)

وقال مسافع أيضاً يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه، فأجلوا عنه وتركوه:

عمرو بن عبد والجياد يقودها ... خيل تقاد له وخيل تنعل(٦)
أجلت فوارسه وغادر رهطه ... ركنا عظيما كان فيها أول(٧)
عجبا وإن أعجب فقد أبصرته ... مهما تسوم على عمراً ينزل(٨)
لاتبعدن فقد أصبت بقتله ... ولقيت قبل الموت أمراً يثقل
وهبيرة المسلوب ولى مدبراً ... عند القتال مخافة أن يقتلوا
وضرار كأن البأس منه محضراً ... ولى كما ولى اللئيم الأعزل(٩)

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له. وقوله: «عمراً ينزل» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال هبيرة بن أبى وهب يعتذر من فراره، ويبكى عمراً، ويذكر قتل على إياه:

لعمرى ما وليت ظهرى محمداً ... وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل
ولكننى قلبت أمرى فلم أجد ... لسيفى غناء إن ضبت ولا نبلى(١٠)
وقفت فلما لم أجد لى مقدما ... صَدَرْتُ كضرغام هزبر أبى شبل(١١)

---

(١) الأسنة: جمع سنان الرمح، وأراد حامليها. وسلع: جبل. والنكس: الدنىء من الرجال. والأميل الذى لارمح معه.
(٢) تسل: أراد تسأل، يريد أتسأل يا على فارس غالب النزال. ثم تمنى أن لم يكن نزل.
(٣) أصل المعضل: الأمر الشديد الذى يصعب حله ويتعذر الخلاص منه، واستعاره ههنا للفارس الذى يتحدث عنه، يريد أنه لم يكن أحد ليستطيع أن ينال منه شيئاً.
(٤) لم يتحلحل: لم يبرح مكانه ولم يفارقه. (٥) جزع: قطع. ولم يخذل: أراد لم يخذل قومه.
(٦) وخيل تنعل: يريد تقوى له وتعد وتهيأ بإلباسها الحديد فى قوائمها
(٧) أجلت فوارسه: أراد تفرقت. وغادر: ترك. ورهطه: معشره وقومه.
(٨) تسوم: تطلب. (٩) الأعزل: الذى لا سلاح معه.
(١٠) يعتذر عن الفرار بأنه إنما فر لأنه وجد أن البقاء لا يفيد؛ لأنه إن أعمل سيفه ونبله لم ينل من عدوه المنال الذى يبغيه، وهى حجة فى مقدور كل أحد أن يقولها.
(١١) مقدماً: مكان تقدم. وصدرت: رجعت. والضرغام: الأسد. والهزبر: الشديد. والشبل: ابن الأسد.

ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد ... مكراً وقدما كان ذلك من فعلى[١]
فلا تبعده يا عمر حياً وهالكا ... وحق لحسن المدح مثلك من مثلى
ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا ... فقد بنت محمود الثنا ماجد الأصل[٢]
فمن لطراد الخيل تقدع بالقنا ... وللفخر يوما عند قرقرة البزل[٣]
هناك لو كان ابن عبد لزارها ... وفرجها حقا فتى غير ما وغل[٤]
فعنك على لا أرى مثل موقف ... وقفت على نجد المقدم كالفحل[٥]
فما ظفرت كفاك فخراً بمثله ... أمنت به ما عشت من زلة النعل

وقال هبيرة بن أبى وهب يبكى عمرو بن عبد ود، ويذكر قتل على إياه:

لقد علمت عليا لؤى بن غالب ... لفارسها عمرو إذا ناب نائب[٦]
لفارسها عمـرو إذا ما يسومه ... على وإن الليث لابـد طالب[٧]
عشية يدعـوه علـى وإنه ... لفارسها إذ خـام عنه الكتائب[٨]
فيا لهف نفسى إن عمراً تركته ... بيثرب لا زالت هناك المصائب

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود:

بقيتكم عـمرو أبحـناه بالقنا ... بيثرب نحـمى والحماة قليل[٩]
ونحـن قتلناكم بكـل مهـند ... ونحن ولاة الحـرب حين نصور[١٠]
ونحن قتلناكم ببدر فأصبحت ... معاشركـم فـى الهالكين تجول

---

(١) ثنى: لوى. وعطفه: جانبه. والقرن: الذى يقام فى شدة أو قتال. ومكراً: مكان المكر.

(٢) بنت: بعدت. والثناء: الذكر الطيب. والماجد : الشريف.

(٣) تقدع: تكف وتمنع. والقرقرة: من أصوات فحول الإبل. والبزل: جمع بازل، وهو فى الأصل البعير الذى فطر نابه وذلك زمان قوته وشدته فضربه مثلاً، وضرب قرقرة البزل مثلاً للمتفاخرين إذا رفعوا أصواتهم بالفخر وتعداد المآثر والمحامد.

(٤) الوغل: الفاسد من الرجال.

(٥) عنك: أراد به تباعد. والنجل: الشجاع الذى يغيث من استغاث به. والمقدم: بمعنى الإقدام، وأراد بتشبيهه بالفحل أن يصفه بالقوة واستكمال الفتوة.

(٦) إذا ناب نائب: يريد إذا عرض أمر من الأمور التى تحتاج إلى الرجل الشجاع الذى يكشف الخطوب بحد سيفه، فإن قومه حينئذ يفتقدونه ويبحثون عنه، علماً أنه هو الذى يدعى لمثل ذلك.

(٧) يسومه: يطلب إليه ويكلفه، وكان على بن أبى طالب قد طلب من عمرو أن ينازله كما علمت من سياق الحديث.

(٨) خام :جبن ورجع هيبة وخوفاً. والكتائب: جمع كتيبة.

(٩) بقيتكم: يريد أن هذا ما بقى من فرسانكم بعد يوم بدر الذى جدلنا فيه منكم كل كمى. وأبحناه بالقنا: يريد قتلناه. والحماة: جمع حام.

(١٠) المهند: السيف. وولاة الحرب: أراد نحن أهلها.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً فى شأن عمرو بن عبد ود:

أمسى الفتى عمر بن عبد يبتغى ... بجنوب يثرب ثأوه لم ينظر[١]
فلقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت جيادنا لم تقصر[٢]
ولقد لقيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضربا غير ضرب الحسر[٣]
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

ألا أبلغ أبا هدم رسولا ... مغلغلة تخب بها المطى[٤]
أكنت وليكم فى كل كره ... وغيرى فى الرخاء هو الولى
ومنكم شاهد ولقد رآنى ... رفعت له كما احتمل الصبى

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الديلى، ويروى فيها آخرها

كببت الخـــزرجى علــى يديه ... وكان شفــاء نفســى الخزرجـى[٥]

وتروى أيضا لأبى أسامة الجشمى.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت فى يوم بنى قريظة يبكى سعد بن معاذ ويذكر حكمه فيهم:

لقد سجمت من دمع عينى عبرة ... وحق لعينى أن تفيض على سعد[٦]
قتيل ثوى فى معرك فجعت به ... عيون ذوارى الدمع دائمة الوجد[٧]
على ملة الرحمن وارث جنة ... مع الشهداء وفدها أكرم الوفد

---

(١) لم ينظر: أى لم يؤخر، يريد أنه أمسى قتيلاً غير مؤخر.
(٢) مشهورة: قد شهرها أصحابها فى أيديهم، يريد أنه وجد فرسانهم على استعداد للقتال. ولم تقصر: لم تكف ولم تحبس عن التجوال.
(٣) الحسر: جمع حاسر، وهو الذى لا درع له.
(٤) الرسول: أراد به ههنا الرسالة. والمغلغلة: التى تحمل من بلد إلى بلد. وتخب: تسير الخبب، وهو ضرب من السير السريع. والمطى: جمع مطية.
(٥) كببت: أسقطت، وأراد بكبه على يديه قتله.
(٦) سجمت: سالت. والعبرة: الدمعة.
(٧) ثوى: أقام. وذوارى: جمع ذرابة وهى السائلة. والوجد: الحزن الشديد.

فإن تك قد ودعتنا وتركتنا ... وأمسيت فى غبراء مظلمة اللحد[1]
فأنت الذى يا سعد أبت بمشهد ... كريم وأثواب المكارم، والحمد
بحكمك فى حيى قريظة بالذى ... قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم ... ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد
فإن كان ريب الدهر أمضاك فى الأولى ... شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد[2]
فنعم مصير الصادقين إذا دعوا ... إلى الله يوما للوجاهة والقصد

وقال حسان بن ثابت أيضا، يبكى سعد بن معاذ، ورجالا من أصحاب رسول الله ﷺ من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يا لقومى هل لما حم دافع ... وهل مامضى من صالح العيش راجع[3]
تذكر عصراً قد مضى فتهافتت ... بنات الحشى وانهل منى المدامع[4]
صبابة وجد ذكرتنى أحبة ... وقتلى مضى فيها طفيل ورافع[5]
وسعد فأضحوا فى الجنان وأوحشت ... منازلهم فالأرض منهم بلاقع[6]
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم ... ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحث وكلهم ... مطيع له فى كل أمر وسامع
فما نكلوا حتى تولوا جماعة ... ولا يقطع الآجال إلا المصارع[7]
لأنهم يرجون منه شفاعة ... إذا لم يكن إلا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا ... إجابتنا لله والموت ناقع[8]
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا ... لأولنا فى ملة الله تابع[9]
ونعلم أن الملك لله وحده ... وأن قضاء الله لابد واقع

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قريظة:

---

(١) الغبراء: أراد بها القبر. واللحد: الشق الذى يلحد للميت فى جانب القبر

(٢) الأولى: الذين. وشروا هذه الدنيا: يريد أنهم استحبوا الدنيا وفضلوها على الآخرة.

(٣) حم: قدر وهيئت أسبابه.

(٤) تهافتت: تساقطت. وبنات الحشى: أراد بها قلبه وما قرب منه وذلك لأنها مستكنة فيه. وانهل: سال: والمدامع: الدموع.

(٥) الصبابة: رقة الشوق. والوجد: الحزن.

(٦) بلاقع: جمع بلقع وهو القفر الخالى.

(٧) نكلوا: جبنوا ورجعوا فى خوف وهيبة لعدوهم. وتوالوا: تبع بعضهم بعضاً. والمصارع: جمع مصرع وهو القتل.

(٨) بلاؤنا: اختبارنا أو عملنا. والموت ناقع: ثابت.

(٩) لنا القدم الأولى: يريد أنهم السابقون إلى الإسلام. وخلفنا: أى آخرنا .

لقد لقيت قريظة ما سآها … وما وجدت لذل من نصير[1]
أصابهم بلاء كان فيه … سوى ما قد أصاب بنى النضير
غداة أتاهم يهوى إليهم … رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى … بفرسان عليها كالصقور[2]
تركناهم وما ظفروا بشىء … دماؤهم عليهم كالغدير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم … كذاك يدان ذو العند الفجور[3]
فأنذر مثلها نُصحا قريشا … من الرحمن إن قبلت نذيرى[4]

وقال حسان بن ثابت فى بنى قريظة:

لقد لقيت قريظة ما سآها … وحل بحصنها ذل ذليل
وسعد كان أنذرهم بنصح … بأن إلهكم رب جليل
فما برحوا بنقض العهد حتى … فلاهم فى بلادهم الرسول[5]
أحاط بحصنهم منا صفوف … له من حر وقعتهم صليل[6]

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قريظة:

تفاقد معشر نصروا قريشا … وليس لهم ببلدتهم نصير[7]
هم أوتوا الكتاب فضيعوه … وهم غمى من التوراة بور[8]
كفرتم بالقرآن وقد أتيتم … بتصديق الذى قال النذير[9]
فهان على سراة بنى لؤى … حريق بالبويرة مستطير[10]

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقال:

أدام الله ذلك من صنيع … وحرق فى طرائقها السعير[11]

---

(١) سآها: أى ساءها.
(٢) خيل مجنبة: هى الخيل التى تقاد بجانب الركوبة. وتعادى: أى تجرى.
(٣) تحوم الطير: تدور حولهم وتقع عليهم. ويدان: يجازى. والعند: الخروج عن الحق.
(٤) النذير ههنا: الإنذار. (٥) فلاهم: قتلهم بالسيوف.
(٦) الصليل: الصوت.
(٧) تفاقد: فقد بعضهم بعضاً، والمراد بهذه الجملة الدعاء عليهم. (٨) بور: ضلال. ويقال: الهلاك.
(٩) النذير: أراد به الرسول ﷺ، والمعنى أن الله تعالى أخذ عليهم العهد فى التوراة أن يؤمنوا بالرسول إذا بعثه الله تعالى، فكفروا بالقرآن ولم يتبعوا حكم التوراة، وهو مأخوذ من قوله تعالى ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾.
(١٠) السراة: خيار الناس. والبويرة: مكان لبنى قريظة.
(١١) الطرائق: جمع طريقة وهى الناحية. والسعير: النار الملتهبة.

ستعلـــم أينا مـــنها بنزه | وتعلـــم أى أرضـينا تضير[1]
فلو كـــان النخـيل بهـــا ركابا | لقالوا لا مقـــام لكـــم فسيروا

وأجابه جبل بن جوال الثعلبى أيضا، وبكى النضير وقريظة، فقال:

ألا يا ســـعد ســـعد بنى معاذ | ولما لقيـــت قريظـــة والنضير
لعمـــرك إن ســـعد بنى معاذ | غداة تحـــملوا لهـــو الصبور
فأمـــا الخـــزرجى أبـــو حباب | فقال لقينقـــاع لا تسيروا
وبدلت الموالى مـــن حضير | أسيداً والـــدوائر قـــد تـــدور[2]
وأقفرت البـــويرة مـــن سلام | وسعيـــة وابـــن أخـطب فهى بور
وقد كانـــوا ببلدتهم ثقالا | كمـــا ثقلت بميطـان الصخور[3]
فإن يهلك أبو حـــكم سلام | فلا رث الســـلاح ولا دثور[4]
وكل الكاهنين وكـــان فيهـم | مع اللـــين الخـضارمة الصقور[5]
وجدنا المجد قـــد ثبتوا عليـــه | بمجـــد لا تغيبه البـــدور[6]
أقيموا يا ســـراة الأوس فيها | كأنـــم مـــن المخـــزاة عور[7]
تركتم قدركم لا شـــىء فيها | وقدر القـــوم حـــامية تفور[8]

مقتل سلام بن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق، وأمر بنى قريظة، وكان سلام بن أبى الحقيق، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف، فى عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ فى قتل سلام بن أبى الحقيق، وهو بخيبر، فأذن لهم.

---

(١) النزه: البعد. وتضير: أى تضر.
(٢) الموالى: جمع مولى وهو الحليف ههنا . وحضير: اسم قبيلة. وأسيد: اسم قبيلة أيضاً. والدوائر: النوازل.
(٣) ميطان: اسم جبل من جبل المدينة.
(٤) الرث: الخَلق. والدثور: المتغير، يريد أن سلاحه لا يزال ماضياً نفاذاً فى ضربته.
(٥) الخضارمة: الكرام. والصقور: جمع صقر، وأراد منه الشديد القوى
(٦) لا تغيبه البدور: يعنى أن مرور الأيام وتعاقب الشهور يتلو بعضها بعضا لا تغير هذا المجد.
(٧) عور: جمع أعور وهو من فقد إحدى عينيه.
(٨) حامية تفور: يريد أنها ملأى بالطعام فهى تفور فوق النار، أراد وصفهم بالبخل فى حين أن الناس يطعمون ويجودن.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، عن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: وكان مما صنع الله به لرسول الله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار: الأوس والخزرج، كانا يتصاولان[١] مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء[٢] إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفى الإسلام. قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبداً؛ قال: فتذاكروا: من رجل لرسول الله ﷺ فى العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبى الحقيق، وهو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى قتله، فأذن لهم.

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، الحارث بن ربعى، وخزاعى بن أسود، حليف لهم من أسلم. فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر، أتوا دار ابن أبى الحقيق ليلا، فلم يدعوا بيتًا فى الدار إلا أغلقوا على أوله ـ قال وكان فى عليه له إليها عجلة[٣] قال: فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا. ناس من العرب نلتمس الميرة. قالت: ذاكم صاحبكم، فادخلوا عليه، قال: فلما دخلنا عليه، أغلقنا علينا وعليها الحجرة، تخوفا أن تكون دونه مجاولة[٤] تحول بيننا وبينه، قالت: فصاحت امرأته، نوهت[٥] بنا وابتدرناه، وهو على فراشه بأسيافنا، فوالله ما يدلنا عليه من سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية[٦] ملقاة. قال: ولما صاحت بنا امرأته، جعل الرجل منايرفع عليها سيف، ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف يده، ولو لا ذلك لفرغنا منها بليل. قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه، وهو يقول:

---

(١) يتصاولان مع رسول الله، المراد أن كل واحد من الحيين كان يدفع عن رسول الله ﷺ ويتفاخران بذلك، فإذا فعل أحدهما شيئاً فعل الآخر مثله.

(٢) غناء: منفعة ودفع مكروه عنه وجلب فائدة.

(٣) المراد بالعجلة هنا: جذع النخلة جعلوه كالسلم.

(٤) المجاولة: الحركة تكون بينه وبينهم.

(٥) نوهت بنا: رفعت صوتها تشهرهم به.

(٦) القبطية: ثوب يصنع بمصر.

قطنى قطنى: أى حسبى حسبى. قال: وخرجنا، وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيىء البصر، قال: فوقع من الدرجة فوثئت يده[1] وثئا شديدا - ويقال: رجله، فيما قال ابن هشام - وحملناه حتى نأتى به منهرا[2] من عيونهم، فندخل فيه. قال: فأوقدوا النيران، واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا قال: حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم، فاكتنفوه وهو يقضى بينهم. قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم فانطلق حتى دخل فى الناس. قال: فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه، وتحدثهم وتقول: أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت نفسى وقلت: أنى ابن عتيك بهذه البلاد؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت: فاظ[3] وإله يهود، فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلى نفسى منها. قال: ثم جاءنا فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده فى قتله، كلنا يدعيه. قال: فقال رسول الله ﷺ: هاتوا أسيافكم، قال: فجئناه بها، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس: هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام.

قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق:

لله در عصـــــــابة لا قيتهم	يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف[4]
يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحا كأسد فى عرين مغرف[5]
حتى أتوكم فى محل بلادكم	فسقوكم حتفا ببيض ذفف[6]
مستبصرين لنصر دين نبيهم	مستصغرين لكل أمر مجحف[7]

قال ابن هشام: قوله: «ذفف»، عن غير ابن إسحاق.

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى، عن حبيب بن أبى أوس الثقفى، قال حدثنى عمرو بن العاص من فيه،

---

(١) وثئت يده: أصيبت يده فى عظمها. (٢) المنهر: مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله.
(٣) فاظ: مات. (٤) العصابة: الجماعة من الناس.
(٥) يسرون: يسيرون ليلاً. والبيض: أراد بها السيوف. ومرحاً: أى نشطاً. والمغرف: الذى التفت أغصانه.
(٦) ذفف: سريعة القتل. (٧) الأمر المجحف: الذى يذهب بالنفوس والأموال.

قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش، كانوا يرون رأيى، ويسمعون منى، فقلت لهم: تعلمون والله أنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرا، وإنى قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأى قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم[1]، فجمعنا له أدما كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه.

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال فقلت لأصحابى: هذا عمرو بن أمية الضمرى، لو قد دخلت على النجاشى وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحبا بصديقى، أهديت إلى من بلادك شيئا؟ قال: قلت نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدما كثيراً، قال: ثم قربته إليه، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها الملك، إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطينه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقا منه؛ ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر[2] الذى كان يأتى موسى لتقتله! قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويح يا عمرو أطعنى واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعنى له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال[3] رأيى عما كان عليه، وكتمت أصحابى إسلامى.

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام

---

(١) الادم: الجلد. (٢) الناموس: هو جبريل عليه السلام، وكذا يسميه أهل الكتاب.

(٣) حال رأيى: تحول وتغير.

المنسم[١]، وإن الرجل لنبى، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إنى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى، ولا أذكر ما تأخر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عمرو، بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها؛ قال: فبايعته، ثم انصرفت[٢].

قال ابن هشام: ويقال: فإن الإسلام يحت[٣] ما كان قبله، وإن الهجرة تحت ما كان قبلها.

إسلام عثمان بن طلحة: قال ابن إسحاق، وحدثنى من لا أتهم: أن عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة، كان معهما، حين أسلما.

قال ابن إسحاق: فقال ابن الزبعرى السهمى:

أنشد عثمان بن طلحة حلفنا	وملقى نعال القوم عند المقبل[٤]
وما عقد الآباء من كل حلف	وما خالد من مثلها بمحلل
أمفتاح بيت غير بيتك تبتغى	وما يبتغى من مجد بيت مؤثل[٥]
فلا تأمنن خالداً بعد هذه	وعثمان جاء بالدهيم المعضل[٦]

وكان فتح بنى قريظة فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة، وولى تلك الحجة المشركون.

****

(١) استقام المنسم: هذا مثل معناه لقد تبين الأمور ووضح ولم يعد فيه لبس ولا شك.

(٢) اسناده حسن. ورواه أحمد (٤/ ١٩٨، ١٩٩) والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٩/ ١٢٣) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٣٥١) رواه أحمد والطبرانى ورجالهما ثقات. اهـ. قلت: وروى مسلم فى «صحيحه» (١٢١) فى «الإيمان»: باب كون الإسلام يهدم قبله. من طريق ابن شمامة المهرى قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقه الموت، فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار.. وفيه، فلما جعل الله الإسلام فى قلبى، أتيت النبى ﷺ فقلت: ابط يمينك فلأبايعك، أبسط يمينه، قال: فقبضت يدى، قال: «مالك يا عمرو؟ قال: قلت أردت أن أشترط قال: تشترط ماذا؟ قلت: أن يُغفر لى، قال: أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله.

(٣) يحت: يسقط.

(٤) المقبل: مكان التقبيل، وأراد به الحجر الأسود.

(٥) المجد المؤثل: القديم.

(٦) الدهيم: أراد به الداهية. والمعضل: الأمر الشديد الذى يعسر الخلاص منه

غزوة بنى لحيان

«بسم الله الرحمن الرحيم»

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهرى ربيع، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدى وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غرة[(١)].

فخرج من المدينة ﷺ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فسلك على غراب، جبل بناحية المدينة على طريقة إلى الشام، ثم على محيص، ثم على البتراء، ثم صفق ذات اليسار[(٢)]، فخرج على بين، ثم على صحيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ السير[(٣)] سريعاً، حتى نزل على غران، وهى منازل بنى لحيان، وغران واد بين أمج وعسفان، إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبال. فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم ما أراد. قال: لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة، فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم، ثم كر وراح رسول الله ﷺ قافلا.

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعا: آيبون تاتبون إن شاء الله لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر[(٤)] وكآبة[(٥)] المنقلب، وسوء المنظر فى الأهل والمال[(٦)]:

---

(١) الغرة: الغفلة. (٢) صفق ذات السار: عدل نحوها ومال إليها.

(٣) أغذ السير: أى أسرع السير.

(٤) وعثاء السفر: الشدة والمشقة اللتان تواجهان الإنسان فى سفره وما سوى ذلك.

(٥) الكآبة: الحزن.

(٦) وروى هذا الدعاء البخارى (٧/ ٤٠٦) ومسلم (٣٤٣) وأحمد (١/ ٢٥٦، ٢/ ٥، ١٠، ١٥، ٢٨، ٦٢، ١٠٥، ١٤٤، ١٥٠و ٣٦/ ١٨٧، ١٨٩، ٤/ ٢٣١/ ٢٨٩، ٢٩٨، ٣٠٠) وأبو داود والترمذى (٣٥٠٠)، ومالك فى «الموطأ» (١/ ٤٢١/ ٢٤٣) والدارمى (٥٠) والطبرانى فى «الكبير» (٧/ ٣٢٢) (فى ٧٠٩٢).

والحديث فى غزوة بنى لحيان، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبى بكر، عن عبد الله ابن كعب بن مالك؛ فقال كعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان:

لو ان بنى لحيان كانوا تناظروا ... لقوا عصبا فى دارهم ذات مصدق[١]
لقوا سرعانا يملأ السرب روعه ... أمام طحـــــون كالمجرة فيلق[٢]
ولكنهم كانوا وباراً تتبعت ... شعاب حجاز غير ذى متنفق[٣]

******

غزوة ذى قَرَد[٤]

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة؛ فلم يقم بها إلا ليالى قلائل، حتى أغار عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى؛ فى خيل من غطفان على لقاح[٥] لرسول الله ﷺ بالغابة، وفيها رجل من بنى غفار وامرأة له، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، كل قد حدث فى غزوة ذى قرد بعض الحديث: أنه كان أول من نذر بهم[٦] سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى، غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف فى ناحية سلع، ثم صرخ: واصباحاه، ثم خرج يشتد فى آثار القوم، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم، فجعل يردهم بالنبل، ويقول إذا رمى: خذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضع[٧]، فإذا

---

(١) تناظروا: انتظر بعضهم بعضاً. والعصب: جمع عصبة وهى الجماعة

(٢) السرعان: أول القوم. والسرب: الطريق. والروع: الفزع. والطحون: أراد كتيبة تطحن كل ما مرت به. والمجرة: البياض المستطيل أمام النجوم فى السماء. والفيلق: الكتيبة الشديدة.

(٣) الوبار: جمع وبر، وهى دويبة تشبه الهرة، وهو عندهم مثال الجبن والضعف. والشعاب: جمع شعب وهو المنخفض بين جبلين. وحجاز: يعنى مكة وما يليها. والمتنفق: أراد به الباب الذى يخرج منه.

(٤) قال النووى: «قرد» هو بفتح القاف والراء وبالدال المهملة، وهو ماء على نحو يوم من المدينة مما يلى بلاد غطفان. وقد روى سياق هذه الغزوة الامام مسلم فى «صحيحه» (٤٥٩٧) كتاب المغازى، باب: غزوة ذى قرد وغيرها.

(٥) اللقاح: الإبل ذات اللبن قريبة العهد بالولادة.

(٦) نذر بهم: أى علم بهم.

(٧) الرضع: جمع راضع، وهو اللئيم، وأراد أن هذا اليوم هو اليوم الذى يهلك فيه هؤلاء.

وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرمى رمى، ثم قال: خذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضع، قال: فيقول قائلهم: أويكعنا هو أول النهار.

تسابق الفرسان: قال: وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة الفزع الفزع، فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ.

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان: المقداد بن عمرو، وهو الذى يقال له: المقداد بن الأسود، حليف بنى زهرة، ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار، عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء، أحد بنى عبد الأشهل، وسعد بن زيد، أحد بنى كعب بن عبد الأشهل، وأسيد بن ظهير، أخو بنى حارثة بن الحارث: يشك فيه، وعكاشة بن محصن، أخو بنى أسد ابن خزيمة، ومحرز بن نضلة، أخو بنى أسد بن خزيمة، وأبو قتادة الحارث بن ربعى، أخو بنى سلمة، وأبو عياش، وهو عبيد بن زيد بن الصامت، أخو بنى زريق. فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد، فيما بلغنى، ثم قال: اخرج فى طلب القوم؛ حتى ألحقك فى الناس.

وقد قال رسول الله ﷺ، فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق، لأبى عياش: يا أبا عياش، لو أعطيت هذا الفرس رجلا، هو أفرس منك فلحق بالقوم؟ قال أبو عياش: فقلت يا رسول الله، أنا أفرس الناس، ثم ضربت الفرس، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى، فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول: لو أعطيته أفرس منك، وأنا أقول: أنا أفرس الناس، فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص، أو عائذ بن ماعص ابن قيس بن خلدة، وكان ثامنا، وبعض الناس يعد سلمة بن الأكوع أحد الثمانية، ويطرح أسيد بن ظهير، أخا بنى حارثة، والله أعلم أى ذلك كان. ولم يكن سلمة يومئذ فارساً، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه. فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا.

محرز بن نضلة ومقتله: قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة، أخو بنى أسد بن خزيمة ـ وكان يقال لمحرز:

الأخرم، ويقال له قمير - وأن الفزع لما كان، جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط، حين سمع صاهلة الخيل، وكان فرسا صنيعا[1] جاما، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل، حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه ياقمير، هل لك فى أن تركب هذا الفرس؟ فإنه كما ترى، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين ؟ قال: نعم، فأعطينه إياه. فخرج عليه، فلم يلبث أن بذ الخيل[2] بجمامه[3]، حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال: قفوا يامعشر بنى اللكيعة[4] حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قال: وحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس، فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه[5] من بنى عد الأشهل فلم يقتل من المسلمين غيره.

قال ابن هشام: وقتل يومئذ من المسلمين مع محرز، وقاص بن مجزز المدجلى، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم.

أفراس المسلمين: قال ابن إسحاق: وكان اسم فرس محمود: ذا اللمة.

قال ابن هشام: وكان اسم فرس سعد بن زيد: لاحق، واسم فرس المقداد بعزجة، ويقال: سبحة، واسم فرس عكاشة بن محصن: ذو اللمة، واسم فرس أبى قتادة: حزوة، وفرس عباد بن بشر: لماع، وفرس أسيد بن ظهير: مسنون، وفرس أبى عياش: جلوة

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك: أن مجززاً إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن، يقال له الجناح، فقتل مجزز واستلبت الجناح.

قتلى المشركين: ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربعى، أخو بنى سلمة، حبيب بن عيينة بن حصن، وغشّاه برده، ثم لحق بالناس.

وأقبل رسول الله ﷺ فى المسلمين.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: فإذا حبيب مسجى ببرد أبى قتادة، فاسترجع الناس وقالوا: قتل أبو قتادة، فقال رسول الله ﷺ: ليس بأبى قتادة، ولكنه قتيل لأبى قتادة، وضع عليه

(١) الفرس الصنيع: الذى يخدمه أهله ويقومون عليه.
(٢) بذ الخيل: سبقها وفاتها.
(٣) جمامه: نشاطه
(٤) اللكيعة: اللئيمة
(٥) يقصد بالآريه هنا: الموضع الذى يربط به الفرس.

برده، لتعرفوا أنه صاحبه.

وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار، وهما على بعير واحد، فانتظمهما بالرمح، فقتلهما جميعا، واستنقذوا بعض اللقاح، وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذى قرد؛ وتلاحق به الناس، فنزل رسول الله ﷺ به، وأقام عليه يوماً وليلة؛ وقال له سلمة بن الأكوع: يارسول الله، لو سرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح، وأخذت بأعناق القوم؟ فقال رسول الله ﷺ، فيما بلغنى: إنهم الآن ليغبقون [1] فى غطفان.

تقسيم الفىء بين المسلمين: فقسم رسول الله ﷺ فى أصحابه فى كل مئة رجل جزورا، وأقاموا عليها، ثم رجع رسول الله ﷺ قافلا حتى قدم المدينة.

لانذر فى معصية: وأقبلت امرأة الغفارى على ناقة من إبل رسول الله ﷺ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر، فلما فرغت، قالت: يارسول الله، إنى قد نذرت لله أن أنحرها إن نجانى الله عليها؛ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها! إنه لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين، إنما هى ناقة من إبلى، فارجعى إلى أهلك على بركة الله [2].

والحديث عن امرأة الغفارى وما قالت، وما قال لها رسول الله ﷺ، عن أبى الزبير المكى، عن الحسن بن أبى الحسن البصرى.

ما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد: وكان مما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد قول حسان بن ثابت:

لولا الذى لاقت ومس نسورها ... بجنوب ساية أمس فى التقواد [3]

للقينكم يحملن كل مدجج ... حامى الحقيقة ماجد الأجداد [4]

ولسر أولاد اللقيطة أننا ... سلم غداة فوارس المقداد [5]

(١) الغبق: شرب اللبن بالعشى.

(٢) حديث امرأة الغفارى إسناده مرسل. ولكن روى نحوه مسلم فى «صحيحه» (٤١٦٧) كتاب النذور، والأيمان، باب: لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك العبد. وأبو داود (٣٣١٦) فى الأيمان والنذور باب: فى النذر فيما لا يملك. والنسائى فى «السير» فى «الكبرى» كما فى «تحفة الأشراف» (٨/ ٢١٢).

(٣) النسور: جمع نسر، وهو قطعة صلبة تكون فى بطن الحافر كأنها نواة. وساية: واد بين المدينة ومكة. والتقواد: أى قيادة الفرس.

(٤) المدجج: الكامل السلاح. والماجد: الشريف. وحقيقة الرجل: ما يلزمه حفظه ويجب عليه منعه ويحق حمايته والدفاع عنه. والحقيقة أيضاً الراية.

(٥) اللقيطة: هى أم حصن بن حذيفة، وكان حذيفة قد التقطها فى جوار قد أضر بهن الجدب فضمها إليه ثم أعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها، والمقداد: هو المقداد بن الأسود.

كنا ثمانية وكانوا جحفلا ... لجبا فشكوا بارماح بداد[٦]

كنا من القوم الذين يلونهم ... ويقدمون عنان كل جواد[٢]

كلا ورب الراقصات إلى منى ... يقطعن عرض مخارم الأطواد[٣]

حتى نبُيل الخيل فى عرصاتكم ... ونؤوب بالملكات والأولاد[٤]

رهواً بكل مقلص وطمرة ... فى كل مفترك عطفن روادى[٥]

أفنى دوابرها ولاح متونها ... يوم نُقاد به ويوم طراد[٦]

فكذاك إن جيادنا ملبونة ... والحرب مشعلة بريح غواد[٧]

وسيوفنا بيض الحدائد تجتلى ... جنن الحديد وهامة المرتاد[٨]

أخذ الإله عليهم لحرامه ... ولعزة الرحمن بالأسداد[٩]

كانوا بدار ناعمين فبدلوا ... أيام ذى قرد وجوه عباد[١٠]

قال ابن هشام: فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد، وحلف أن لايكلمه أبداً؛ قال: انطلق إلى خيلى وفوارسى فجعلها للمقداد! فاعتذر إليه حسان وقال: والله ما ذاك أردت، ولكن الروى وافق اسم المقداد؛ وقال أبياتا يرضى بها سعداً:

إذا أردتم الأشد الجلدا ... أو ذا غناء فعليكم سعدا

سعد بن زيد لا يهد هدا

فلم يقبل منه سعد ولم يغن شيئا

وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قرد:

---

(١) الجحفل: الجيش الكثير. واللجب: الكثير الأصوات. وشكوا بالرماح: طعنوا بالرماح. وبداد: هو من التبدد وهو التفرق.

(٢) يلونهم: من الولاء، أى يصادقونهم.

(٣) الراقصات ههنا: الإبل. والرقص للإبل نوع من المشى. والمخارم: الطرق. والأطواد: الجبال.

(٤) نبيل الخيل: نجعلها تبول. والعرصات: جمع عرصة وهى وسط الدار، وأراد لا نواليكم حتى نقتحم عليكم دوركم وندخلها بالخيل. ونؤوب: نرجع. والملكات: النساء، يريد حتى نرجع بالسبايا والغنائم.

(٥) الرهو: المشى فى تؤدة. والمقلص: المشمر. وطمرة: فرسة سريعة. وروادى: سريعة.

(٦) دوابرها: جمع دابر. وهو من الدبر، والدبر: الجرح يكون فى ظهر الدابة، وقيل هو أن يقرح خف البعير. ولاح متونها: المتون: جمع متن وهو الظهر، وتقول: لاحه العطش ولاحته الشمس إذا غيرته، والطراد: مطاردة الأقران. والفرسان، وهو أن يحمل بعضهم على بعض فى الحروب.

(٧) ملبونه: تسقى اللبن. ومشعلة: موقدة.

(٨) تجتلى: تقطع. والجنن: جمع جنة، وهى السلاح. والهامة: الرأس ههنا. والمرتاد: الطالب للحرب.

(٩) الأسداد: جمع سد وهو ما يسد به على الإنسان فيمنعه عن وجهه

(١٠) وجوه عباد: أراد وجوه عبيد.

أظـــن عيينة إذ زارهـــــا ... بأن ســـوف يهـــدم فيها قصورا[1]
فأكـــذبت ماكنـت صدقتـه ... وقلـتم سنغنـم أمـــراً كبـيرا
فعفـــت المدينـــة إذ زرتهـــا ... وآنســـت للأســـد فيـهـا زئيرا[2]
فولوا ســـراعـــا كشـد النعـام ... ولـم يكشـفوا عـن مُلط حصيرا[3]
أميـــر علينـــا رســـول المليك ... أحـــبب بـــذاك إلينـــا أميـــرا
رســـول نصـــدق مـــا جـاءه ... ويتلـــوا كـــتابا مضيئـا منيـــرا

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قرد للفوارس:

أتحـسب أولاد اللقيطـــة أننـــا ... على الخـيل لسنا مثلهم فى الفوارس
وإنا أنـــاس لا نـــرى القتل سبة ... ولا نـنثنى عنـد الرمـاح المداعس[4]
وإنا لنقرى الضيف مـن قمع الذرا ... ونضرب رأس الأبـلخ المتشـاوس[5]
نرد كـماة المُعلـمين إذا انتخوا ... بضرب يسلـى نخـــوة المتقاعـــس[6]
بكل فتى حـــامى الحـقيقة ماجد ... كـريم كسرحان الغضـاة مخالس[7]
يذودون عن أحـــسابهم وتلادهم ... ببيض تقـد الهام تحـت القوانس[8]
فسائل بـنى بـــدر إذا مـــا لقيتهم ... بما فعـل الإخـوان يـوم التمارس[9]
إذا مـا خـرجتم فاصدقوا من لقيتم ... ولا تكتموا أخـبـاركم فـى المجالس
وقولوا زللنا عن مـخـالب خـادر ... به وحَر فـى الـصدر ما لم يمارس[10]

قال ابن هشام: أنشدنى بيته: «وإنا لنقرى الضيف» أبو زيد.

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمى، فى يوم ذى قرد: لعيينة بن

(١) زارها: الضمير راجع إلى المدينة. (٢) عفت: كرهت. وزئير الأسد: صوتها. وآنست: وجدت..
(٣) كشد النعام: أى مسرعين. والملط: هو الذى لصق بالأرض. والحصير: وجه الأرض..
(٤) المداعس: جمع مدعس، وهو الطاعن، تقول: دعسه بالرمح إذا طعنه به،
(٥) القمع: جمه قمعة، وهو أعلى سنام البعير. والأبلخ: المتكبر. والمتشاوس: الذى ينظر بمؤخرة عينه نظر المتكبرين.
(٦) النخوة: الكبر. والمتقاعس: الذى لا يلين ولا ينقاد.
(٧) السرحان: الذئب. والغضاة: شجرة ويقال: إن أخبث الذئاب وأفتكها ذئاب الغضى. والمخالس: الذى يختلس الفرصة.
(٨) يزودون: يدفعون. والتلاد: المال القديم. وتقد: تقطع. والهام: الرءوس. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى بيض الحديد.
(٩) التمارس: المضاربة فى الحرب.
(١٠) خادر أسد يسكن الخدر. والخدر: الأجمة. والوحر: الحقد.

حصن وكان عيينة بن حصن يكنى بأبى مالك:

فهلا كررت أبا مالك ... وخيلك مدبرة تقتل
ذكرت الإياب إلى عسجر ... وهيهات قد بعد المُقفل[1]
وطمنت نفسك ذا ميعة ... مِسحّ الفضاء إذا يرسل[2]
إذا قبضته إليك الشما ... لَ جاش كما اضطرم المرجل[3]
فلما عرفتم عباد الإلـ ... ـه لم ينظر الآخر الأول[4]
عرفتم فوارس قد عودوا ... طراد الكماة إذا أسهلوا[5]
إذا طردوا الخيل تشقى بهم ... فضاحا وإن يُطردوا ينزلوا[6]
فيعتصموا فى سواء المقا ... م بالبيض أخلصها الصيقل[7]

غزوة بنى المصطلق
فى شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة، فى شعبان سنة ست.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى؛ ويقال: نميلة بن عبد الله الليثى.

سببها: قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان، كل قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق، قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ. فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بنى المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم عليه.

استشهاد ابن صبابة خطأ: وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن

(١) الإياب: الرجوع. وعسجر: اسم موضع. والمقفل: أى الرجوع.
(٢) ذاميعة: أراد فرس ذا نشاط. والمسح: الكثير الجرى. والفضاء: المتسع من الأرض.
(٣) جاش: تحرك. واضطرم: اتقد والتهب. والمرجل: القدر. (٤) لم ينظر: لم ينتظر
(٥) طراد: مطاردة، وهى أن يطرد بعضهم. بعضا والكماة: الشجعان وأسهلوا: نزلوا سهل الأرض.
(٦) فضاح: بكسر الفاء المفاضحة. (٧) أخلصها الصيقل: أزال ما عليها من الصدأ.

عامر بن ليث بن بكر، يقال له: هشام بن صبابة؛ أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ.

الفتنة بين المهاجرين والأنصار: فبينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار، يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى، حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين: فغضب عبد الله بن أبى بن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش[1] إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك[2]، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتوهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله: فقال له رسول الله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه لا ولكن أذن بالرحيل، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس.[3]

نفاق ابن أبى: وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول إلى رسول الله ﷺ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قال، ولا تكلمت به. ـ وكان فى قومه شريفا عظيما ـ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه، ولم يحفظ ما قال، حدبا على ابن أبى بن سلول، ودفعا عنه.

---

(١) جلابيب قريش: هذا لقب كان المشركين يلقون به أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة.

(٢) سمن كلبك يأكلك: هذا مثل من أمثال العرب.

(٣) عن جابر رضى الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصارى: ياللأنصار، وقال المهاجرى: ياللمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال دعوى الجاهلية؟**» قالوا: يارسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: «**دعوها فإنها منتنة**» فسمعها عبد الله بن أبى فقال: قد فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال عمر: دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «**دعه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**» رواه البخارى(٨/ ٤٦٨) ومسلم(٦٤٦٠) وأحمد(٣/ ٣٣٨) وعبد الرزاق(٩/ ٤٦٨) والترمذى(٣٣١٥) والنسائى فى الكبرى كما فى«تحفة الأشراف» (٢/ ٢٥٤).

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله ﷺ وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبى الله، والله لقد رحت فى ساعة منكرة، ما كنت تروح فى مثلها؛ فقال له رسول الله ﷺ: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأى صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أبى؛ قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال. فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز؛ ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبى.

ثم راح رسول الله ﷺ بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع؛ يقال له: بقعاء. فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوفوها؛ فقال رسول الله ﷺ: لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار[1]، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد ابن التابوت، أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عظماء يهود، وكهفا للمنافقين، مات فى ذلك اليوم.

ما نزل فى ابن أبى: ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: هذا الذى أوفى الله بأذنه، وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه.

موقف عبد الله من أبيه: قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن قتادة: أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلا فمرنى به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله ابن أبى يمشى فى الناس، فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله ﷺ بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا.

---

(١) روى مسلم فى صحيحه(٦٩٠٣) كتاب صفات المنافقين عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب. فزعم أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت هذه الريح لموت منافق» فلما قدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات.

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذى يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه؛ فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: كيف ترى يا عمر؛ أما والله لو قتلته يوم قلت أقتله. لأُرْعدتْ له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته؛ قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى.

مخادعة مقيس: قال ابن إسحاق: وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلما، فيما يظهر، فقال: يا رسول الله، جئتك مسلما، وجئتك أطلب دية أخى، قتل خطأ. فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابة؛ فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً؛ فقال فى شعر يقوله:

شفى النفس أن مات بالقاع مسندا ... تضرج ثوبيه دماء الأخادع[(١)]
وكانت هموم النفس من قبل قتله ... تلم فتحمينى وطاء المضاجع[(٢)]
حللت به وترى وأدركت ثؤرتى ... وكنت إلى الأوثان أول راجع[(٣)]
ثأرت به فهراً وحملت عقله ... سراة بنى النجار أرباب فارع[(٤)]

وقال مقيس بن صبابة أيضاً:

جللته ضربة باتت لها وشل ... من ناقع الجوف يعلوه وينصرم[(٥)]
فقلت والموت تغشاه أسرته ... لا تأمنن بنى بكر إذا ظلموا[(٦)]

قال ابن هشام: وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق: يا منصور، أمِت أمِت.

قتلى بنى المصطلق: قال ابن إسحاق: وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين، مالكا وابنه، وقتل عبد الرحمن ابن عوف رجلا من فرسانهم، يقال له: أحمر، أو أحيمر.

جويرية بنت الحارث رضى الله عنها: وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبيا

(١) القاع: المنخفض من الأرض. وتضرج: تلطخ. والأخادع: يريد الأخدعان وهما عرقان بالقفا. وجمعهما لأنه أرادهما وحولهما.
(٢) تلم: تنزل. وتحمينى: تمنعنى. ووطاء المضاجع: ليناتها.
(٣) الوتر: طلب الثأر. والثؤرة: الثأر.
(٤) العقل: الدية. وسراة بنى النجار: خيارهم وأشرافهم. وفارع: اسم حصن من حصونهم.
(٥) جللته: أراد علوته بها. والوشل: القطر. وناقع الجوف: أراد به الدم. وينصرم: ينقطع.
(٦) الأسرة: التكسر الذى يكون فى جله الوجه والجبهة.

كثيراً، فقاسمه فى المسلمين؛ وكان فيمن أصيب يؤمئذ من السبايا جويرية بنت الحارث ابن أبى ضرار، زوج رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة مُلاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها. قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها: وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، سيد قومه، وقد أصابنى من البلاء، ما لم يخف عليك، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسى، فجئتك أستعينك على كتابتى؛ قال: فهل لك فى خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضى عنك كتابتك وأتزوجك؛ قالت: نعم يا رسول الله؛ قال: قد فعلت.

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم. قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها[1].

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء، فرغب فى بعيرين منها، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبى ﷺ وقال: يا محمد، أصبتم ابنتى، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق، فى شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وإنك محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبى ﷺ، ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت، وحسن إسلامها؛ فخطبها رسول الله ﷺ إلى

(١) إسناده صحيح. ورواه أحمد(٦/ ٢٧٧) والطبرى فى «تاريخه»(٢/ ٦١٠) من طريق ابن إسحاق.

أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربعمائة درهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان: أن رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبى معيط، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم، فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم، حتى هم رسول الله ﷺ بأن يغزوهم، فبينا هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنكرمه، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة، فانشمر راجعا[1]، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله، والله ما جئنا لذلك، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم...﴾** [2]إلى آخر الآية.

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك، كما حدثنى من لا أتهم عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها، حتى إذا كان قريبا من المدينة، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك، قال فيها أهل الإفك ما قالوا.

****

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

قال ابن إسحاق: حدثنا الزهرى، عن علقمة بن وقاص، وعن سعيد بن جبير، وعن عروة بن الزبير، وعن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، قال: كل قد حدثنى بعض هذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم.

قال محمد بن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة وعبد الله بن أبى بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، عن نفسها، جين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه، وكل كان عنها ثقة، فكلهم حدث عنها

---

(١) انشمر راجعاً: جد وأسرع فى العودة.

(٢) قال ابن كثير فى «تفسيره» (٤/٢٠٨) ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط حين بعثة رسول الله ﷺ على صدقات بنى المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده. . .ثم ساق الحافظ ابن كثير رواية أحمد وهى بنحو ما ذكر ابن إسحاق كما رواها ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٦/ ١٢٣) من طريق آخر. والآيات من سورة الحجرات: ٦ـ ٧.

ما سمع، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه؛ فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمى عليهن معه، فخرج بى رسول الله ﷺ.

قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق[١] لم يهجهن اللحم[٢] فيثقلن، وكنت إذا رُحل لى بعيرى جلست فى هودجى، ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى ويحملوننى، فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك، وجه قافلا، حتى إذا كان قريبا من المدينة فنزل منزلا، فبات به بعض الليل، ثم أذن فى الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتى، وفى عنقى عقد لى، فيه جزع[٣] ظفار، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى، فلم أجده، وقد أخذ الناس فى الرحيل، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافى، الذين كان يرحلون لى البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج، وهم يظنون أنى فيه، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب. قد انطلق الناس.

قالت: فتلففت بجلبابى، ثم اضطجعت فى مكانى، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلى، قالت: فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادى[٤]، فأقبل حتى وقف على، وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآنى قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ! وأنا متلففة فى ثيابى؛ قال: ما خلفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته، ثم قرب البعير، فقال: اركبى، واستأخر عنى. قالت: فركبت، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعا، يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى، فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتعج العسكر[٥]، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة، ولا يبلغنى من ذلك

---

(١) العلق: جمع علقة، وهى ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية، تريد أن طعامهن كان قليلاً فهن نحيفات غير بدينات.

(٢) التهيج: انتفاخ الجسم .

(٣) الجزع: الخرز. وظفار: اسم مدينة. .

(٤) السواد ههنا: الشخص .

(٥) ارتعج العسكر: اضطرب.

شيء وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ، وإلى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بى، كنت إذا اشتكيت رحمنى، ولطف بى، فلم يفعل ذلك بى فلم شكواى تلك: فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل على وعندى أمى تمرضنى - قال ابن هشام: وهى أم رومان، واسمها زينب بنت عبد دهمان، أحد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة - قال: كيف تيكم، لا يزيد على ذلك.

قال ابن إسحاق: قالت: حتى وجدت فى نفسى، فقلت: يا رسول الله، حين رأيت ما رأيت من جفائه لى: لو أذنت لى، فانتقلت إلى أمى، فمرضتنى؟ قال: لا عليك، قالت: فانتقلت إلى أمى، ولا علم لى بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نذهب فى فسح المدينة، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن تيم، خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه؛ قالت: فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مرطها[1]؛ فقالت: تعس[2] مسطح! ومسطح لقب واسمه عوف، قالت: قلت: بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك، قالت: قلت: أو قد كان هذا؟ قالت نعم والله فقد كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى، ورجعت، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى[3]، قالت: وقلت لأمى: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لى من ذلك شيئا! قالت: أى بنية، خفضى عليك الشأن[4]، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا كثرن وكثَّرَ الناس عليها.

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً، وما يدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى.

---

(١) المرط: الكساء

(٢) تعس: معناه شقى أو أهلكه الله

(٣) يصدع كبدى: يشقها

(٤) خفضى عليك الشأن: هونى الأمر على نفسك

قالت: وكان كبر ذلك عن عبدالله بن أبى بن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمنة بت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصينى[١] فى المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حمنة بنت جحش، فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تضادنى لأختها، فشقيت بذلك.

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حضير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج، فمرنا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم؛ قالت: فقام سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحا فقال: كذبت لعمر الله، لا نضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا، فقال أسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين: قالت: وتثاور الناس[٢]، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر. ونزل رسول الله ﷺ، فدخل على.

قالت فدعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه، وأسامة بن زيد، فاستشارهما؛ فأما أسامة فأثنى على خيرا، وقاله؛ثم قال يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا، وهذا الكذب والباطل: وأما على فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية، فإنها ستصدقك. فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها؛ قالت: فقام إليها على ابن أبى طالب، فضربها ضربا شديداً، ويقول: اصدقى رسول الله ﷺ؛ قالت؛ فتقول والله ما أعلم إلا خيرا، وما كنت أعيب على عائشة شيئا، إلا إنى كنت أعجن عجينى، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتى الشاة فتأكله.

قالت: ثم دخل علىّ رسول الله ﷺ، وعندى أبواى، وعندى امرأة من الأنصار، وأنا أبكى، وهى تبكى معى، فجلس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: يا عائشة، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقى الله، وإن كنت قد قارفت[٣] سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده؛ فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك، فقلص[٤] دمعى حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبوى أن يجيبا عن رسول الله ﷺ، فلم يتكلما قالت: وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى، وأصغر

(١) أى تنازعنى الرتبة والمنزلة من نفس رسول الله ﷺ.
(٢) تثاور الناس: ثار بعضهم إلى بعض وقام بعضهم نحو بعض.
(٣) قارفت سوءاً: اى أتيت ذنباً.
(٤) قلص الدمع: ارتفع.

شأنا من أن ينزل الله فى قرآنا يقرأ به فى المساجد، ويصلى به، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومه شيئا يكذب به الله عنى، لما يعلم من براءتى، أو يخبر خبرا؛ فأما قرآن ينزل فى، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك. قالت: فلما لم أر أبوى يتكلمان، قالت: قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟ قالت: فقالا: والله ما ندرى بماذا نجيبه؛ قالت: والله ما أعلم أهل بيت عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام؛ قالت: فلما أن استعجما علىّ، استعبرت فبكيت؛ ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا، والله إنى لأعلم لئن أقــررت بما يقول الناس، والله يعلم أنى منه بريئة، لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لاتصدقوننى. قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره؛ فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: جميل

﴿**فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون**﴾. قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسُجِّى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت ولا باليت قد عرفت أنى بريئة، وأن الله عز وجل غير ظالمى، وأما أبواى، فوالذى نفس عائشة بيده، ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما، فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس، قالت: ثم سرى عن رسول الله ﷺ، فجلس، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان[1] فى يوم شات، فجمل يمسح العرق عن جبينه، ويقول: أبشرى يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك، قالت قلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس، فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك، ثم أمر بمسطح ابن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حدهم[2].

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول

---

(١) الجمان: اللؤلؤ..

(٢) خبر الإفك بطوله. رواه البخارى فى «الشهادات» باب: تعديل النساء بعضهن بعضاً (٢٦٦١) (٥/ ٢٦٩) وفى المغازى وفى التفسير وفى الأيمان النذور وفى الاعتصام وفى الجهاد وفى التوحيد. وورواه مسلم(٦٨٨٢) كتاب التوبة، باب: فى حديث الافك. والترمذى(٣١٨٠) فى التفسير «سورة النور» والنسائى فى «عشرة النساء» (ح٤٥) وفى «الكبرى» كما فى «تحفة الأشراف» (١١/ ٤١٤) والطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٦١١ـ ٦١٦).

الناس فى عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك.

قالت: فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال تعالى(١): **﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم، لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾**، وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا.

قال ابن هشام: ويقال: وذلك عبد الله بن أبى وأصحابه.

قال ابن هشام: والذى تولى كبره عبد الله بن أبى، وقد ذكر ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا. ثم قال تعالى: **﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾**: أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته، ثم قال: **﴿إذ تلقونه بألسنتكم، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هينا، وهو عند الله عظيم﴾**.

فلما نزل هذا فى عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال، أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً، ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة، وأدخل علينا، قالت: فأنزل الله فى ذلك: **﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم، والله غفور رحيم﴾**(٢).

قال ابن هشام: يقال: كِبره وكبره فى الرواية، وأما فى القرآن فكبره بالكسر.

قال ابن هشام: **﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم﴾** ولا يأل أولوا الفضل منكم - قال امرؤ القيس بن حجر الكندى:

ألا رب خصم فيك ألوى رددته ... نصيح على تعذاله غير مؤتل(٣)

وهذا البيت فى قصيدة له، ويقال: **﴿ولا يأتل أولوا الفضل﴾**: ولا يحلف أولو الفضل، وهو قول الحسن بن أبى الحسن البصرى، فيما بلغنا عنه.

وفى كتاب الله تعالى: **﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾**(٤) وهو من الألية، والألية: اليمين: قال حسان بن ثابت:

---

(١) النور: ١١- ١٥ . (٢) النور: ٢٢.

(٣) الألوى: الشديد الخصومة. ومؤتل: أى مقصر، والمراد من قوله «رددته» أنه لم يقبل نصحه، ومعنى أنه غير مؤتل أنه مبالغ فى نصحه.

(٤) البقرة: ٢٢٦

آليت ما فى جميع الناس مجتهدا ... منى ألية بر غير إفناد[١]

وهذا البيت فى أبيات له، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها. فمعنى: أن يؤتوا فى هذا المذهب: أن لا يؤتؤا، وفى كتاب الله عز وجل: ﴿**يبين الله لكم أن تضلوا**﴾[٢] يريد: أن لا تضلوا؛ ﴿**ويمسك السماء أن تقع على الأرض**﴾[٣] يريد أن لا تقع على الأرض، وقال ابن مفرغ الحميرى:

لا ذعرْتُ السوام فى وضح الصبـ ... ـح مغيرا ولا دعيت يزيدا[٤]

يوم أعطى مخافة الموت ضيما ... والمنايا يرصدننى أن أحيدا[٥]

يريد: أن لا أحيد؛ وهذان البيتان فى أبيات له.

قال ابن إسحاق: قالت: فقال أبو بكر: بلى والله، إنى لأحب أن يغفر الله لى، فرجع إلى مسطح نفقته التى ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

قال ابن إسحاق: ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف، حين بلغه ما كان يقول فيه، وقد كان حسان قال شعرا مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه، وبمن أسلم عن العرب من مضر، فقال:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقدكثروا ... وابن الفريعة أمسى بيضة البلد[٦]

ثكلت أمه من كنت صاحبه ... أو كان منتشبا فى برثن الأسد[٧]

ما لقتيلى الذى أغدو فآخذه ... من دية فيه يعطاها ولا قود[٨]

ما البحر حين تهب الريح شامية ... فيغطئل ويرى العبر بالزبد[٩]

يوما بأغلب منى حين تبصرنى ... ملغيظ أفرى كفرى العارض البرد[١٠]

أما قريش فإنى لن أسالمهم ... حتى ينيبوا من الغيات للرشد[١١]

---

(١) آليت: أقسمت وحلفت. والألية: اليمين. والبر: الصادق. والمجتهد: الذى لم يقصر. والإفناد: الكذب.

(٢) النساء: ١٧٦ ‏ (٣) الحج: ٦٥

(٤) ذعرت: أفزعت وأخفت. والسوام: المال الذى يرسله صاحبه فى المرعى. ووضح الصبح: بياضه.

(٥) الضيم: الذل. وأحيد: أميل.

(٦) الجلابيب: لقب كان المشركون فى مكة يلقبون به أصحاب النبى ﷺ. والفريعة: أم حسان. وبيضة البلد: يريد أنه أصبح وحيداً لا نظير له ولا يقوى عليه أحد. وهذه عبارة تقال للمدح وتقال للذم أيضاً.

(٧) ثكلت: فقدت. ومنتشبًا: عالقاً. وبرثن الأسد: مخالبه وهى بمنزلة الأظفار للإنسان.

(٨) القود: قتل النفس بالنفس. ‏ (٩) يغطئل: يتحرك. والعبر: جانب النهر والبحر.

(١٠) ملغيظ: أراد من الغيظ، فحذف النون. وأفرى: أقطع. والعارض: السحاب. والبرد: الذى فيه برد.

(١١) ينيبوا: يرجعوا. والغيات: جمع غية وهى ضد الرشد.

ويتركوا اللات والعزى بمعزلة ويسجدوا كلهم للواحد الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم حق ويوفوا بعهد الله والوكد[1]

فاعترضه صفوان بن المعطل، فضربه بالسيف، ثم قال: كما حدثنى يعقوب بن عتبة:

تلق ذباب السيف عنى فإننى غلام إذا هوجيت لست بشاعر

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى: أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل، حين ضرب حسان، فجمع يديه إلى عنقه بحبل، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن رواحة، فقال؛ ما هذا؟ قال: أما أعجبك ضرب حسان بالسيف! والله ما أراه إلا قد قتله، قال له عبد الله بن رواحة: هل علم رسول الله ﷺ بشىء مما صنعت؟ قال: لا والله؛ قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل، فأطلقه، ثم أتوا رسول الله ﷺ، فذكروا له، فدعا حسان وصفوان ابن المعطل؛ فقال ابن المعطل: يا رسول الله: آذانى وهجانى، فاحتملنى الغضب، فضربته، فقال رسول الله ﷺ لحسان: أحسن يا حسان، أتشوهت على قومى أن هداهم الله للإسلام، ثم قال: أحسن يا حسان فى الذى أصابك، قال: هى لك يا رسول الله.

قال ابن هشام: ويقال: أبعد أن هداكم الله للإسلام.

قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن إبراهيم: أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضا منها بيرحاء، وهى قصر بنى حديلة اليوم بالمدينة، وكانت مالا لأبى طلحة بن سهل تصدق بها على آل رسول الله ﷺ، فأعطاها رسول الله ﷺ حسان فى ضربته وأعطاه سيرين، أمة قبطية، فولدت له عبد الرحمن بن حسان. قالت: وكانت عائشة تقول: لقد سئل عن ابن المعطل، فوجدوه رجلا حصورا، ما يأتى النساء، ثم قتل بعد ذلك شهيدا.

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها:

حصان رزان ماتُزَنّ بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل[2]
عقيلة حى من لؤى بن غالب كرام المساعى مجدهم غير زائل[3]

(١) الوكد: أراد به توكيد العهد وتقويته.

(٢) حصان: عفيفة. ورزان: ملازمة لموضعها. وتزن: تتهم. وغرث: جائعة، يريد أنها لا تنال عرض أحد. والغوافل: جمع غافلة.

(٣) العقيلة: الكريمة. والمساعى: هو ما يسعى فيه المرء من طلب المجد والمكارم.

مهذبــة قــد طيب الله خــيمها وطهرها مـن كـــل سـوء وباطل[1]
فإن كنت قد قلت الذى قد زعمتم فلا رفعت سوطى إلىّ أناملى[2]
وكيف وودى ما حييت ونصرتى لآل رســول الله زيـن المحـافل[3]
له رتب عــال علـى الناس كلهـم تقاصـــر عنـــه ســورة المتطاول[4]
فإن الــــذى قــد قيل ليس بلائط ولكنه قـــول امــرىء بــى ماحـل[5]

قال ابن هشام: بيته: «عقيلة حى» والذى بعده، وبيته: «له رتب عال» عن أبى زيد الأنصارى.

قال ابن هشام: وحدثنى أبو عبيدة: أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة، فقالت:

حـــصان رزان ما تـــزن بـــريبة وتصبح غـــرثـــى مـــن لحوم الغوافل

فقالت عائشة لكن أبوها.

قال ابن إسحاق: وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه فى فريتهم على عائشة ـ قال ابن هشام. فى ضرب حسان وصاحبيه ـ.

لقد ذاق حسان الذى كان أهله وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح[6]
تعاطَوْ برجم الغيب زوج نبيهم وسخطة ذى العرش الكريم فأترحوا[7]
وآذوا رسول الله فيها فجللوا مخازى تبقى عُمموها وفُضحوا
وصبت عليهم محصدات كأنها شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح[8]

****

(١) مهذبة: صافية مخلصة. والخيم: الطبع والأصل.
(٢) الأنامل: جمع أنملة وهى طرف الأصبع وربما عبر بها عن الأصبع، وأراد الدعاء على نفسه بشلل يده إن كان ما نسب إليه قد قاله حقاً.
(٣) المحافل: جمع محفل، وهو المكان الذى يجتمع فيه الناس.
(٤) رتب: جمع رتبة وهى المنزلة. والسورة: الوثبة
(٥) ليس بلائط: أى ليس بلاحق. والماحل: النمام الكاذب.
(٦) هجيراً: هو الهجر وهو الفحش من القول.
(ـ٧) الرجم: الظن، وأترحوا: أصيبوا بالترح وهو الحزن.
(٨) محصدات: أى سياطاً محكمة الفتل. والشآبيب: الدفعات من المطر. والذرى: الأعالى. والمزن: السحاب. وتسفح: تسيل.

أمر الحديبية فى آخر سنة ست، وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالا، وخرج فى ذى القعدة معتمراً، لا يريد حربا.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى.

قال ابن إسحاق: واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذى صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين، والأنصار ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له.

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية[١] يريد زيارة البيت، لا يريد قتالا، وساق معه الهدى سبعين بدنة[٢]، وكان الناس سبعمائه رجل، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر.

وكان جابر بن عبد الله، فيما بلغنى، يقول: كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مئة.[٣]

---

(١) الحديبية: هى قرية ليست بكبيرة، بالقرب من مكة، ويقال: إن بعضها من الحل وبعضها من الحرم، وسميت بذلك لبئر فيها تسمى الحديبية.

(٢) إسناده صحيح. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٢/ ٦٢٠) من طريق ابن إسحاق.

(٣) هذه الرواية فى تحديد العدد، رواها البخارى(٧/ ٤٤٣) عن جابر رضى الله عنه. وروى البخارى عنه أيضاً أنهم كانوا خمس مائة. وهناك رواية ثالثة فى البخارى أيضًا عن عبد الله بن أبى أوفى أنهم كانوا ألفًا وثلاثمائة. . قال الحافظ ابن حجر: والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال ألفاً وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألفا وأربعمائة ألغاه، ويؤيده قوله. . من حديث البراء(ألفاً وأربعمائة أو أكثر) واعتمد على هذا الجمع النووى، وأما البيهقى فمال إلى الترجيح، وقال: إن رواية من قال ألف وأربعمائة أصح. . وأما قول عبد الله بن أبى أوفى ألفاً وثلاثمائة فيمكن حمله على ما اطلع هو عليه، واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم والزيادة من الثقة مقبولة. أو العدد الذى ذكره جملة من ابتدأ الخروج من المدينة والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك، أو العدد الذى ذكره هو عدد المقاتلة والزيادة عليهم من الأتباع مثل الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم. وأما قول ابن إسحاق أنهم كانوا سبعمائة فلم يوافق عليه لأنه قال استنباطاً من قول جابر: «نحرنا البدنة عن عشرة» وكانوا نحروا سبعين بدنه وهذا لا يدل على أنهم لم ينحروا غير البدن مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلاً. »اهـ «فتح البارى» (٧/ ٤٤٠).

قال الزهرى: وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى - قال ابن هشام: ويقال بُسر - فقال: يا رسول الله هذه قريش، قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل[١]، قد لبسوا جلود النمور[٢]، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم قال: فقال رسول الله ﷺ: يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب، فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[٣]، ثم قال: من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التى هم به؟

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر: أن رجلا من أسلم قال: أنا يا رسول الله، قال: فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل[٤]، بين شعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى، قال رسول الله ﷺ للناس: قولوا نستغفر الله ونتوب إليه، فقالوا ذلك، فقال: والله إنها للحطة التى عرضت على بنى إسرائيل فلم يقولوها.

قال ابن شهاب: فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمش، فى طريق تخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة، قال: فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قترة[٥] الجيش قد خالفوا عن طريقهم، رجعوا راكضين إلى قريش، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته، فقالت الناس: خلأت الناقة[٦]، قال: ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم قال للناس: انزلوا؛ قيل له: يا رسول الله: ما بالوادى ماء ننزل عليه، فأخرج سهما من كنانته، فأعطاه رجلا من أصحابه، فنزل به فى قليب[٧] من تلك القلب. فغرزه فى جوفه فجاش[٨] بالرواء[٩] حتى ضرب الناس عنه بعطن[١٠].

قال ابن إسحاق: فحدثنى بعض أهل العلم عن رجال من أسلم: أن الذى نزل

---

(١) استعار العوذ المطافيل للنساء مع أولادهن. والعوذ هى الإبل حديثة النتاج والمطافيل التى معها أولادها.
(٢) يريد أنهم تنمروا لك. (٣) السالفة: صفحة العنق. (٤) أجرل: كثيرة الحجارة.
(٥) القترة: الغبار. (٦) خلأت: بركت وحرنت عن المشى، ولا يقال ذلك إلا للناقة.
(٧) القليب: البئر. والقلب: جمع قليب. (٨) جاش: علا وارتفع.
(٩) الرواء: الكثير. (١٠) العطن: مبرك الإبل.

فى القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمر ابن وائلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أفصى بن أبى حارثة، وهو سائق بُدن رسول الله ﷺ .

قال ابن هشام: أفصى بن حارثة.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لى بعض أهل العلم: أن البراء بن عازب كان يقول: أنا الذى نزلت بسهم رسول الله ﷺ، فالله أعلم أى ذلك كان.

وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية، قد ظننا أنه هو الذى نزل بالسهم، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجية فى القليب يميح[1] على الناس، فقالت:

يأيها المائح دلوى دونكا إنى رأيت الناس يحمدونكا[2]

يثنون خيراً ويمجدونكا[3]

قال ابن هشام: ويروى:

إنى رأيت الناس يمدحونكا

قال ابن إسحاق: قال ناجية، وهو فى القليب يميح على الناس:

قد علمت جارية يمانيـــه أنى أنا المائح واسمى ناجيـــه

وطعنة ذات رشاش واهيه طعنتها عند صـــدور العاديه[4]

فقال الزهرى فى حديثه: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء الخزاعى، فى رجال من خزاعة، فكلموه وسألوه: ما الذى جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا، وإنما جاء زائراً للبيت، ومعظما لحرمته، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً هذا البيت، فاتهموهم وجبهوهم[5] وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالا، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا، ولا تحدث بذلك عنا العرب.

---

(١) يميح على الناس: يريد أنه يملأ لهم الدلاء وهو فى أسفل البئر.
(٢) المائح: هو الرجل يكون فى أسفل البئر يملأ الدلاء للقوم. (٣) يمجدونكا: يشرفونك.
(٤) الواهية: المسترخية من اتساعها. والعادية: القوم الذين يسرعون العدو، والعدو هو السير السريع.
(٥) جبهوهم: خاطبوهم بما يكرهون.

قال الزهري: وكانت خزاعة عيبة نصح[1] رسول الله ﷺ، مسلمها ومشركها، لا يخفون عنه شيئا كان بمكة.

قال: ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف، أخا بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال: هذا رجل غادر، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه؛ فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ.

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أبو ابن زبان، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا من قوم يتألهون[2]، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائدة[3]، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله[4]، رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاما لما رأى، فقال لهم ذلك، قال: فقالوا له: اجلس، فإنما أنت أعرابي لا علم لك.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن الحليس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم. أيصد عن بيت الله من جاء معظما له! والذي نفس الحليس بيده، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. قال فقالوا له: مه، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

قال الزهري في حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي؛ فقال: يا معشر قريش، إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وإني ولد - وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفي؛ قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد، أجمعت أوشاب[5] الناس، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها[6] بهم، إنها قريش قد خرجت معها العود المطافيل. قد لبسوا

---

(١٥) عيبة نصح الرجل: موضع سره.   (٢) يتألهون: يتعبدون.

(٣) يسيل من عرض الوادي: يسرع السير، وعرض الوادي جانبه. والقلائد: ما يعلق في أعناق الهدى ليعلم انه هدى.

(٤) محله: موضعه الذي ينحر فيه. وفي الكتاب العزيز: ﴿حتى يبلغ الهدى محله﴾.

(٥) الأوشاب: الأخلاط   (٦) بيضة الرجل: أهله وقبيله. وتفضها: تكسرها.

جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة[1] أبدا. وايم الله، لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك[2] غدا. قال: وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد؛ فقال: امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبى قحافة، قال: أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها، ولكن هذه بها، قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه. قال: والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ فى الحديد. قال: فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ، ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك؛ قال: فيقول عروة: ويحك! ما أفظعك وأغلظك! قال: فتبسم رسول الله ﷺ؛ فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة؛ قال: أى غُدر، وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس.

قال ابن هشام: أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك، من ثقيف، فتهايج الحيان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر.

قال ابن إسحاق: قال الزهرى؛ فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حربا.

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه. ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه. فرجع إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إنى قد جئت كسرى فى ملكه، وقيصر فى ملكه. والنجاشى فى ملكه، وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبدا، فروا رأيكم.

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعى، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله، حتى أتى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس: أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا، وأمروهم أن

---

(١) عنوة: أى قهراً وغلبة. (٢) انكشفوا عنك: انهزموا وتركوك لعهدك

يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأخذوا أخذا، فأُتى بهم رسول الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل.

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إنى أخاف قريشا على نفسى. وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى، وقد عرفت قريش عداوتى إياها، وغلظتى عليها، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى، عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت، ومعظما لحرمته.

قال ابن إسحاق: فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل.

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر: أن رسول الله ﷺ، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفر.

فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجد بن قيس، أخو بنى سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأنى أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته. قد ضبأ إليها[1]، يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل.

قال ابن هشام: فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد، عن الشعبى: أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى.

(١) ضبأ إليها: لصق بها واستتر.

قال ابن هشام: وحدثنى من أثق به عمن حدثه بإسناد له، عن ابن أبى مليكة عن ابن أبى عمر: أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى.

أمر الهدنة: قال ابن إسحاق: قال الزهرى: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو، أخا بنى عامر بن لؤى، إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: ائت محمداً فصالحه، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا. فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل. فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح.

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال. بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطى الدنية[1] فى ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم غرزه[2]، فإنى أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى؛ قال: فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعنى! قال: فكان عمر يقول: مازلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق، من الذى صنعت يومئذ، مخافة كلامى الذى تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً.

شروط الصلح: قال: ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضوان الله عليه، فقال؛ اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال: رسول الله ﷺ: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم،

---

(١) الدنية: الذل والصغار، يريد لماذا نقبل من المشركين ما يعتبر هواناً لنا ومذلة.

(٢) الزم غرزه: يريد لا تحد عن طريقه ولا تختر لنفسك إلا ما يختار

ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة[١]، وأنه لا إسلال ولا إغلال[٢]، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن فى عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن فى عقد قريش وعهدهم. وأنك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثا، معك سلاح الراكب، السيوف فى القرب، لا تدخلها بغيرها.

أبو جندل بن سهيل: فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذا جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف[٣] فى الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلبيبه، ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية[٤] بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: صدقت، فجعل ينتره بتلبيبه[٥]، ويجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله؛ وإنا لا نغدر بهم، قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه؛ ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب. قال: ويدنى قائم السيف منه. قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضن[٦] الرجل بأبيه، ونفذت القضية.[٧]

من شهدوا على الصلح: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشْهَد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبى وقاص ومحمود بن

---

(١) أن بيننا عيبة مكفوفة: المراد أنك تكف عنا ونكف عنك، فاستعار هذه العبارة لذلك.

(٢) الإسلال: السرقة الخفية. والإغلال: الخيانة.

(٣) يرسف: يمشى مشى المقيد.

(٤) لجت القضية: انعقدت وانتهى أمرها وتمت.

(٥) ينتره: يجذبه جذباً شديداً.

(٦) ضن الرجل بأبيه: بخل به ولم يقبل أن يقتله.

(٧) قصة الحديبية رواها بطولها البخارى(٥/ ٣٢٩ـ٣٣٣) كتاب الشروط، باب: الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

مسلمة، ومكرز بن حفص، وهو يومئذ مشرك، وعلى بن أبى طالب وكتب، وكان هو كاتب الصحيفة.

الإحلال: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مضطربا[1] فى الحل وكان يصلى فى الحرم، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذى حلقه، فيما بلغنى، فى ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حلق رجال يوم الحديبية، وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ يرحم الله المحلقين قالوا: والمقصرين يارسول الله؟ قال: يرحم المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يارسول الله؟ قال: والمقصرين[2]، فقالوا: يا رسول الله: فلم ظاهرت الترحيم[3] للمحلقين دون المقصرين؟ قال: لم يشكوا.

وقال عبد الله بن أبى نجيح: حدثنى مجاهد، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا لأبى جهل، فى رأسه برة من فضة[4]، يغيظ بذلك المشركين.

نزول سورة الفتح: قال الزهرى فى حديثه: ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلا، حتى إذا كان بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما﴾**[5].

ثم كانت فيه وفى أصحابه، حتى انتهى من ذكر البيعة، فقال جل ثناؤه: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله، فسيؤتيه أجراً عظيما﴾**[6].

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب، ثم قال: حين استفزهم للخروج معه فأبطئوا عليه: **﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾**[7]. ثم

---

(١) مضطرباً فى الحل: يعنى أن أبنيته كانت مضروبة فى الحل، وكانت صلاته فى الحرم وهذا لقرب الحديبية من الحرم.

(٢) روى البخارى نحوه من حديث ابن عمر(٣/ ٥٦١) ومسلم(٣٠٨٧، ٣٠٨٨) ومن حديث أبى هريرة(٣٠٩٠) وأحمد(١/ ٢١٦، ٢٥٣، ٢/ ١٦، ٣٤، ٧٩، ١١٩، ١٣٨، ١٤١، ١٥١، ٣/ ٢٠، ٨٩، ٤/ ٧٠، ١٦٥، ١٧٧، ٥/ ٣٨١، ٦/ ٣٩٣، ٤٠٢، ٤٠٣) وأبو داود(١٩٧٩) ومالك فى «الموطأ»(١/ ٣٩٥/ ١٨٤) والدارمى(١٩٠٦) وابن ماجه(٣٠٤٣).

(٣) يعنى لم قويت دعاءك للمحلقين بتكريرك إياه.

(٤) البرة: حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل وينقاد بها وكانت فى العادة من خشب أو شعر.

(٥) سورة الفتح: ١-٢. (٦) سورة الفتح: ١٠. (٧) سورة الفتح: ١١.

القصة عن خبرهم، حتى انتهى إلى قوله: ﴿**سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم، يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل**﴾[١] ثم القصة عن خبرهم وماعرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد.

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى نجيح، عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس، قال: فارس. قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم، عن الزهرى أنه قال: أولوا البأس الشديد: حنيفة مع الكذاب.[٢]

ثم قال تعالى: ﴿**لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم، وأثابهم فتحا قريباً. ومغانم كثيرة يأخذونها، وكان الله عزيزا حكيما. وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه، وكف أيدى الناس عنكم، ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً. وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها، وكان الله على كل شىء قديراً**﴾[٣].

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال، بعد الظفر منه بهم، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه، ثم قال تعالى: ﴿**وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم، وكان الله بما تعملون بصيراً**﴾. ثم قال تعالى: ﴿**هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله**﴾[٤].

قال ابن هشام المعكوف: المحبوس، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

وكأن السموط عكفَّه السلـــــ ـــــك بعطفى جيداء أم غزال[٥]

وهذا البيت فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: ﴿**ولولا رجالا مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم**﴾[٦]، والمعرة: الغرم، أى أن تصيبوا منهم معرة بغير علم فتخرجوا ديته، فأما الإثم فلم يخشه عليهم.

قال ابن هشام: بلغنى عن مجاهد أنه قال: نزلت هذه الآية فى الوليد بن الوليد ابن المغيرة وسلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة، وأبى جندل بن سهيل، وأشباههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال تبارك وتعالى: ﴿**إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم**

---

(١) سورة الفتح: ١٥.

(٢) أراد بالكذاب، مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة وأعانه على ذلك قوم من الأعراب منهم بنو حنيفة.

(٣) سورة الفتح: ١٨ - ٢١. (٤) سورة الفتح: ٢٤ - ٢٥.

(٥) السموط: جمع سمط، وهو القلادة. والسلك: الخيط الذى ينظم فيه العقد. والجيداء: المرأة طويلة العنق.

(٦) سورة الفتح: ٢٥.

الحمية، حمية الجاهلية يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وأن محمداً رسول الله، ثم قال تعالى: **﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾**[1] أى التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

ثم قال تعالى: **﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم ما لم تعلموا﴾**. أى لرؤيا رسول الله ﷺ التى رأى، أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف؛ يقول: محلقين رءوسكم، ومقصرين لا تخافون، فعلم من ذلك ما لم تعلموا، **﴿فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾**[2]، صلح الحديبية.

يقول الزهرى: فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ولقد دخل تينك السنتين مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائه: ، فى قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف.

أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح

قصة أبى بصير: قال ابن إسحاق: قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة آتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية، وكان ممن حبس بمكة، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى، ومعه مولى لهم، فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس؛ فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فانطلق إلى قومك؛ قال: يا رسول الله، أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟ قال: يا أبا بصير، انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا.

فانطلق معهما، حتى إذا كان بذى الحليفة، جلس إلى جدار، وجلس معه صاحباه، فقال أبو بصير: أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر؟ فقال: نعم؛ قال:

(١) سورة الفتح: ٢٦. (٢) سورة الفتح: ٢٧.

أنظر إليه؟ قال: انظر، إن شئت. قال: فاستله أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعا، قال: إن هذا الرجل قد رأى فزعا؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال ويحك! ما لك؟ قال: قتل صاحبكم صاحبى. فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، وفت ذمتك، وأدى الله عنك، أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه، أو يعبث بى. قال: فقال رسول الله ﷺ: ويل أمه محش حرب[1] لو كان معه رجال!

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص، من ناحية ذى المروة، على ساحل البحر، بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبى بصير: «**ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال**»[2]، فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا، وكانوا قد ضيقوا على قريش، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامها إلا آواهم، فلا حاجة لهم بهم: فآواهم رسول الله ﷺ، فقدموا عليه المدينة.

قال ابن هشام: أبو بصير ثقفى.

قال ابن إسحاق: فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبى بصير صاحبهم العامرى، أسند ظهره إلى الكعبة، ثم قال: والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يودى هذا الرجل؛ فقال أبو سفيان بن حرب: والله إن هذا لهو السفه، والله لا يودى. فقال فى ذلك موهب بن رياح أو أنيس، حليف بنى زهرة:

ـ قال ابن هشام: أبو أنيس أشعرى ـ

أتانى عن سهيل ذَرء قولٍ ... فأيقظنى وما بى من رُقــــاد[3]
فإن تكن العتاب تريد منى ... معاتبنى فما بك من بعــــاد
أتوعـدنى وعـبد مناف حـولى ... بمخزوم ألهفــا مــن تعـادى[4]
فإن تغمز قناتى لا تجـــدنى ... ضعيف العود فى الكرب الشداد[5]

---

(١) محش حرب: أى أنه يوقد الحرب ويشعل نارها.

(٢) فى صحيح البخارى: قال النبى ﷺ: «وَيلُ أمِّه مسعَر حَرب لو كان له أحد» وانظره فى صحيح البخارى (٥/ ٣٣٢) كتاب الشروط، باب: الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

(٣) ذرء قول: أى طرف قول. (٤) أتوعدنى: تهددنى.

(٥) تغمز قناتى: أراد إن تجربنى وتختبرنى. والكرب: جمع كربة. والشداد: جمع شديدة، يريد أنه يجده قوياً عند الحوادث الجسام.

أسامى الأكرمين أبا بقومى إذا وطىء الضعيف بهم أرادى[1]
هم منعوا الظواهر غير شك إلى حيث البواطن فالعوادى[2]
بكل طمرة وبكل نهد سواهم قد طوين من الطراد[3]
لهم بالخيف قد علمت معد رواق المجد رفع بالعماد[4]

فأجابة عبد الله بن الزبعرى، فقال:

وأمسى موهب كخمار سوء أجاز ببلدة فيها يُنادى[5]
فإن العبد مثلك لا يناوى سهيلا ضل سعيك من تُعادى[6]
فأقصر بابن قين السوء عنه وعد عن المقالة فى البلاد[7]
ولا تذكر عتاب أبى يزيد فهيهات البحور من الثماد[8]

أمر المهاجرات بعد الهدنة

قال ابن إسحاق: وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدة، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبية، فلم يفعل، أبى الله ذلك.

قال ابن إسحاق: فحدثنى الزهرى، عن عروة بن الزبير، قال: دخلت عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هنيدة، صاحب الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار، لا هن حل لهم، ولا هم يحلون لهن، وآتوهم ما أنفقوا، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن، ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾**[9].

- قال ابن هشام: واحدة العصم: عصمة، وهى الحبل والسبب. قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

---

(١) أسامى: أعالى وأفاخر. وأرادى: أرامى.
(٢) الظواهر: ما علا من مكة. والبواطن: ما انخفض منه. والعوادى: جوانب الأودية.
(٣) الطمرة: الفرس السريعة. والنهد: الغليظ. والسواهم: العوابس المتغيرة. وطوين: ضعفن. والطراد: الهجوم.
(٤) الخيف: موضع بمنى. والرواق: ضرب من الأخبية. (٥) أجاز ببلدة: أى جازها وقطعها.
(٦) لا يناوى: أى لا يعادى، وأصله: لايناوئ بالهمزة، فترك الهمزة لضرورة الشعر.
(٧) القين: الحداد. (٨) الثماد: الماء القليل.
(٩) الممتحنة: ١٠.

إلى المـرء قيـس نطـيل السُّرى ونـأخـذ مـن كـل حـىٍّ عِصم

وهذا البيت من قصيدة له.

﴿واسئلوا ما أنفقتم، وليسئلوا ما أنفقوا، ذلكم حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم﴾[1].

قال: فكتب إليه عروة بن الزبير: إن رسول الله ﷺ كان صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة فى الإسلام، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتبسن عنهم، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم، ذلكم حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم. فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن، وأن يردوا عليهم مثل الذى يردون عليهم، إن هم فعلوا، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله ﷺ النساء كما رد الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء، ولم يردد لهن صداقا، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد.

قال ابن إسحاق: وسألت الزهرى عن هذه الآية، وقول الله عز وجل فيها: **﴿وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم، فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما انفقوا، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾**[2] فقال: يقول: إن فات أحداً منكم أهله إلى الكفار، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم، فعوضوهم من فىء إن أصبتموه؛ فلما نزلت هذه الآية: **﴿يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾**.... إلى قول الله عز وجل: **﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾**، كان ممن طلق عمر بن الخطاب، طلق امرأته قُريبة بنت أبى أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان، وهما على شركهما بمكة، وأم كلثوم بنت جرول أم عبيد الله بن عمر الخزاعية، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم، رجل من قومه، وهما على شركهما.

بشرى فتح مكة: قال ابن هشام: حدثنا أبو عبيدة: أن بعض من كان مع رسول

---

(١) الممتحنة: ١٠. (٢) الممتحنة: ١١.

الله ﷺ قال له لما قدم المدينة: ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمنا؟ قال: بلى، أفقلت لكم من عامى هذا؟ قالوا: لا، قال: فهو كما قال لى جبريل عليه السلام.

ذكر المسير إلى خيبر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم، وولى تلك الحجة المشركون، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى، ودفع الراية إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه، وكانت بيضاء.

قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمى أن أباه حدثه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم الأكوع سنان: أنزل يابن الأكوع، فخذ لنا من هناتك، قال: فنزل يرتجز برسول الله ﷺ، فقال:

والله لـــولا الله مــــا اهتـدينا ... ولا تصـــدقنا ولا صلينـــا

إنـــا إذا قـــوم بغـــوا علينا ... وإن أرادوا فتنـــة أبينــــا

فأنـــزلـــن ســـكينة علـينـا ... وثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــا

فقال رسول الله ﷺ: يرحمك الله؛ فقال عمر بن الخطاب: وجبت والله يا رسول الله، لو أمتعتنا به! فقتل يوم خيبر شهيداً، وكان قتله، فيما بلغنى، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل، فكلمه كلماً شديداً، فمات منه؛ فكان المسلمون قد شكوا فيه، وقالوا: إنما قتله سلاحه، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك، وأخبره بقول الناس؛ فقال رسول الله ﷺ: إنه لشهيد وصلى عليه، فصلى عليه المسلمون.(١)

قال ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم، عن عطاء بن أبى مروان الأسلمى، عن أبيه، عن أبى معتب بن عمرو: أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال

(١) إسناده حسن. ورواه بنحوه البخارى(٧/ ٤٦٣ـ ٤٦٤) ومسلم(٤٥٨٧) كلاهما فى كتاب المغازى، باب: غزوة خيبر.

لأصحابه، وأنا فيهم: قفوا، ثم قال: « **اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله**»[١]. قال: وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذانا أمسك، وإن لم يسمع أذانا أغار، فنزلنا خيبر ليلا، فبات رسول الله ﷺ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا، فركب وركبنا معه، فركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم[٢] ومكاتلهم[٣]، فلما رأوا رسول الله ﷺ، والجيش، قالوا: محمد والخميس[٤] معه! فأدبروا هُرابا، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.[٥]

قال ابن إسحاق: حدثنا هاون عن حميد، عن أنس بمثله.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر، فبنى له فيها مسجد، ثم على الصهباء، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه، حتى نزل بواد يقال له الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين[٦] على رسول الله ﷺ.

---

(١) فى إسناده من لم يسم، وهذا الرجل المبهم قد سماه البيهقي في روايته وهو«صالح بن كيسان» فيما ذكره ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٤/ ١٨٣) لكن الراوى عنه - وهو إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع - ضعيف ولكن للحديث شواهد، فقد رواه عن صهيب، النسائى فى «عمل اليوم والليلة» (٥٤٤) وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة»(٥٢٥) وابن خزيمة(٤/ ١٥٠) (ح٢٥٦٥) والحاكم(١/ ٤٤٦، ٢/ ١٠٠- ١٠١) والبيهقى (٥/ ٢٥٢).
وأخرجه الطبرانى(٧٢٩٩) من طريق سويد بن سعيد عن حفص بن ميسرة به وقال الهيثمى فى«المجمع»(١٠/ ١٣٥) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير عطاء بن أبى مروان وأبيه وكلاهما ثقة.
وأخرجه النسائي(٥٤٣) من طريق سليمان عن أبى سهيل بن مالك عن أبيه عن كعب. ورواه الطبرانى عن أبى لبابة بن المنذر، وقال الهيثمى فى«المجمع» (١٠/ ١٣٤) رواه الطبرانى في الأوسط وإسناده حسن. أهـ وقال محمد بن علان فى«الفتوحات الربانية» (٥/ ١٥٤) قال الحافظ: حديث حسن. وقال الألبانى فى (تعليقه على ابن خزيمة) (٤/ ١٥٠) إسناده حسن لغيره.

(٢) المساحى: جمع مسحاة وهى الفأس (٣) المكاتل: القفف الكبيرة.

(٤) الخميس: الجيش، وسبب تسمية الجيش بذلك أنه خمسة أقسام مقدمة وساقة وقلب وميمنة وميسرة وفى القلب يكون قائد الجيش.

(٥) ورواه البخارى (١/ ٤٧٩) ومسلم(٤٥٨٤) ولكن دون ذكر«عدم الإغارة حتى سماع الأذان».

(٦) مظاهرين: معاونين.

فلبغنى أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة[1] سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسا، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله ﷺ وخيبر.

وتدنى[2] رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا، ويفتتحها حصنا حصنا، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رحا فقتله، ثم القموص، حصن بنى أبى الحقيق، أصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا، منهن صفية بنت حيى بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وبنتى عم لها؛ فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه.

وكان دحية بن خليفة الكلبى قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها، وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين.

أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر: وأكل المسلمون لحوم الأهلية من حمرها، فقام رسول الله ﷺ، فنهى الناس عن أمور سماها لهم.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبدالله بن عمرو بن ضميرة الفزارى عن عبدالله بن سليط، عن أبيه، قال: أتانا نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية، والقدور تفور بها، فكفأناها على وجوهها.[3]

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبدالله بن أبى نجيح، عن مكحول: أن رسول الله ﷺ نهاهم يومئذ عن إتيان الحبالى من السبايا، وعن أكل الحمار الأهلى، وعن أكل كل ذى ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم.[4]

قال ابن إسحاق: وحدثنى سلام بن كركرة، عن عمرو بن دينار؛ عن جابر ابن عبدالله الأنصارى، ولم يشهد جابر خيبر: أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر، أذن لهم فى أكل لحوم الخيل.[5]

قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن أبى مرزوق مولى تُجيب؛ عن

---

(١) منقلة: يعنى مرحلة. (٢) وتدنى: أى أخذ الأدنى فالأدنى.

(٣) إسناده فيه ضعف ولكن تحريم الحمر الإنسية ثابت فى الصحيحين عن عدة من الصحابة رضى الله عنهم.

(٤) إسناده مرسل. وقد ثبت عن النبى ﷺ النهى عن كل ذى ناب من السباع. كما فى الصحيحين.

(٥) رجاله ثقات خلا سلام بن كركرة فلم يوثقه إلا ابن حبان. والحديث ورد من طرق عن جابر فقد رواه البخارى(٧/ ٤٨١) ومسلم(٤٩٣٤) وأبوداود(٣٧٨٨) والترمذى تعليقاً (١٧٩٣) ورواه النسائى(٧/ ٢٠١).

حنش الصنعاني، قال: غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصاري المغرب، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة، فقام فينا خطيبا، فقال: يا أيها الناس، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله يقوله فينا يوم خيبر، قام فينا رسول الله ﷺ فقال: لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءَهُ زرع غيره، يعنى إتّيانِ الحَبالى من السبايا، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه؛ ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه.[١]

قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط؛ أنه حدث عن عبادة بن الصامت، قال: نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين، وقال: ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين، وتبر الفضة بالذهب العين.[٢]

قال ابن إسحاق: ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال.

بنى سهم: فحدثنى عبدالله بن أبى بكر أنه حدثه بعض أسلم: أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا؛ والله يارسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه، فقال: اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدى شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء، وأكثرها طعاما وودكا، فغدا الناس، ففتح الله عز وجل حصن الصعب ابن معاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه.

مقتل مرحب: قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهو إلى حصنهم الوطيح والسلالم، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحا، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشره ليلة.

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب الرسول ﷺ يوم خيبر: يامنصور أمت أمت.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبدالله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل؛ أخو بنى

---

(١) إسناده صحيح. ورواه أحمد (٤/ ١٠٨-١٠٩) وأبو داود(٢١٥٨، ٢١٥٩) من طريق ابن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف، يزيد بن قسط لم يرو عن عبادة بن الصامت. وروى أبو داود نحوه(٣٣٤٩) والنسائى(٧/ ٢٧٦-٢٧٧) وإسناده صحيح. وأصل الحديث فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب، وفى مسلم من حديث عبادة بن الصامت وأبى سعيد الخدرى.

حارثة، عن جابر بن عبد الله، قال: خرج مرحب اليهودى من حصنهم، قد جمع سلاحه، يرتجز وهو يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب ... شاكى السلاح بطل مجرب[1]
أطعن أحياناً وحينا أضرب ... إذا الليوث أقبلت تحرب[2]

إن حماى للحمى لا يُقرب

وهو يقول من يبارز؟ فأجاب كعب بن مالك، فقال:

قد علمت خيبر أنى كعب ... مفرج الغمّى جرئ صلب[3]
إذ شبت الحرب تلتها الحرب ... معى حسام كالعقيق عضب[4]
نطؤكم حتى يذل الصعب ... نعطى الجزاء أو يفىء النهب[5]

بكف ماض ليس فيه عتب[6]

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد الأنصارى:

قد علمت خيبر أنى كعب ... وأننى متى تشب الحرب
ماض على الهول جرئ صلب ... معى حسام كالعقيق عضب
بكف ماض ليس فيه عتب ... ندككم حتى يذل الصعب

قال ابن هشام: ومرحب من حمير.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبدالله بن سهل، عن جابر بن عبدالله الأنصارى.

قال: فقال رسول الله ﷺ: من لهذا؟ قال محمد بن مسلمة: أنا له يارسول الله، أنا والله، الموتور الثائر، قتل أخى بالأمس، فقال: فقم إليه، اللهم أعنه عليه. قال: فلما دنا أحدهم من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عمرية[7] من شجر العشر[8]، فجعل أحدهما يلوذ بها[9] من صاحبه، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل

---

(١) شاكى السلاح: يريد أن سلاحه حاد ماض. ومجرب: جربوه فى الشدائد.
(٢) تحرب: أى تغضب.
(٣) الغما: الكربة والشدة. والجرىء: الشجاع. والصلب: الشديد.
(٤) شبت: أوقدت وهيجت. والعقيق: شعاع البرق، شبه به السيف.
(٥) أراد بالجزاء هنا الجزى، وهو جمع جزية. والنهب: ما انتهب من الأموال.
(٦) ليس فيه عتب: يريد ليس فيه ما يلام عليه — (٧) عمرية: أي قديمة طويلة العمر.
(٨) العشر: شجر له صمغ. — (٩) يلوذبها: يلجأ إليها ويستتر بها من عدوه.

القائم، ما فيها فنن[1]، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة، فضربه، فاتقاه بالدرقة، فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله.[2]

مقتل ياسر: قال ابن إسحاق: ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يقول: من يبارز، فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابني يارسول الله! قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله. فخرج الزبير فالتقيا، فقتله الزبير.

قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة: أن الزبير كان إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عضبا، قال: والله ما كان صارما، ولكني أكرهته.

فتح خيبر على يدي علي: قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن أبيه سفيان، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برايته، وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل، فرجع ولم يك فتح، وقد جهد[3]، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار. قال: يقول سلمة، فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه، وهو أرمد[4]، فتفل في عينه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك.

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح[5] يهرول هرولة، وإنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم[6] من حجارة تحت الحصن، فأطلع إليه يهودي من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: يقول اليهودي: علوتم، وما أنزل على موسى، أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه.[7]

---

(١) فنن: غصن.

(٢) هذه الرواية إسنادها ضعيف، فإن عبد الله بن سهل لم يرو عن جابر بن عبد الله. ولم يوثقه غير ابن حبان. والقصة رواها أحمد(٣/ ٣٨٥) وابو يعلى(١٨٦١) والحاكم(٣/ ٤٣٦) والبيهقي(٩/ ١٣١) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم!! وقال الهيثمي في«المجمع» (٦/ ١٥٠) رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد ثقات. قلت: بل هو ضعيف كما سبق بيانه. والثابت أن الذي قتل مرحباً هو علي بن أبي طالب كما في«صحيح مسلم».

(٣) جهد: أصابه جهد ومشقة.

(٤) أي كان في عينه وجع.

(٥) يأنح: يعلو صوته.

(٦) الرضم: الحجارة المجتمعة.

(٧) إسناده ضعيف، بريدة بن سفيان الأسلمي، قال الحافظ في«التقريب» (١/ ٩٦) ليس بالقوي وفيه رفض. وروى نحوه أحمد والنسائي وابن حبان و الحاكم من حديث بريدة بن الحصيب كما قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٧٤٦) وقال الهيثمي في«المجمع» (٦/ ١٥١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح أ ه. قلت: والحديث رواه البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع وسهل بن سعد ورواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص. وليس في هذه الروايات ذكر أبي بكر رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: حدثنى عبدالله بن الحسن، عن بعض أهله عن أبى رافع، مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، حين بعثه رسول الله ﷺ برايته؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطاح ترسه من يده، فتناول على عليه السلام بابا كان عند الحصن فترس به نفسه، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة معى: أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه.[1]

حديث أبى اليسر: قال ابن إسحاق: وحدثنى بريدة بن سفيان الأسلمى، عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليسر كعب بن عمرو، قال والله إنا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم، ونوحن محاصروهم فقال رسول الله ﷺ: من رجل يطعمنا من هذا الغنم؟ قال أبو اليسر؛ فقلت أنا يا رسول الله؛ قال: فافعل؛ قال: فخرجت أشتد مثل الظليم، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ موليا قال: اللهم أمتعنا به؛ قال: فأدركت الغنم وقد دخلت أولاها الحصن، فأخذت شاتين من أخراها فاحتنتتهما تحت يدى، ثم أقبلت بهما أشتد، كأنه ليس معى شىء، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ، فذبحوهما فأكلوهما، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى، ثم قال: أمتعوا بى، لعمرى، حتى كنت من آخرهم هلكا.[2]

صفية رضى الله عنها، قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ القموص، حصن بنى أبى الحقيق، أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حيى بن أخطب، وبأخرى معها، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود؛ فلما رأتهم التى مع صفية صاحت، وصكت وجهها، وحثت التراب على رأسها؛ فلما رآها رسول الله ﷺ قال: أعزبوا[3] عنى هذه الشيطانة، وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءها؛ فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه. فقال رسول الله ﷺ لبلال، فيما بلغنى، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: أنزعت منك الرحمة يا بلال، حين تر بامرأتين على قتلى رجالهما؟ وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى

---

(١) إسناده فيه جهالة. وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٢٥) رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم

(٢) فى إسناده جهالة. وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٤٩) رواه أحمد عن بعض رجال بنى سلمة وبقية رجاله ثقات.

(٣) أعزبوا: باعدوا.

الحقيق، أن قمراً وقع فى حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها؛ فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها، فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر.

وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بنى النضير، فسأله عنه، فجحد أن يكون يعرف مكانه، فأتى رسول الله ﷺ رجل من يهود، فقال لرسول الله ﷺ: إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة؛ فقال رسول الله ﷺ لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك، أأقتلك؟ قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأل عما بقى فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، فقال: عذبه حتى تستأصل ماعنده، فكان الزبير يقدح بزند فى صدره، حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة.[1]

صلح خيبر: وحاصر رسول الله ﷺ، أهل خيبر فى حصنيهم الوطيح والسلالم، حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل. وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم، إلا ما كان من ذينك الحصنين. فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم[2]، وأن يحقن دماءهم، ويخلوا له الأموال، ففعل، وكان فيمن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود، أخو حارثة؛ فلما نزل أهل خيبر على ذلك، سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم فى الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم؛ وأعمر لها، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئا بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

قصة الشاة المسمومة: فلما أطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية[3]، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع؛ فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة،

---

(١) روى الطبرانى نحو هذه الرواية عن ابن عباس، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٥٣) رواه الطبرانى وفيه محمد بن أبى ليلى وهو سيئ الحفظ.

(٢) يسيرهم: ينفيهم. (٣) مصلية: مشوية.

ثم جاءت بها: فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ، تناول الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم، ثم دعا بها، فاعترفت فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغتَ من قومى ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ؛ ومات بشر من أكلته التى أكل.[1]

قال ابن إسحاق: وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى، قال: كان رسول الله ﷺ وقد قال فى مرضه الذى توفى فيه، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده: يا أم بشر، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى[2] من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر. قال: فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوة.[3]

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادى القرى، فحاصر أهله ليالى، ثم انصرف راجعا إلى المدينة.

جزاء الغال من الغنيمة: قال ابن إسحاق: فحدثنى ثور بن زيد، عن سالم، مولى عبد الله بن مطيع، عن أبى هريرة، قال: فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادى القرى نزلنا بها أصيلا مع مغرب الشمس، ومع رسول الله ﷺ غلام له، أهداه له رفاعة بن زيد الجذامى، ثم الضبينى.

قال ابن هشام: جذام، أخو لخم.

قال: فوالله إنه ليضع رحل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غرب[4] فأصابه فقتله، فقلنا: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: كلا، والذى نفس محمد بيده، إن شملته[5] الآن لتحترق عليه فى النار، كان غلها من فىء المسلمين يوم خيبر. قال: فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فأتاه فقال: يا رسول الله، أصبت شراكين لنعلين لى؛ قال: فقال: يقد لك مثلهما من النار.[6]

---

(١) هذا الحديث قال عنه الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٥٤) رواه الطبرانى مرسلاً وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن. أه. قلت: ورواه أبو داود والدارمى بنحوه موصولاً عن جابر رضى الله عنه، وصححه الألبانى فى «المشكاة» (ح ٥٩٣١) قلت: وأصل قصة الشاة المسمومة التى أهديت للنبى ﷺ رواها البخاري فى «صحيحه» وانظر ما قاله الحافظ على روايات هذه القصة فى «الفتح» (٧/ ٤٩٧).

(٢) الأبهر: عرق إذا انقطع مات صاحبه، وهما أبهران يخرجان من القلب ثم تتشعب منهما سائر الشرايين.

(٣) إسناده مرسل.

(٤) سهم غرب: هو الذى لا يعرف من رماه.

(٥) الشملة: كساء غليظ يلتحف به.

(٦) إسناده صحيح. ورواه بنحوه البخارى (٧/ ٤٨٧-٤٨٨).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبدالله بن مغفل المزني، قال: أصبت من فيء خيبر جراب شحم، فاحتملته على عاتقي إلى رحلي وأصحابي. قال: فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلم هذا نقسمه بين المسلمين، قال: قلت: لا والله لا أعطيكه، قال: فجعل يجابذني الجراب. قال: فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك. قال: فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكا، ثم قال لصاحب المغانم: لا أبا لك، خل بينه قال: فأرسله، فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي، فأكلناه.(١)

حراسة أبي أيوب للرسول: قال ابن إسحاق: ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية، بخيبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جملتها لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان، أم أنس بن مالك. فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، وبات أبو أيوب خالد بن زيد، أخو بني النجار متوشحا سيفه، يحرس رسول الله ﷺ، ويطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله ﷺ؛ فلما رأى مكانه قال: مالك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك. فزعموا أن رسول الله ﷺ، قال: اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني.(٢)

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر: قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل: من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟ قال بلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك. فنزل رسول الله ﷺ، ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلي. ثم استند إلى بعيره، واستقبل الفجر يرمقه، فغلبته عينه، فنام فلم يوقظهم إلا مس الشمس، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب، فقال: ماذا صنعت بنا يا بلال؟ قال: يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك؛ قال: صدقت؛ ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير، ثم أناخ فتوضأ، وتوضأ الناس، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: «إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿أقم الصلاة لذكري﴾»(٣).

---

(١) روى البخاري في «صحيحه» (٦/ ٢٥٥) عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: «كنا محاصرين قصر خيبر فرمى إنسان بجراب فيه شحم فنزوت لآخذه فالتفت فإذا النبي ﷺ فاستحييت منه».

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٢٦) وإسناده ضعيف.

(٣) إسناده مرسل. وروى نحوه البخاري (١/ ٤٤٧) ومسلم (١٥٣٥) من حديث عمران بن حصين. وروى نحوه مسلم (١٥٣٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنهما. والآية من سورة طه: ١٤.

شعر ابن لُقيم فى فتح خيبر: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ، فيما بلغنى، قد أعطى ابن لقيم العبسى، حين افتتح خيبر، ما بها من دجاجة أو داجن[١]، وكان فتح خيبر فى صفر، فقال ابن لَقيم العبسى فى خيبر:

رُميت نطـاة مـن الرسول بفيلق … شهباء ذات مناكـب وفـقار[٢]
واستيقنت بالـذل لمـا شُيـعت … ورجـال أسـلم وسـطها وغفار[٣]
صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة … والشق أظلـم أهلـه بنهـار[٤]
جرّت بأبطحها الذيول فلم تدع … إلا الدجـاج تصيح فى الأسحار[٥]
ولكل حـصن شاغل من خيلهم … من عبد أشهل أو بنـى النجـار[٦]
ومهاجرين قـد أعلموا سيماهم … فوق المغافـر لـم ينـوا لفرار[٧]
ولقد علـمتُ ليغـلبن محـمد … وليثـوين بهـا إلـى أصـفار[٨]
فرت يهود يوم ذلك فى الوغى … تحت العجاج غمائم الأبصار[٩]

قال ابن هشام: فرت: كشفت، كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها؛ يريد كشفت عن جفون العيون غمائم الأبصار، يريد الأنصار.

قال ابن هشام: فرت: كشفت، كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها؛ يريد كشفت عن جفون العيون غمائم الأيصار، يريد الأنصار.

قال ابن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء من نساء المسلمين، أرضخ لهن[١٠] رسول الله ﷺ من الفىء، ولم يضرب لهن بسهم.

قال ابن إسحاق: حدثنى سليمان بن سحيم، عن أمية بنت أبى الصلت، عن

---

(١) الداجن: كل ما ألف الناس من حيوان كالطير والشاة. ومن أجل أن رسول الله ﷺ أعطى ابن لقيم ما بخيبر من دجاج أو داجن كان يقال له: لقيم الدجاج!

(٢) نطاة: حصن بخيبر. والفيلق: الكتيبة وهى الجيش. وشهباء: كثيرة العتاد، تلمع الأسلحة فيها كالشهب، وجعل لها مناكب وفقاراً وهو يريد من ذلك وصفها بالشدة والقوة.

(٣) استيقنت: تيقنت وعلمت. وشيعت: فرقت. وأسلم. وغفار: قبيلتان.

(٤) الشق: حصن بخيبر. وكنّى باظلام أهله عن سوء حالهم وشدة ما لقوا من أصحاب النبى ﷺ.

(٥) الأبطح: المكان السهل.

(٦) عبد الأشهل: جماعة من الأنصار وكذلك بنو النجار

(٧) سيماهم: علامتهم. والمغافر: هى الدروع التى توضع على الرؤوس حماية لها من ضرب السلاح. ولم ينوا: أى لم يفتروا ويضعفوا.

(٨) ليثوين: أى ليقيمن. وأصفار: جمع صفر وهو شهر من الشهور العربية، أراد ليقيمن بخيبر سنين عدداً.

(٩) فرت يهود: أى كشفت. والوغى: الحرب. والعجاج: الغبار. والغمائم: جفون العين.

(١٠) أرضخ لهن: أعطاهن قليلاً أقل من السهم.

امرأة من بنى غفار، قد سماها لى، قالت: أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غفار، فقلنا يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خيبر، فنداوى الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله، قالت: فخرجنا معه، وكنت جارية حدثة، فأردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رحله. قالت: فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ، ونزلت عن حقيبة[1] رحله، وإذا بها دم منى، وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واسحييت؛ فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى ورأى الدم، قال: ما لك؟ لعلك نفست[2]، قالت: قلت: نعم، قال: فأصلحى من نفسك، ثم خذى إناء من ماء، فاطرحى فيه ملحا، ثم اغسلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك.

قالت: فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر، رضخ لنا من الفىء، وأخذ هذه القلادة التى تزين فى عنقى فأعطانيها، وعلقها بيده فى عنقى، فوالله لا تفارقنى أبدا.

قالت: فكانت فى عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها. قالت: وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحا، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت.[3]

شهداء خيبر: قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين، من قريش ثم من بنى أمية بن عبد شمس، ثم من حلفائهم: ربيعة ابن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غُنم بن دودان بن أسد، وثقيف بن عمرو، ورفاعة بن مسروح.

ومن بنى أسد بن عبد العزى: عبد الله الهُبيب، ويقال: ابن الهبيب، فيما قال ابن هشام، ابن أهيب بن سحيم بن غيرة، من بنى سعد بن ليث، حليف لبنى أسد، وابن أختهم.

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة: بشر بن البراء بن معرور، مات من الشاة التى سم فيها رسول الله ﷺ. ونضيل بن النعمان. رجلان.

---

(١) حقيبة: بفتح الحاء المهملة. هى كل ما شد فى مؤخر رحل أو قتب. والرحل: هو المركب للبعير وهو أصغر من القتب. وقال ابن الأثير: الحقيبة هى الزيادة التى تجعل فى مؤخرة القتب وتوضع فيها الحوائج.

(٢) نفست: بالبناء للمجهول بمعنى حضت.

(٣) إسناده ضعيف: أمية بنت أبى الصلت لا تعرف إلا بهذا الحديث كما قال الذهبى فى «الميزان» (١/ ٢٧٦). والحدث رواه أحمد (٦/ ٣٨٠) وأبو داود (٣١٣) من طريق ابن إسحاق. وضعفه الألبانى فى «ضعيف سنن أبى داود» ص٣٣.

ومن بنى زريق: مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق.

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل: محمود بن مَسلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بنى حارثة.

ومن بنى عمرو بن عوف: أبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثلعبة بن عمرو بن عوف، والحارث بن حاطب، وعروة بن مرة بن سراقة، وأوس بن القائد، وأنيف بن حبيب، وثابت بن أثلة، وطلحة[بن يحيى بن مليل بن ضمرة].

ومن بنى غفار: عمارة بن عقبة، رمى بسهم.

ومن أسلم: عامر بن الأكوع، والأسود الراعى، وكان اسمه أسلم.

قال ابن هشام: الأسود الراعى من أهل خيبر.

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهرى، من بنى زهرة: مسعود ابن ربيعة، حليف لهم من القارة.

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف: أوس بن قتادة.

حديث الأسود الراعى فى خيبر: قال ابن إسحاق: وكان من حديث الأسود الراعى، فيما بلغنى: أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم له، كان فيها أجيراً لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، اعرض على الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم - وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام، ويعرضه عليه - فلما أسلم قال: يا رسول الله، إنى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم، وهى أمانة عندى، فكيف أصنع بها؟ قال: اضرب فى وجوهها، فإنها سترجع إلى ربها - أو كما قال - فقال الأسود، فأخذ حفنة من الحصى، فرمى بها فى وجوهها، وقال: ارجعى إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك أبداً، فخرجت مجتمعة، كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قط؛ فأتى به رسول الله ﷺ، فوضع خلفه، وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لم أعرضت عنه؟ قال: إن معه الآن زوجته من الحور العين.

قال ابن إسحاق: وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح أنه ذكر له: أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين، عليه تنفضان التراب عن وجهه، وتقولان: ترب الله وجه من تربك، وقتل من قتلك.

حديث الحجاج بن علاط السلمي: قال ابن إسحاق: ولما فتحت خيبر، كلم رسول الله ﷺ، الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزى، فقال يا رسول الله، إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة - وكانت عنده، له منها معرض بن الحجاج، ومال متفرق فى تجار أهل مكة، فأذن لى يا رسول الله؛ فأذن له، قال: إنه لابد لى يا رسول الله من أن أقول. قال: قل. قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز، ريفا ومنعة ورجالا، فهم يتحسسون الأخبار، ويسألون الركبان، فلما رأونى قالوا: الحجاج بن علاط - قال: ولم يكونوا علموا بإسلامى - عنده والله الخبر - أخبرنا يا أبا محمد، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، وهى بلد يهود وريف الحجاز، قال: قلت: قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم، قال: فالتبطوا بجنبى ناقتى[1] يقولون: إيه يا حجاج؛ قال؛ قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمداً أسراً، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى، فإنى أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من فل[2] محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك.

قال ابن هشام: ويقال: من فىء محمد.

قال ابن إسحاق: قال: فقاموا فجمعوا لى مالى كأحث جمع سمعت به قال: وجئت صاحبتى فقلت: مالى، وقد كان لى عندها مال موضوع، لعلى ألحق بخيبر، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار؛ قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر، وجاءه عنى، أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذى جئت به؟ قال: فقلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم. قال: قلت: فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء، فإنى فى جمع مالى كما ترى، فانصرف عنى حتى أفرغ. قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة، وأجمعت الخروج، لقيت العباس، فقلت: احفظ على حديثى يا أبا الفضل، فإنى أخشى الطلب ثلاثا، ثم قل ما شئت، قال. افعل؛ قلت. فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم يعنى صفية بنت حيى، ولقد افتتح

---

(١) التبطوا بجنبى ناقتى: أى مشوا إلى جنبيها كمشى العرجاء لازدحامهم حولها. (٢) الفل: المنهزمون.

خيبر، وانتثل[١] ما فيها، وصارت له ولأصحابه؛ فقال. ما تقول ياحجاج؟ قال. قلت. إى والله فاكتم عنى، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى، فرقا من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحب، قال، حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له، وتخلق[٢]، وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا. يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة؛ قال. كلا، والله الذى حلفتم به، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على بنت ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه؛ قالوا. من جاءك بهذا الخبر؟ قال. الذى جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلما، فأخذ ماله، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه، فيكون معه؛ قالوا. ياللعباد الله! انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن؛ قال. ولم ينشبوا[٣] أن جاءهم الخبر بذلك.[٤]

ما قيل من الشعر فى خيبر: قال ابن إسحاق. وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسان بن ثابت:

بئسما قاتلت خيابر عما	جمعوا من مزارع ونخيل[٥]
كرهوا الموت فاستبيح حماهم	وأقروا فعل اللئيم الذليل
أمن الموت يهربوا فإن المو	ت موت الهزال غير جميل[٦]

وقال حسان بن ثابت أيضا، وهو يعذر أيمن بن أم أيمن بن عبيد، وكان قد تخلف عن خيبر، وهو من بنى عوف بن الخزرج، وكانت أمه أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وهى أم أسامة بن زيد، فكان أخا أسامة لأمه:

على حين أن قالت لأيمن أمه	جبنت ولم تشهد فوارس خيبر[٧]
وأيمن لم يجبن ولكن مهره	أضر به شرب المديد المخمر[٨]

(١) انتثل ما فيها: أى استخرجه. (٢) تخلق: تطيب بالخلوق، والخلوق نوع من الطيب.

(٣) لم ينشبوا: أى لم ينتظروا، يريد أن الخبر قد جاءهم سريعاً.

(٤) هذه الرواية حدّث بها ابن إسحاق عن بعض أهل المدينة كما فى «أسد الغابة»(١/ ٥٢٠) ورواه موصولاً عبد الرزاق فى«المصنف»(١٩٧٧١) عن أنس بن مالك قال: لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله. . فذكر الحديث وإسناده صحيح ورواه أحمد(٣/ ١٣٨-١٣٩) وأبو يعلى(٣٤٧٩) والبزار(١٨١٦) والبيهقى(٩/ ١٥١) وابن حبان(١٦٩٨)جميعهم من طريق عبد الرزاق. وقال الهيثمى فى«المجمع»(٦/ ١٥٤) «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى، ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

(٥) خيابر: جمع خيبر، وإنما أراد أهل خيبر، كما تقول: اجتمعت المدينة وأنت تريد اجتماع أهلها.

(٦) الهزال: الجوع. (٧) جُبِّنْتَ: خفت وفزعت.

(٨) المديد: هو الدقيق يخلط مع الماء فتشربه الخيل. والمخمر: المتروك حتى يختمر.

ولولا الـذى قد كان من شأن مهره … لقاتل فيهم فارسـا غيـر أعسر[١]
ولكنه قـد صـده فـعل مـهره … وما كـان منـه عنـده غير أيسر[٢]

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك، وأنشدنى:

ولكنه قد صده شأم مهره … وما كان لولا ذاكم بمقصر

وقال ابن إسحاق: وقال ناجية بن جندب الأسلمى:

يالعبـاد الله فيـم يرغـب … مـا هـو إلا مـأكـل ومشرب
وجـنة فيها نعيـم معجـب

وقال ناجية بن جندب الأسلمى أيضاً:

أنا لمـن أنكـرنى ابن جـندب … يارب قـرن فـى مكـرى أنكـب[٣]
طـاح بمغـدى أنسـر وثعـلب[٤]

قال ابن هشام: وأنشدنى بعض الرواة للشعر قوله: «فى مكرى»، و«طاح بمغدى».

وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر، فيما ذكر ابن هشام، عن أبى زيد الأنصارى:

ونحـن وردنـا خـيبراً وفروضه … بكل فتى عارى الأشاجع مذود[٥]
جواد لدى الغايات لاواهن القوى … جرىءعلى الأعداء فى كل مشهد[٦]
عظيم رماد القدر فـى كـل شتوة … ضـروب بنصـل المشـرفى المهند[٧]
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة … مـن الله يرجـوها وفوزا بأحمد
يذود ويحمى عـن ذمـار محمد … ويـدمع عنـه باللـسان وباليد[٨]
وينصـره مـن كـل أمر يريبه … يجود بنفس دون نفس محـمد
يصدق بالأنـباء بالـغيب مـخـلصا … يريـد بـذاك الفـوز والعز فى غد[٩]

---

(١) الأعسر: الذى يعمل بالشمال ولا يعمل باليمين. (٢) صده: منعه وعاقه. والأيسر: الفرس المنظور إليه.
(٣) القرن: الذى يقاوم فى قتال أو شدة. والمكر: الموضع الذى تكر فيه الخيل. والأنكب: المائل إلى جهة.
(٤) طاح: ذهب وأهلك. وبمغدى أنسر: الغدو: اسم مكان والأنسر: جمع نسر.
(٥) الفروض: المواضع التى يشرب منها من الأنهار. والأشاجع: عروق ظاهر الكتف. ومذود: أى يدفع عن حوزته ويمنع الأعداء أن تناله.
(٦) الواهن: الضعيف. ومشهد: مكان الحضور.
(٧) عظيم رماد القدر: كناية عن أنه كريم، وإنما خص الشتاء لأنه الوقت الذى تشتد فيه الحاجة وتعظم فيه قيمة العطية. والمشرفى: السيف. ونصله: حده.
(٨) يذود: يدفع. والذمار: ما تجب على الرجل حمايته والدفاع عنه. (٩) الأنباء: الأخبار.

تقسيم خيبر وأموالها: قال ابن إسحاق: وكانت المقاسم على أموال خيبر، على الشق ونطاة والكتيبة فكانت الشق ونطاة فى سهمان للمسلمين، وكانت الكتيبة خمس الله، وسهم النبى ﷺ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين، وطعم أزواج النبى ﷺ، وطعم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فدك بالصلح؛ منهم محيصة بن مسعود، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا[1] من شعير، وثلاثين وسقا من تمر، وقسمت خيبر على أهل الحديبية، من شهد خيبر، ومن غاب عنها، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها، وكان واديها، وادى السريرة، ووادى خاص، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر، وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهما، نطاة من ذلك خمسة أسهم، والشق ثلاثة عشر سهما، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم، وثمانمائة سهم.

وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمانمائة سهم، برجالهم وخيلهم. الرجال أربع عشرة مئة، والخيل مئتا فارس، فكان لكل فرس سهمان، ولفارسه سهم، وكان لكل راجل سهم؛ فكان لكل سهم رأس جمع إليه مئة رجل، فكانت ثمانية عشر سهما جمع.[2]

قال ابن هشام: وفي يوم خيبر عرب رسول الله ﷺ العربى من الخيل، وهجن الهجين.

قال ابن إسحاق: فكان على بن أبى طالب رأساً، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدى، أخو بنى العجلان، وأسيد بن حضير، وسهم الحارث بن الخزرج، وسهم ناعم، وسهم بنى بياضة، وسهم بنى عبيد، وسهم بنى حرام من بنى سلمة، وعبيد السهام.

قال ابن هشام: وإنما قيل له عبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر، وهو عبيد بن أوس، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

قال ابن إسحاق وسهم ساعدة، وسهم غفار وأسلم، وسهم أوس.

فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام، وهو الخوع، وتابعه الشُّترير، ثم كان الثانى سهم بياضة، ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومزينه

---

(١) الوسق: ستون صاعاً وقد يراد به هنا حمل البعير والله أعلم.

(٢) روى أبو داود فى كتاب الخراج والإمارة والفئ(٣٠١٥) عن مجمع بن جارية الأنصارى ـ وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن ـ قال: «قسمت خيبر على أهل الحديبية فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهمًا، وكان الجيش ألفًا وخمسمائة فيهم ثلاثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهمًا» وحسنه الألبانى فى«صحيح سنن أبى داود»(٢/ ٥٨٦).

وشركائهم، وفيه قتل محمود بن مسلمة، فهذه نطاة.

ثم هبطوا إلى الشق، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى، أخى بنى العجلان، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ، ثم سهم عبد الرحمن ابن عوف، ثم سهم ساعدة ثم سهم النجار، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه، ثم سهم طلحة بن عبيد الله، ثم سهم غفار وأسلم، ثم سهم عمر بن الخطاب، ثم سهما سلمة بن عبيد وبنى حرام، ثم سهم حارثة، ثم سهم عبيد السهام، ثم سهم أوس، وهو سهم اللفيف. جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب؛ وكان حذوه سهم رسول الله ﷺ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى.

ثم قسم رسول الله ﷺ الكتيبة، وهى وادى خاص، بين قرابته وبين نسائه، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها، فقسم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته مئتى وسق، ولعلى بن أبى طالب مئة وسق، ولأسامة بن زيد مئتى وسق، وخمسين وسقا من نوى، ولعائشة أم المؤمنين مئتى وسق، ولأبى بكر بن أبى قحافة مئة وسق، ولعقيل ابن أبى طالب مئة وسق وأربعين وسقا، ولبنى جعفر خمسين وسقا. ولربيعة بن الحارث مئة وسق وللصلت بن مخرمة وابنيه مئة وسق، للصلت منها أربعون وسقا ولأبى نبقة خمسين وسقا، ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقا، ولقيس بن مخرمة ثلاثين وسقا، ولأبى القاسم بن مخرمة أربعين وسقا، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مئة وسق: ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا، ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا. ولمسطح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقا، ولأم رميثة أربعين وسقا، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا، ولبحينة بنت الحارث ثلاثين وسقا، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا، ولأم الحكم ثلاثين وسقا، ولجمانة بنت أبى طالب ثلاثين وسقا، ولأم الأرقم خمسين وسقا، ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وسقا، ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا، ولأم الزبير أربعين وسقا، ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا، ولابن أبى خنيس ثلاثين وسقا، ولأم طالب أربعين وسقا، ولأبى بصرة عشرين وسقا، ولنميلة الكلبى خمسين وسقا، ولعبد الله بن وهب وابنتيه تسعين وسقا، لابنيه منه أربعين وسقا، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا، ولملكو بن عبدة ثلاثين وسقا، ولنسائه ﷺ سبع مئة وسق.

قال ابن هشام: قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب أكثر، ولهذا أعطاهم أكثر.

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خيبر

قسم لهن مئة وسق وثمانين وسقا، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقا، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا، ولأم رميثة خمسة أوسق. شهد عثمان بن عفان، وعباس وكتب.

وصية الرسول عند موته؛ قال ابن إسحاق: وحدثنى صالح بن كيسان، عن ابن شهاب الزهرى، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال: لم يوص رسول الله ﷺ عند موته إلا بثلاث، أوصى للرهاويين[1] بجاد مئة[2] وسق من خيبر، وللداريين[3] بجاد مئة وسق، من خيبر، وللسبائيين، وللأشعرين بجاد مئة وسق من خيبر، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة؛ وألا يترك بجزيرة العرب دينان.[4]

خبر فدك: قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر؛ أو بالطائف، أو بعد ما قدم المدينة، فقبل ذلك منهم؛ فكانت فدك لرسول ﷺ خالصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.[5]

تسمية النفر الداريين الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر

وهم بنو الدار بن حبيب بن نمارة بن لخم، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام: تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه، ويزيد بن قيس، وعرفة بن مالك، سماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن.

- قال ابن هشام: ويقال: عزة بن مالك: وأخوه مران بن مالك.

قال ابن هشام: مروان بن مالك.

قال ابن إسحاق: وفاكهة بن نعماه، وجبلة بن مالك، وأبو هند بن بر، وأخوه الطيب بن بر، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله.

---

(١) الرهاويين: قبيلة تنسب إلى رهاوة، وهى من اليمن.

(٢) بجاد مئة وسق: أى ما يجد منه مائة وسق. ويجد: يقطع.

(٣) الداريون: الغرباء.

(٤) إسناده مرسل. وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أوصى بثلاثة، فقال: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**» ثم قال ابن عباس: وسكت عن الثالثة أو قال أنسيتُها وروى مسلم عن عمر بن الخطاب أن النبى ﷺ قال: «**لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أترك فيها إلا مسلماً**».

(٥) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ٢٠) وأبو داود (٣٠١٦) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

فكان رسول الله ﷺ، كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا[١] بين المسلمين ويهود، فيخرص عليهم، فإذا قالوا: تعديت علينا، قال: إن شئتم فلنا، فتقول يهود: بهذا قامت السموات والأرض.[٢]

وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحداً، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء، أخو بنى سلمة، هو الذى يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة.

فأقامت يهود على ذلك، لا يرى بهم المسلمون بأسا فى معاملتهم، حتى عدوا فى عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل، أخى بنى حارثة، فقتلوه، فأتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه.

قال ابن إسحاق: فحدثنى الزهرى عن سهل بن أبى حثمة، وحدثنى أيضا بشير ابن يسار، مولى بنى حارثة، عن سهل بن أبى حثمة، قال: أصيب عبد الله بن سهل بخيبر، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار منها تمراً، فوجد فى عين قد كسرت عنقه، ثم طرح فيها؛ قال: فأخذوه فغيبوه، ثم قدموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له شأنه، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل، ومعه ابنا عمه حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصة ابنا مسعود، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا، وكان صاحب الدم، وكان ذا قَدَم فى القوم، فلما تكلم قبل ابنى عمه، قال رسول الله ﷺ: الكبْرَ الكبر.

قال ابن هشام: ويقال: كبر كبر - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت، فتكلم هو بعد، فذكروا لرسول الله ﷺ قتل صاحبهم؛ فقال رسول الله ﷺ: أتسمون قاتلكم، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم؟ قالوا: يارسول الله، ماكنا لنحلف على ما لا نعلم؛ قال أفيحلفون بالله خمسين يمينا ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرءون من دمه؟ قالوا يا رسول الله، ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم. قال: فوداه[٣] رسول الله ﷺ من عنده مائة ناقة.

قال سهل: فوالله ما أنسى بكرة[٤] منها حمراء ضربتنى وأنا أحوزها.[٥]

---

(١) الخارص: الذى يقدر الشىء نظراً بلا وزن ولا كيل. والخرص: هو الظن والتخمين.

(٢) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٢٠) من طريق ابن إسحاق.

(٣) وداه: أعطاهم ديته.

(٤) البكرة: الفتية من الإبل. والذكر بكر.

(٥) إسناده صحيح. ورواه بنحوه البخارى(٥/ ٣٠٥) كتاب الصلح، باب: الصلح مع المشركين، ومسلم(٤٢٦٣، ٤٢٦٤، ٤٢٦٧، ٤٢٧٠) كتاب الحدود، باب: القسامة، ومالك فى«الموطأ»(٢/ ٨٧٧/ ١) كتاب القسامة، باب: تبدئة أهل الدم فى القسامة، وأحمد(٤/ ١٤٢)، وأبو داود فى الديات(٤٥٢٠، ٤٥٢١) باب القتل بالقسامة، والنسائى فى القسامة(٨/ ٧، ٨، ٩، ١٠) باب: ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر سهل فيه، وابن ماجه فى الديات(٢٦٧٧) باب القسامة.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى، عن عبد الرحمن ابن بجيد بن قيظى، أخى بنى حارثة، قال محمد بن إبراهيم: وايم الله، ما كان سهل بأكثر علما منه، ولكنه كان أسن منه، إنه قال له: والله ما هكذا كان الشأن! ولكن سهلا أوهم، ما قال رسول الله ﷺ، احلفوا على ما لا علم لكم به، ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار إنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلا، فواده رسول الله ﷺ من عنده.

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجيد، إلا أنه قال فى حديثه: دوه أو ائذنوا بحرب. فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا، فوداه رسول الله ﷺ من عنده.

عمر يجلى يهود خيبر: قال ابن إسحاق: وسألت ابن شهاب الزهرى: كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم، حين أعطاهم النخل على خرجها، أبتّ ذلك لهم حتى قبض، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك؟.

فأخبرنى ابن شهاب: أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله ﷺ، خمسها رسول الله ﷺ، وقسمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله ﷺ، فقال: إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأقركم ما أقركم الله، فقبلوا، فكانوا يعملونها، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة، فيقسم ثمرها، ويعدل عليهم فى الخرص، فلما توفى الله نبيه ﷺ، أقرها أبو بكر رضى الله تعالى عنه، بعد رسول الله ﷺ بأيديهم، على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله ﷺ، حتى توفى؛ ثم أقرها عمر رضى الله عنه صدراً من إمارته. ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان؛ ففحص عمر ذلك، حتى بلغه الثبت، فأرسل إلى يهود، فقال إن الله عز وجل قد أذن فى جلائكم، قد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان، فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتنى به، أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود، فليتجهز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم.[١]

قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا، قال: فعدى على تحت الليل، وأنا نائم على فراشى، ففدعت[٢]

(١) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ٢٠-٢١) من طريق ابن إسحاق.
(٢) الفدع: اعوجاج فى المفاصل، كأنها أزيلت عن أماكنها.

يداى من مرفقى، فلما أصبحت استصرخ على صاحباى، فأتيانى فسألانى: من صنع هذا بك؟ فقلت: لا أدرى؛ قال: فأصلحا من يدى، ثم قدما بى على عمر رضى الله عنه؛ فقال: هذا عمل يهود، ثم قام فى الناس خطيبا فقال: أيها الناس، إن رسول ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه، كما قد بلغكم، مع عدوهم على الأنصارى قبله، لا نشك أنهم أصحابه، ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فإنى مخرج يهود فأخرجهم.[1]

عمر يقسم وادى القرى: قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن عبد الله بن مكنف، أخى بنى حارثة، قال: لما أخرج عمر يهودَ من خيبر ركب فى المهاجرين والأنصار، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية ابن خنساء، أخو بنى مسلمة، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم - ويزيد بن ثابت، وهما قسما خيبر بين أهلها، على أصل جماعة السهمان، التى كانت عليها.[2]

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادى القرى، لعثمان بن عفان خطر[3]، ولعبد الرحمن بن عوف خطر، ولعمر بن أبى سلمة خطر، ولعامر بن أبى ربيعة خطر، ولعمرو بن سراقة خطر، ولأشيم خطر.

قال ابن هشام: ويقال: ولأسلم ولبنى جعفر خطر، ولمعيقيب خطر، ولعبد الله ابن الأرقم خطر، ولعبد الله وعبيد الله خطران، ولابن عبد الله بن جحش خطر، ولابن البكير خطر، ولمعتمر خطر، ولزيد بن ثابت خطر، ولأبى بن كعب خطر، ولمعاذ بن عفراء خطر، ولأبى طلحة وحسن خطر، ولجبار بن صخر خطر، ولجابر بن عبد الله بن وثاب خطر، ولمالك بن صعصعة وجابر بن عبد الله بن عمرو خطر، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خطر، ولعبادة بن طارق خطر.

قال ابن هشام: ويقال: لقتادة.

قال ابن إسحاق: ولجبر بن عتيك نصف خطر، ولا بنى الحارث بن قيس نصف خطر، ولابن حزمة والضحاك خطر، فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادى القرى ومقاسمهما.

قال ابن هشام: الخطر: النصيب. ويقال أخطر لى فلان خطراً.

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) إسناده ضعيف عبد الله بن مكنف مجهول كما فى «التقريب»(١/ ٤٥٣).

(٣) خطر: نصيب.

قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة والمهاجرين معه

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح، عن الشعبى: أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه، قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه، والتزمه وقال: ما أدرى بأيهما أنا أسر: بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟.[1]

قال ابن إسحاق: وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى، فحملهم فى سفينتين، فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية.

من بنى هاشم بن عبد مناف: جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية؛ وابنه عبد الله بن جعفر، وكانت ولدته بأرض الحبشة. قتل جعفر بمؤتة من أرض الشام أميراً لرسول الله ﷺ، رجل.

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد - قال ابن هشام: ويقال: همينة بنت خلف - وابناه سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد، ولدتهما بأرض الحبشة. قتل خالد بمرج الصفر فى خلافة أبى بكر الصديق بأرض الشام؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانى، هلكت بأرض الحبشة. قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه.

ألا ليت شعرى عنك يا عمرو سائلا ... إذا شب واشتدت يداه وسُلحا[2]

أتترك أمر القوم فيه بلابل ... تكشف غيظا كان فى الصدر موجحا[3]

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص، حين أسلما، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظريبة، من ناحية الطائف، هلك فى مال له بها:

ألا ليت ميتا بالظريبة شاهد ... لما يفترى فى الدين عمرو وخالد[4]

أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا ... يعينان من أعدائنا من نكايد

فأجابه خالد بن سعيد، فقال:

أخى ما أخى لا شاتم أنا عرضه ... ولا هو من سوء المقالة مقصر

يقول إذا اشتدت عليه أموره ... ألا ليت ميتا بالظريبة ينشر

فدع عنك ميتا قد مشى لسبيله ... وأقبلْ على الأدنى الذى هو أفقر

(١) إسناده مرسل. ورواه ابن سعد (٤/١/٢٢) والحاكم(٣/٢١١) وقال: إنما ظهر بمثل هذا الإسناد الصحيح مرسلاً. وقال الذهبى: وهو الصواب.

(٢) سلحاً: ألبس السلاح. (٣) بلابل: أى تخليط واضطراب. وكان فى الصدر موجحاً: أى مستوراً.

(٤) يفترى: من الافتراء الذى هو الكذب.

ومعيقيب بن أبى فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص؛ وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس، حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى: الأسود بن نوفل بن خويلد. رجل.

ومن بنى عبد الدار بن قصى: جَهم بن قيس بن عبد شرحبيل، معه ابناه عمرو ابن جهم، وخزيمة بن جهم، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبدالأسود هلكت بأرض الحبشة، وابناه لها. رجل.

ومن بنى زهرة بن كلاب: عامر بن أبى وقاص، وعتبة بن مسعود، حليف لهم من هذيل. رجلان.

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب: الحارث بن خالد بن صخر، وقد كانت معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جُبيلة، هلكت بأرض الحبشة. رجل.

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن ربيعة بن أهبان. رجل.

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، محمية بن الجزء، حليف لهم من بنى زبيد، كان رسول الله ﷺ، جعله على خمس المسلمين.

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى: معمر بن عبد الله بن نضلة. رجل.

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس، معه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان بن عبد شمس. رجلان.

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك: الحارث بن عبد قيس بن لقيط. رجل. وقد كان حمل معهم فى السيفتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين.

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أمية الضمرى فى السفينتين، فجميع من قدم فى السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلا.

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يقدم إلا بعد بدر، ولم يحمل النجاشى فى السفينتين إلى رسول الله ﷺ، ومن قدم بعد ذلك، ومن هلك بأرض الحبشة، من مهاجرة الحبشة:

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدى، أسد خزيمة، حليف بنى أمية بن عبد شمس، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان، وابنته حبيبة بنت عبيد الله، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبى سفيان، وكان

اسمها رملة خرج مع المسلمين مهاجرا، فلما قدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الإسلام، ومات هنالك نصرانيا، فخلف رسول الله ﷺ امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب.

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، قال: خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما، فلما قدم أرض الحبشة تنصر، قال: فكان إذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال: فتحنا وصأصأتم، أى قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد. وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا: أى أن قد فتحنا أعيننا فأبصرنا، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا، وأنتم تلتمسون ذلك.

قال ابن إسحاق: وقيس بن عبد الله، رجل من بنى أسد بن خزيمة، وهو أبو أمية بنت قيس التى كانت مع أم حبيبة؛ وامرأته بركة بنت يسار، مولاة أبى سفيان بن حرب، كانتا ظئرى[1] عبيد الله بن جحش؛ وأم حبيبة بنت أبى سفيان، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة. رجلان.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى: يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، قتل يوم حنين مع رسول الله ﷺ شهيداً؛ وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد، هلك بأرض الحبشة. رجلان.

ومن بنى عبد الدار بن قصى: أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار. رجلان.

ومن بنى زهرة بن كلاب بن مرة: المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سهم، هلك بأرض الحبشة، ولدت له هنالك عبد الله بن عبد المطلب، فكان يقال: إن كان لأول رجل ورث أباه فى الإسلام. رجل.

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى: عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، قتل بالقادسية مع سعد بن أبى وقاص. رجل.

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب: هبار بن سفيان بن عبد الأسد، قتل بأجنادين من أرض الشام، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه، وأخوه عبد الله بن سفيان، قتل عام اليرموك بالشام، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يشك

(١) الظئر: المرأة التى ترضع ولد غيرها.

فيه أقتل ثم أم لا: وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة، ثلاثة نفر.

ومن بنى جمح بن عمرو بن مصيص بن كعب: حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وابناه محمد والحارث، معه امرأته فاطمة بنت المحلل. هلك حاطب هناك مسلما، فقدمت امرأته وابناه، وهى أمهما، فى إحدى السفينتين؛ وأخوه حطاب بن الحارث، معه امرأته فكيهة بنت يسار، هلك هناك مسلما، فقدمت امرأته فكيهة فى إحدى السفنتين، وسفيان بن معمر بن حبيب، وأبناء جنادة وجابر وأمهما حسنة، وأخوهما لأمهما شرحبيل ابن حسنة؛ وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ستة نفر.

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم الشاعر، هلك بأرض الحبشة، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس ابن عدى بن سعد بن سهم، قتل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وعبد الله بن حذافة بن قيس بن سعد بن سهم، وهو رسول الله ﷺ إلى كسرى. والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى؛ ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى؛ وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى؛ وأخ له من أمه من بنى تميم، يقال له سعيد بن عمرو، قتل بأجنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه؛ وسعيد بن الحارث بن قيس، جرح بالطائف مع رسول الله ﷺ، وقتل يوم فحل[1] فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ويقال: قتل يوم خيبر، يشك فيه، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم، قتل بعين التمر مع خالد بن الوليد، منصرفه من اليمامة، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه. أحد عشر رجلا.

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى: عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب، هلك بأرض الحبشة؛ وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان، هلك بأرض الحبشة. رجلان.

وقد كان مع عدى ابنه النعمان بن عدى، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب، فاستعمله على ميسان، من أرض البصرة، فقال أبياتا من شعر، وهى:

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها ... بميسان يُسقى فى زجاج وحنتم[2]

إذا شئت غنتنى دهاقين قرية ... ورقاصة تجذو على كل منسم[3]

(١) فحل: موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم.

(٢) الحليل: الزوج، ويقال للمرأة: حليلة. والحنتم: جرار مدهونة بخضرة تضرب إلى الحمرة.

(١) الدهاقين: جمع دهقان، وهو العارف بأمور القرية ومنافعها ومضارها. ورقاصة، هى التى تضرب بالصنج، =

فإن كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى ... ولا تسقنى بالأصغر المتثلم[1]
لعل أمير المؤمنين يسوءه ... تنادمنا فى الجوسق المتهدم[2]

فلما بلغت أبياته عمر، قال: نعم والله، إن ذلك ليسوءنى، فمن لقيه فليخبره أنى قد عزلته، وعزله. فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال. والله يا أمير المؤمنين، ما صنعت شيئا مما بلغك أنى قلته قط، ولكنى كنت امرءاً شاعراً، وجدت فضلا من قول، فقلت فيما تقول الشعراء؛ فقال له عمر: وايم الله، لا تعمل لى على عمل ما بقيت، وقد قلت ما قلت.

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر: سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر. وهو كان رسول رسول الله ﷺ إلى هوذة بن على الحنفى باليمامة. رجل.

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك: عثمان بن غنم بن زهير بن أبى شداد؛ وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر، وعياض بن زهير بن أبى شداد. ثلاثة نفر.

فجميع من تخلف عن بدر، ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة، ومن قدم بعد ذلك، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين، أربعة وثلاثون رجلا.

الهالكون منهم: وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة:

من بنى عبد شمس بن عبد مناف: عبيد الله بن جحش بن رئاب حليف بنى أمية، مات بها نصرانيا.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى: عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد.

ومن بنى جُمح: حاطب بن الحارث؛ وأخوه حطّاب بن الحارث.

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: عبد الله بن الحارث بن قيس.

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى: عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف، وعدى بن نضلة. سبعة نفر.

ومن أبنائهم، من بنى تيم بن مرة: موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر. رجل.

مهاجرات الحبشة: وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء، من قدم منهن ومن هلك هنالك ست عشرة امرأة، سوى بناتهن اللاتى ولدن هنالك، من قدم منهن

= والصنج: من آلات الغناء. وتجذو: معناه تبرك على ركبتيها. والمنسم: أراد به طرف قدمها وأصل المنسم طرف خف البعير فاستعاره ههنا للإنسان.

(٢) المتثلم: المنشعب. (٣) الجوسق: الحصن.

ومن هلك هنالك، ومن خرج به معهن حين خرجن:

من قريش، من بنى هاشم: رقية بنت رسول الله ﷺ.

ومن بنى أمية: أم حبيبة بنت أبى سفيان، مع ابنتها حبيبة، خرجت بها من مكة، ورجعت بها معها.

ومن بنى مخزوم: أم سلمة بنت أمية، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سلمة ولدتها هنالك.

ومن بنى تيم بن مرة: ريطة بنت الحارث بن جُبيلة، هلكت بالطريق وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك: عائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث، هلكن جميعاً، وأخوهن موسى بن الحارث، من ماء شربوه فى الطريق، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك، فلم يبق من ولدها غيرها، يقال لها فاطمة.

ومن بنى سهم بن عمرو: رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة.

ومن بنى عدى بن كعب: ليلى بنت أبى حثمة بن غانم.

ومن بنى عامر بن لؤى: سودة بنت زمعة بن قيس؛ وسهلة بنت سهيل بن عمرو، وابنة المجلل، وعمرة بنت السعدى بن وقدان، وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو.

ومن غرائب العرب: أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية، وفاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانية، وفكيهة بنت يسار، وبركة بنت يسار، وحسنة، أم شرحبيل بن حسنة.

من ولد من أبنائهم بالحبشة: وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الحبشة.

من بنى عبد شمس: محمد بن أبى حذيفة، وسعيد بن خالد بن سعيد، وأخته أمة بنت خالد.

ومن بنى مخزوم: زينب بنت أبى سلمة بن الأسد.

ومن بنى زهرة: عبد الله بن المطلب بن أزهر.

ومن بنى تيم: موسى بن الحارث بن خالد، وأخواته عائشة بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث.

الرجال منهم خمسة: عبد الله بن جعفر، ومحمد بن أبى حذيفة وسعيد بن خالد، وعبد الله بن عبد المطلب، وموسى بن الحارث.

ومن النساء خمس: أمة بنت خالد، وزينب بنت أبى سلمة، وعائشة وزينب وفاطمة، بنات الحارث بن خالد بن صخر.

[تم بعون الله وحسن توفيقة الجزء الثالث من سيرة ابن هشام
ويليه الجزء الرابع نرجو من الله أن يعين على تمامه]

فهرس الجزء الثالث

****

رقم الايداع
٢٠٠٦/٢٣٧٠٣